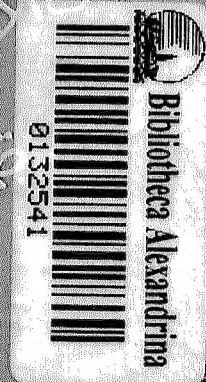


إسرائيل كما عرفتها



دكتور
أحمد شوقي الفخري

طبيب مصري شاهد على إعدام الأشرار
وقفة الأطباء والجرحى في المستشفيات في حرب ٥٦
بالصور والمستندات



إسرائيل
كما عرفتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَامَا الزَّيْبُ فَيَدُ هَبْ جُفَاءً وَأَمَّا
مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَسْكُنُ فِي الْأَرْضِ
صَدَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ



DAR AL AMEEN

طبع • نشر • توزيع

القاهرة : ١٠ شارع ستان الدكة

من شارع الألفى

(مطابع سجل العرب)

ت. ٩٣٢٧ - ٩٠٠٠

ص.ب. ١٣١٥ العتبة

١٢٥١٢

الجيزة : ١ شارع سموح

من شارع الرقازيق -

خلف قباعة سيد

دويش بالمهزم -

ص.ب. ١٧٠٢ العتبة

١٢٥١٢

جميع حقوق الطبع والنشر

محفوظة للناسخ ولا يجوز إعادة

طبع أو اقتباس جزء منه

بدون إذن كتابي من الناشر.

الطبعة الثانية

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

رقم الإيداع ١٩٩٥ / ٩٤٩٦

I.S.B.N.

977-279-027-0

إسرائيل كما عرفناها

طبيب مصرى شاهد على إعدام الأسرى
وقتل الأطباء والجرحى فى المستشفيات
فى حرب ٥٦ مؤيدة بالصور والمستندات

دكتور
المهندس روى الفجرى

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة وموثقة



إلى

إلى اخواني الشهداء فى كل أرض عربية ...
فى معركة سنة ١٩٤٨ ثم سنة ٥٦ سنة ٦٧ سنة ٧٣
والى كل زميل لى من زملائى فى العمل ...
الذين نالوا شرف الاستشهاد قبلى من أجل الوطن ...
إلى أخى الشهيد الدكتور عبد المنعم حافظ ...
والى أخى الشهيد الدكتور سامى عبد المجيد ...
والى أخى الشهيد الدكتور محمد سعيد السيد ...
الذين قتلهم جند إسرائيل داخل المستشفى وأثناء تأديتهم لعملهم الإنسانى ...
والى كل رفيق فى الكفاح ...
إلى كل من حمل القلم أو الفأس أو المشروط أو السلاح ...
من أجل قضية الكيان العربى ...
إليهم جميعاً أقدم هذا الكتاب ...
ليفضح بربرية إسرائيل التى تدعى المسالمة والمدنية والإنسانية ...

الدكتور أحمد شوقى الفنجرى

القاهرة - ت : ٣٥١١٧٥٦

المعادي - أبراج عثمان - برج ١٤

مقدمة الطبعة الأولى

١٠ مارس سنة ١٩٦٠

شاءت الأيام أن أعرف إسرائيل وشعب إسرائيل . . عرفتهم في الحياة السلمية وفي جو المعركة . . وعرفتهم في الهزيمة وفي النصر . . وعرفتهم قبل أن تصبح لهم دولة وبعد أن أصبحت لهم دولة .

ودرست كل معركة دارت بيننا وبينهم منذ سنة ١٩٤٨ حتى اليوم . كذلك فقد حضرت بعض تلك المعارك وكنت شريكاً فيها لا بالمدافع فليس كل محارب هو من حمل السلاح فقط . . ولكن بجهدى وعلمى ودمى .

الباب الأول من هذا الكتاب يقص عليك « كيف عرفت إسرائيل » وتجربتي معها وخصوصاً في أيام العدوان الثلاثي على غزة سنة ١٩٥٦ .

لقد كنت أسجل هذه الأحداث يوماً بيوم أثناء وجودى كأسير حرب فى معتقل الأسرى فى عتليت شمالى عكا سنة ٥٦ . ثم استأنفت الكتابة عندما عدت من المعتقل إلى غزة هى ما تزال تحت الحكم الإسرائيلى وأثناء عملى فى المستشفى التابع للأمم المتحدة .

وكنت فى تلك الفترة كلها أحرص كل الحرص على الاحتفاظ بكل مستند يقع تحت يدى أو صورة استطيع التقاطها أو حتى شراء هالتدين الحكم الإسرائيلى .

أما الباب الثانى بعنوان « إسرائيل كما يجب أن تعرفها » فهو دراسة قمت بها بعد الحرب عن إسرائيل وشعبها . وهى تختلف عن أى دراسة نظرية مما ينشر فى كتب الدراسات الاستراتيجية بأنها مبنية أساساً على مشاهداتى ومناقشاتى الطويلة مع ضباط إسرائيل ومفكرىها الذين كانوا يزورونى أثناء عملى فى المستشفى ، فما أن تعلموا أننى طبيب مصرى . حتى يجلسون معى بالساعات الطوال يحاوروننى عن مستقبل إسرائيل . وفرص الحياة والتعايش مع العرب .

وليس الهدف من هذا الكتاب هو مجرد سرد أحداث التاريخ ، فلست من أهل القصص ولا رواة التاريخ . . بل إنى لا أحب أبداً أن أنظر إلى الوراء . . إلا إذا كانت النظرة إلى الخلف لدراسة تنفع فى المستقبل .

لذلك فإن هدفى الأول : هو أن تعرف من خلال التجربة والواقع من هو عدوك ومن هو أنت . وما هي نقاط القوة والضعف فيه وفيك . وماذا يمكن أن يضمركه لك فى المستقبل بناء على تجاربك معه فى الماضى .

والهدف الثانى : هو أن نستفيد من هذه الدراسة والخبرة لمعرفة أخطائنا التى أدت إلى هزائمنا المتتالية وأن نعمل على إصلاحها . ولاشك أن أبشع هذه الأخطاء هو غياب الديمقراطية عن عالمنا العربى .

والهدف الثالث : هو أن أفصح إسرائيل وأساليبها . . وأفصح بربريتها وتوحشها وسفكها للدماء . . ولأول مرة فى التاريخ تكون هذه الفضيحة مؤيدة بالصور والمستندات وبكلام إنسان طبيب شاهد تلك الأحداث بعينه . . فليس فى هذه الأحداث شىء أنقله أو أرويه عن أحد . . ولكنى أذكر منها ما رأيته بعيني فحسب .

فهذا الشعب الذكى الماكر قد قامت دعايته التى كسب منها تأييد العالم على أنه شعب صغير ضعيف مظلوم . . يريد الحياة فى سلام وأن جيرانه العرب وحوش تريد أن تنقض عليه . . وتقذف به فى البحر . . فى حين أن هذا الشعب المظلوم المسالم قد شرد حتى اليوم أكثر من عشرة ملايين عربى من أراضيهم . . وسفك دماء أكثر من خمسين ألفاً من المدنيين والجنود الأسرى . ثم مازال بعد ذلك وأيديه تقطر دماً ينادى بالسلام . . ويدعى المسالمة .

لكم بودى أن يترجم هذا الكتاب مع كل ما فيه من صور ومستندات إلى جميع اللغات الحية . . لكى ندحض به دعاية إسرائيل . .

والسلام . . .

مقدمة الطبعة الثانية

سبتمبر سنة ١٩٩٥

صدرت الطبعة الأولى من كتاب «إسرائيل كما عرفت» بعد العدوان الثلاثي لمدة قصيرة وكنت قد غادرت قطاع غزة واستقلت من هيئة الأمم المتحدة بسبب المضايقات الكثيرة والتحقيقات المستمرة معى من قبل المسئولين الدوليين ، وكانوا قد ساءهم إصرارى على نشر كل مشاهداتى وكل ما معى من صور ووثائق ومستندات عن جرائم الجيش الإسرائيلى فى سنة ٥٦ - ٥٧ إلى جانب اتهامى لبعض المسئولين الدوليين بالهيئة بالتواطؤ مع إسرائيل وبالتخلى عن مهمتهم الإنسانية وعن خدمة اللاجئين الفلسطينيين فى وقت المحنة والشدة .

وبعد مغادرتى غزة هاجرت إلى كندا . . ثم جاءنى عقد فى الكويت فسعدت به لأنها بلد ديموقراطى حر . . وفى الكويت أصدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب . . وقد حاولت تصديره إلى مصر فمنعته الرقابة المصرية فلم ير النور فى مصر إلا فى العهد الحاضر وحكم الرئيس حسنى مبارك .

لقد نفذت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى الكويت فى شهور معدودة . ولما أردت أن أعيد طبعه فى مصر . بعد ذلك لاقيت الكثير من الصعوبات والعقبات سواء من الناشرين أو الجهات الرسمية . . أما الناشرون فكانت حججهم أن موضوع مذابح الأسرى سنة ١٩٥٦ قد انتهى ومات ولم يعد يهم القراء . أما الجهات الرسمية فكانت حججها أن نشر هذه المعلومات يثير المواجه والمراة وروح اليأس بين المواطنين . . ويفضح تقصير النظام الحاكم فى مصر فى ذلك الوقت وفساده وادعاءه أن ما حدث فى حرب سنة ١٩٥٦ كان نصراً مبيئاً لمصر والعرب . .

هذا فى حين أن كتاب اليهود مازالوا يكتبون عن كل حروبهم مع العرب حتى يومنا هذا حتى يعرف شعبهم ماضيه ويبنى مستقبله على النور والمعرفة . بل إنهم فى كتاباتهم كانوا يتعمدون نشر أخطائهم وأخطاء قادتهم الذين جلبوا لهم النصر الرخيص . . وذلك بقصد أن لا تتكرر هذه الأخطاء فى المستقبل .

ويعز علىّ أن أقول إن هذه الطبعة الجديدة من الكتاب ما كانت لترى النور مرة أخرى فى سنة ١٩٩٥ ، أى بعد ثلاثين عاماً من الطبعة الأولى ، إلا بفضل إثنين من الصحفيين الإسرائيليين الأشراف الذين حضرا حرب سنة ٥٦ وحرب ٦٧ كمجندين وهما الصحفي الشجاع (جابريل براون) والكاتب (ايريه إسحاقى) وقد تحرك ضميرهما بعد هذه السنوات الطويلة وأخذوا ينشران عن قصص طواير الإعدام للأسرى المصريين والفلسطينيين . كما شاهدوها بأنفسهم . وعن حوادث الإغتصاب والتطهير العرقى ، وذكرنا أسماء الضباط الذين قاموا بهذه الجرائم ، ومنهم وزراء حاليون وسابقون ومنهم من ترقوا إلى رتبة أعلا بسبب هذه المذابح . . وفى مقدمة هؤلاء السفاحين الضابط (أرييه بيرو) والضابط (مردخاى براون) الذين اعترفوا متباهين أنهما قاما بمذابح جماعية ضد المصريين والفلسطينيين لو قيست بما فعله النازى فى اليهود فى الحرب العالمية . لقلنا إن النازى لم يفعلوا شيئاً بل كانوا رحماء .

وقد أثارت هذه الحقائق البشعة ضمير العالم وصحافة أوروبا وأمريكا وغضبت حكومة إسرائيل والكنيسة لا لحدوثها ، فقد كانوا يعلمونها ، ولكنهم غضبوا لإذاعتها . وقد كتبت لأول مرة فى جريدة الأهرام عدة مقالات فى شهر سبتمبر سنة ٩٥ عما شاهدته من جرائم الحرب . وبعدها اتصل بى العديد من وكالات الأنباء والتلفزيون والإذاعة والصحافة فى أوروبا وأمريكا . وحضروا إلى منزلى ليسجلوا أقوالى ويشاهدوا الصور والمستندات التى ظهرت فى الكتاب وأذاعوها على العالم . كما اهتمت الصحافة العربية فى دول الخليج ولبنان ومصر ونشرت عدة أحاديث وصور .

ورغم الإرهاق الذى عانيت من كثرة هذه اللقاءات المستمرة . . فقد كنت أشعر بمتهى السعادة ورضى النفس أننى استطعت أخيراً قبل أن أموت ويدفن السر معى أن أبلغ الرسالة إلى كل مواطن فى مصر وكل مسئول وقد بلغت الآن سن السبعين .

إن الدولة التى تتنكر لشهادتها . . وتتجاهل مصيرهم وبطولاتهم . . ولا تجاهد من أجل حقهم فى التعويض . . تكون مقصرة فى حق مستقبلها . . وتجعل أى مواطن يبخل ببذل دمه فى سبيلها .

ولاشك أن سكوتنا عن أخطاء حرب سنة ٥٦ هو الذى أوقعنا فى النكسة الكبرى سنة ٦٧ . . وإن التعتيم على مذابح الأسرى فى حرب سنة ٥٦ وعدم إثارتها فى الإعلام الدولى ، أو حتى الإعلام الداخلى . . هذا هو الذى جعل سفاحى إسرائيل يستهترون بنا . . فأعدموا فى حرب ٦٧ أضعاف أضعاف من أعدموهم فى الحروب السابقة .

واليوم ونحن فى مرحلة السلام مع إسرائيل . وبعد معاهدات كامب ديفيد مع مصر ومعاهدة طابا مع الفلسطينيين ، وفى الطريق بإذن الله معاهدة الجولان مع سوريا . . أقول أننى مع السلام بكل عقلى وجوارحى . . ولكن هذا لا يعنى أبداً مسح حقائق التاريخ أو تجاهلها . . لأن ما حدث فى الماضى من مذابح . . هو حق لأسر الضحايا والشهداء . . وهو تاريخنا فى التضحيات والدماء على مسيرة السلام . ومن الغباء وقصر النظر أن يتصور أحد أن الحديث عن شهدائنا فى الماضى يتعارض مع مسيرة السلام . . بل هو ورقة رابحة فى أيدينا حين نتفاوض على السلام . . فلا تضيعوها .

دكتور

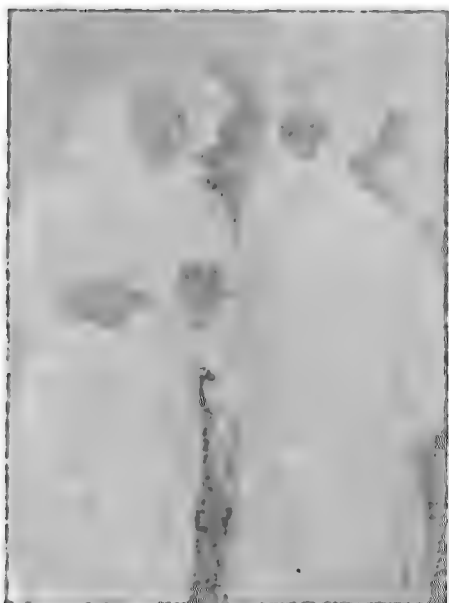
أحمد شوقى الفنجري



وفي سنة ١٩٩٥ وقد بلغ ٧٠ عاماً
وهو يتحدث إلى مراسلي محطات التلفزيون
العالمية عن ذكريات ٤٠ سنة مضت



المؤلف أثناء حرب ١٩٥٦
وكان عمره ٣٠ عاماً



في غرفة "المنافس"



في المستشفى

« محرم على اليهودى أن ينجى أحداً من غير
اليهود من الهلاك أو يخرجهم من حفرة يقع فيها ..
بل إذا رأى أحدهم يقع فى حفرة لزمه أن يسدها
بحجر » .

التلمود .. شريعة إسرائيل
ترجمة ظفر الإسلام خان

الباب الأول

كيف عرفت إسرائيل

سنوات الدراسة

دخلت كلية الطب عام ١٩٤٥ ومنذ ذلك الحين قضيت فترة من أكثر مراحل حياتي قلقاً وأشدّها عنفاً . . فابتداء من السنة الأولى توثقت عرى الصداقة بيني وبين زملائي الطلبة الفلسطينيين . . فى نفس الوقت الذى كان لى فيه صداقات مع الطلبة اليهود . وبذلك تفتح ذهنى على الثورة الفلسطينية وعلى خطورة إسرائيل واليهود على الأمة العربية . . وزرت فلسطين لأول مرة فى تلك السنة . . وعدت من هناك لأعمل بحماس مع أصدقائي وزملائي الفلسطينيين على جمع السلاح من الجيش البريطاني بشتى الطرق من منطقة القناة . . ثم إرساله إلى أهاليهم ليدافعوا به عن بيوتهم ومراعيهم ضد عدوان اليهود . ثم قامت بعد ذلك حرب فلسطين ١٩٤٨ فتطوعت للعمل فيها بأن كونت فريقاً للإسعاف الأولى عمله إنقاذ الفدائيين الجرحى فى خط النار فى غزة . وتعطلت بذلك عن دراستى سنة كاملة . . وفى الوقت نفسه فقد شهد جيلنا فى تلك الفترة حوادث عنف لم يشهدها جيل من قبله . . منها حادث مقتل سليم زكى فى كلية الطب وحادث حريق القاهرة وأخيراً انتهت تلك الفترة بثورة يولييه ١٩٥٢ وكنت إذ ذاك قد تخرجت وأمضيت فترة التدريب كطبيب امتياز فى القاهرة . . ثم رأيت نفسى أتجه بعواطفى إلى فلسطين مرة أخرى فقدمت طلباً للعمل فى هيئة إغاثة اللاجئين . . فى مدينة غزة .

غزة قبل العدوان الثلاثى

وصلت إلى غزة فى أوائل عام ١٩٥٣ ولم يمض على وصولى يوم واحد حتى استدعيت لإسعاف المصابين الذين جرحوا فى هجوم ليلى شنه اليهود على معسكر البريج للاجئين وقد ذهب ضحية هذا الهجوم ثلاثة أطفال وامرأة وكان عدد الجرحى سبعة . . ولم يكتف اليهود بما فعلوه فى مخيمات اللاجئين بل هاجموا أيضاً مستوصف المعسكر فأصابوا حكيمة الولادة بشظية قنبلة كما أصيب بعض النساء الحوامل وهن فى حالة ضع داخل عنبر الولادة وقتلت إحداهن . . وهكذا شاء حظ هؤلاء الأطفال المولودين الجدد أن يفتحوا أعينهم ويستقبلوا الحياة لأول مرة على عدوان جديد من جند إسرائيل البواسل .

وأخذت أستفسر من الجرحى عن أسباب هذا العدوان . . فعلمت أن اليهود كانوا يحاولون الانتقام من شاب بدوى اسمه « جابر النباهين » . . وجابر هذا راعى غنم فلسطينى انتزع اليهود أرضه وسرقوا أغنامه وطرده خارج الحدود حيث أصبح يعيش فى خيمة ممزقة تحت رحمة وصدقات هيئة الأمم المتحدة ووكالة غوث اللاجئين . . وكان جابر كلما مد بصره عبر الأسلاك الشائكة يرى بعينه أرضه وبيته وأغنامه ويرى اليهود يستمتعون بأملاكه وخيراتهما ، فى حين يقف هو فى طابور طويل ليتحصل من الهيئة على حفنة من الدقيق والسكر والبقول الجافة . . ولم تحتل نفسه الرضا بهذا الظلم والهوان فأخذ يخترق الحدود ليلاً ليصل إلى أرضه فيحصد القمح ويجمع الثمار ويحمل بعض أغنامه ليعود بها إلى قبيلته وأولاده ليطعمهم . . وغضبت إسرائيل وجيش الدفاع الإسرائيلى من جابر فصمموا على قتله . . ونصبوا له الكمائن فى الطريق وزرعوا له الألغام فى كل مكان حتى فى عناقيد العنب . ولكن هذا البدوى الذى لم يتلق ثقافة عسكرية كان بذكائه المفرط يتلافى كمائنهم وألغامهم . . وكان ينقل الألغام من أماكنها ثم يضعها فى طريقهم وهم يطاردونهم فتنفجر فيهم . . بل لقد بلغ به التحدى والسخرية منهم أن كان يحمل بعض الألغام معه إلى غزة ويقوم بفكها ثم يصنع من غطائها منافض للسجائر أو هدايا للزينة فى البيوت ، ولازلت أحتفظ ببعض هذه الهدايا كتذكارة منه بعد أن تعرفت عليه . . وهكذا فشلت جميع محاولات إسرائيل للإيقاع بجابر داخل الأراضى المحتلة فصمموا على قتله فى خيمته داخل المعسكر . . ولكنهم لم يجدوا فى الخيمة إلا زوجته وأطفاله فقتلوه جميعاً . . وكان هذا الحادث الإجرامى نقطة تحول فى حياة جابر النباهين . فقد صمم على الثأر وتوسيع أعماله . وابتدأ بتكوين أول خلية من الفدائيين فى قطاع غزة . . وأخذوا يهاجمون المعسكرات اليهودية ويزرعون الألغام وينصبون الكمائن حتى جن جنون إسرائيل وأصبح سكان المستعمرات الجنوبية لا ينامون الليل . . وذات يوم أوقع اليهود بجابر فى معركة غير متكافئة بسياراتهم المدرعة ولم ينسحب زملاؤه من المنطقة حتى حملوا جثته إلى غزة . . فى يومئذ رأيت أعظم جنازة عملت لشهيد . . فقد ودعته غزة على وقع طلقات البنادق وزغاريد البدو نساءً ورجالاً . . حتى أمه كانت هى الأخرى تزغرد لأن ولدها مات ميتة الرجال والأبطال . . والشهداء ،

وهكذا مرت بى الأيام فى غزة وكل يوم يشهد جديداً من الغدر الصهيونى . ففى أحد الأيام قبض أهل غزة على اثنين من اليهود تسلسلا إلى المدينة حاملين معهم زجاجات لتلويث المياه بالكوليرا ، ثم حاولوا إرسال جماعة أخرى لنسف آبار المياه ليقتلوا أهالى غزة



مستوطن يهودى وقد جاء بمدفعه الرشاش ليطرد هذا المواطن العربى المسالم من أرضه وبيته
ليستولى عليهم بقوة السلاح

عطشاً . . . وتفتقت مخيلتهم مرة عن حيلة دنيئة . . . فقد هاجموا خفياً يحرس بيارة (مزرعة) وقتلوه ثم فتحوا بطنه ووضعوا فيها ألغاماً حتى إذا لمس المسعفون جثته انفجرت فيهم وأودت بحياتهم . وفي عام ١٩٥٥ مرت إحدى سيارات الإسعاف في طريقها من رفح إلى خان يونس وكان اليهود قد نصبوا لها كميناً فأوقفوها وأمروا ركبائها بالنزول . . . وبينهم الطبيب ومعه جندي مجروح . . . ثم أطلقوا رصاصهم على الطبيب والسائق والجريح وقتلوه . . . وبعد بضعة أيام من هذا الحادث الوحشي قام الجيش الإسرائيلي بالاسل باقتحام خان يونس فنسف منزل الحاكم ومركز البوليس وأكملوا عملهم هذا بنسف مستشفى المدينة وكان حديث البناء ، وهكذا استمرت اعتداءاتهم دون رادع بقصد التحرش بمصر حتى لا تتفرغ للبناء والإصلاح الداخلي . وأخيراً اضطرت إدارة الحاكم العام إلى طلب قوات من الحرس الوطني المسلح لحراسة الحدود وحماية المواطنين العزل في معسكرات اللاجئين .

ارحم يا مصري

واليهودى بطبيعته جبان . . . وهذا أمر لا أشك فيه بعد طول خبرتى بهم . . . ولم يتغير اقتناعى بذلك حتى بعد الانتصارات التى أحرزوها علينا فى حرب سنة ١٩٦٧ ، ولكن اليهودى أشبه بالمصارع النذل الذى لا يتمسك بالشهامة والمثل العليا . . . فهو إذا تمكن من خصمه بالغش والخديعة ضربه بقسوة محاولاً قتله والإجهاز عليه . . . أما إذا تمكن خصمه منه فإن معنوياته تنهار بسرعة ويصبح ذليلاً يطلب الرحمة والشفقة . . . وقد مرت حوادث عدة أثبتت هذه الحقيقة فى سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٥ وسنة ١٩٥٦ . . . وكان أهمها ما حدث مع الضابط المصرى طلعت . لم يكن هناك ما يلفت النظر فى ضابط الحرس الوطنى طلعت الذى جاء إلى قطاع غزة كقائد لإحدى وحدات الحرس الوطنى . . . فلم يكن طلعت يكثر بأناقته كغيره من الضباط الشبان . . . وكان لا يحب التظاهر بالجدية والعسكرية الزائفة . . . بل كان يكثر الابتسام والضحك والتعارف بالناس . . . ولكنى لاحظت عليه أمرين عندما كنا نجلس معاً لتناول طعام الغداء فى النادى المصرى بغزة . . . الأول حرصه على المواعيد بدقة . . . وربما كان ذلك راجعاً إلى أنه من الضباط القلائل الذين يواظبون على الصلاة فى حينها . . . والأمر الثانى هو ثقته فى نفسه . . . وقد بدا لى ذلك من تواضعه الشديد ورفع الكلفة والمظاهر بينه وبين جنوده . . . وكان يعاملهم بود زائد واحترام . . . بل كان إذا نزل بالاجازة بمصر يزور أهاليهم ويوصل إليهم الرسائل والهدايا . . . ومع الأيام ابتدأ

نجم طلعت يظهر ومواهبه العسكرية تبرز فى مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة ، وكان سر نجاحه أنه يعرف بكل محاولة إسرائيلية للتسلل قبل موعدها ثم ينصب لهم كميناً فيوقع بهم ويسبب لهم خسائر عديدة . . وكان طلعت يعتمد فى ذلك على النظرية الخالدة « الجيش والشعب معاً فى الجبهة » . فقد قام بتدريب الأهالى على حمل السلاح وعلى رصد تحركات العدو . . وكان يغير مواقع قواته القليلة باستمرار معتمداً على سرعة الحركة والتنقل التى يدرّب عليها جنوده . . فقد كان يعلم تماماً أن اليهود يدرسون خططهم بدقة . . ويحفظون مواقع قوات الحرس ونقاط مراقبتهم ليحتفظوا لأنفسهم بزماء المبادرة . والمفاجأة هى العنصر الحاسم فى كسب المعارك . . ولما يسّ اليهود من الإيقاع بطلعت فى ميدان القتال صمموا كعادتهم ، على اغتياله وهو نائم فى مركز قيادته . . وتسلمت قوة كبيرة إلى هذا الكوخ الصغير فحاصروه وضربوه بالقنابل فى غل وحقد مرير ثم أشعلوا فيه النيران حتى أصبح أنقاضاً مبعثرة وعاثوا فساداً فى المنطقة يقتلون أى إنسان يلقيه فى طريقهم ثم عادوا وكانهم فى نزهة حربية نحو الحدود يتغنون ويمرحون . وهنا أترك رواية ما حدث لأحد جنود طلعت كما رواها بنفسه عندما أحضره إلى المعالجته من جرح أصابه أثناء المعركة .

« كان اليهود عائدین على مهل وهم يتغنون وينشدون أناشيد النصر . . وما أن وصلوا قرب خط الهدنة واطمأنوا إلى سلامة عودتهم حتى فوجئوا بنيران كثيفة تنطلق من كمين لا يبعد سوى أمتار قليلة عنهم . . وأذهلتهم المفاجأة لأن هذا الموضع لا وجود له فى خريطتهم . . وانحازوا متفرقين إلى الجانب الآخر ليتخذوا مراكز دفاعية لهم ، وفى هذا الجانب كانت تتمركز قواتنا الرئيسية التى يقودها طلعت بنفسه فانهاالت عليهم بستار من النيران وقذفتهم بالقنابل اليدوية . . فأخذوا يتساقطون وهم يصرخون ويستغيثون :

« إرحم يا مصرى . . كفاية يا مصرى » .

ولم يسلم من تلك القوة سوى بضعة أفراد أخذوا يسحبون قتلاهم وهم يهرولون خوفاً وإعياء . . وهكذا أثبت طلعت الطيب المتدين أنه يستطيع أن يكون أكثر مكرراً من اليهود . فمنذ أن أحس بأن اليهود يريدون قتله وهو لا ينام فى مكانه . . بل يسهر مع جنوده متربصاً بهم طوال الليل حتى أوقعهم فى كمينه . وقد رقى طلعت بعد هذا العمل العبقري وسلم أكثر المواقع أهمية وتحصيناً فى غزة وهو « تلة المنظار » . . وفى هذا الموقع الجديد ظهرت قدرته العسكرية وإيمانه وصموده وخصوصاً أثناء العدوان الثلاثى كما سيأتى ذكره بعد .

أما إسرائيل فقد صممت على الانتقام . . بأى طريقة مهما كانت خسيسة . . فعندما لم تستطع مواجهة القوة العسكرية بمثلها فى الميدان ، لجأت إلى الانتقام من المدنيين الأمنيين فى مدنهم وقراهم .

ضرب غزة بمدافع المورتير

٢٥ فبراير سنة ١٩٥٥

كان ذلك فى يوم جميل من أيام الشتاء . . وقد انتشرت أشعة الشمس فوق بيوت غزة وفى أزقتها وحواريها الضيقة . . وخرج الأطفال الإبرياء يلهون ويلعبون فى الطريق وهم يتغنون بأنشودة عذبة تقول :

يا عمى إمتى نعود	ونطرده اليه هود
ونزرع بيـارتنا	ونحرس الحدود
القـدس بتنادينا	والكرمة والزيتونة
ومقبرة أبونا	وأرواح الجـددود

وبينما هؤلاء الأطفال فى لهوهم البرىء ، إذ دوى انفجار مزق إحداهن تمزيقاً . . وبترت إحدى الشظايا قدم طفلة أخرى . وأصاب شظية أمعاء ثلاثة . . وكان بينهم طفلة جميلة أعرفها اسمها (مها) . . فقد كنت أعالج هذه الطفلة من مرض شلل الأطفال . فإذا بها تصاب فى هذا الحادث بارتجاج ونزيف فى المخ . . وتجمع أهالى الأطفال وعدد كبير من المارة حول مكان الحادث للمساعدة والإسعاف وقد ساورهم الظن أن أحد الأطفال قد عثر على قنبلة أو لغم قديم فعبت بها فانفجرت فيهم . . ولكن لم تمض بضعة دقائق على الانفجار الأول حتى سقطت قذيفة ثانية وسط هذا الجمع الحاشد فى نفس المكان الأول فسقط عشرون شخصاً بين قتيل وجريح . . وبينهم والد الطفلة مها وأمها . . هنا أدرك سكان غزة أن إسرائيل قد نصبت المدافع على الحدود وأخذت تقذفهم بقنابلها انتقاماً للهزيمة التى لحقت بعنودها . . وكانت خطة إسرائيل هى إطلاق القذيفة على موضع ثم الانتظار بضعة دقائق حتى يتجمع المسعفون حول الجرحى فتطلق القذيفة الثانية عليهم وفى نفس الموضع الأول لكى تقتل أكبر عدد ممكن من المدنيين . . وخرجت من بيتى على أصوات الانفجارات ، وجعلت أجرى نحو المستشفى للمساعدة والإسعاف . . وكان



اللواء الدكتور محمود أمين المصري
رئيس الأطباء العرب في قطاع غزة
عام ١٩٥٦

صراخ النساء والأطفال الهائمين في الشوارع يملأ أذني
ويكاد يعلو على طلقات المدافع . . وبينما أنا في طريقى
إلى المستشفى إذ سقطت قذيفة على بيت قريب فخرج
النسوة والأطفال يصرخون فما أن رأونى حتى أخذوا
ينادونى بأن أسعف جرحاهم . . ودخلت البيت
فوجدت القذيفة قد أحدثت حفرة في ساحته الداخلية
وحطمت الشبابيك والأبواب ورأيت قبل أن أقوم
بالإسعاف أن أنقل المصابين خارج المنزل قبل أن يلقي
اليهود علينا قذيفة ثانية . . ووجدت بين المصابين شاباً
قد كسرت ساقه فأخذت أبحث عن جبيرة خشبية
لإسعافه . . ودخلت البيت من جديد على عجل
لأبحث بين الأنقاض والأخشاب . . وفجأة دوى

انفجار شديد ألقى بى على الأرض وسط الأنقاض . . وحمدت الله أننى سلمت فخرجت
من البيت جرياً قبل أن يتداعى فوقى . . وهنا فوجئت بمنظر مروع وخرجت من حلقي
صرخة مكتومة . . فقد اكتشفت أن القنبلة الثانية قد سقطت فى الشارع فوق المصابين
والمسعفين فقتلت الشاب الجريح وأسرتة . . وهنا اعترانى شعور باليأس وكادت الصدمة
تفقدنى صوابى لولا أن حضر فى هذه اللحظة زميلى وصديقى الدكتور الياس اصلانيدس
وهو رجل يونانى الأصل مصري الجنسية . . وكان هو الآخر فى طريقه إلى المستشفى
عندما رآنى غارقاً فى الصراخ والدماء والجثث والأشلاء . . وأخذ هذا الزميل الطيب
القلب يعمل بهمة ونشاط رغم بدائه الزائدة . . فكان يمزق ملابسه قطعة وراء قطعة ليربط
الجرح ويوقف النزيف حتى أصبح شبه عارى فى الشارع . ونقلنا المصابين معاً إلى بيت
قريب ثم انصرفنا مسرعين إلى المستشفى متطوعين للعمل بدل التوجه إلى عيادات الهيئة أو
العيادات الخاصة ، وكان رئيس الأطباء فى غزة رجل حازم نشيط اسمه اللواء الدكتور
محمود أمين المصري . . وتصرف الدكتور محمود بسرعة فائقة أنقذت الموقف . . فقد
قسم الأطباء إلى ثلاث فرق : الفرقة الأولى تقوم بالإسعافات الأولية فى الشوارع وتنقل
الذين أصيبوا إصابات بالغة إلى المستشفى . . وكان على رأس هذا الفريق الدكتور الياس
اصلانيدس . . والفرقة الثانية لاستقبال المصابين فى المستشفى وإجراء العمليات الصغيرة
أو التمهيدية وإعداد الحالات التى تتطلب عمليات كبيرة حسب الأولوية وكنت على رأس

هذا الفريق . . والفريق الثالث كان عمله فى غرفة العمليات . . وخلال دقائق معدودة كان الدكتور محمود قد فتح مخازن المستشفيات كلها وأخرج جميع الآلات وأنشأ غرفة جراحة إضافية وحجرة إسعاف جديدة ثم وضع جدولاً بأسماء الأطباء بحيث يعمل كل فريق نوبة واحدة من ست ساعات ثم يرتاح ساعة لكى يبدأ النوبة التالية بعدها مباشرة . وقد يبدو هذا العمل الذى قام به الدكتور محمود أمين فى دقائق من الأمور السهلة ، ولكن يكفى أن يعلم المواطن العربى أن الروتين فى بلادنا فى الظروف العادية يجعل مثل هذا العمل لا يتم فى أقل من سنة كاملة ويحتاج إلى أكثر من مائة توقيع ، ومع ذلك عندما أعيدت الآلات بعد المحنة لم تفقد منها قطعة واحدة .

ومهما حاولت أن أنقل إلى القارئ صورة الأحوال والمآسى التى رآيتها فى ذلك اليوم ، فلن أستطيع هذا ولو فى كتاب مستقل ، فقد امتدت فى أروقة المستشفى وممراتها جثث الرجال والنساء والأطفال بين قتيل ينتظر الدفن ومحضر لا رجاء فيه وجريح ينتظر الإسعاف أو إجراء عملية جراحية لإنقاذه . وكانت أنات الجرحى ونداءاتهم تختلط فى أذنى بأصداء القنابل وضرب المدفعية من كل من الجانبين . . وفى كل مكان حولى لا أسمع إلا هذا النداء « خلصنى من عذابى يا حكيم » .

واحترت فى أول الأمر من أين أبدأ وبمن أبدأ . . فقررت أن أضع العواطف جانباً أو أحكم العقل وحده . . فكل جريح أصابته خطيرة إلى حد اليأس من حياته كنا نؤخره عن غيره الذى كان هناك أمل فى نجاته . . وأعطيت الأولوية فى العلاج للشبان ثم الأطفال ثم الشيوخ العواجيز . . كنت فى تلك اللحظة أقرب إلى قصة قبطان مركب أعطيت وأصبح عليه أن يخفف من حمولته حتى لا يغرق الجميع ، فبدأ بإلقاء العواجيز فى البحر . . ثم تلاهم بالأطفال وبقي لديه الشباب . . ولما سئل فى ذلك « قال إننى أبقيت على النافعين الذين يوصلون المركب بسلام » .

وقد يبدو اتخاذ هذا القرار سهلاً . . ولكن ما أقساه وأصعبه فى التنفيذ . . فبينما كنت أسير بين الجرحى والأموات ، إذ مد أحد الجرحى يديه وأمسك بملابسى وأخذ يصيح : « خلصنى من عذابى يا حكيم » . ونظرت إليه فإذا هو نفس الممرض الذى يشتغل على سيارة الإسعاف وقد جرح أثناء تأديته لواجبه . . وأخذت أفحص هذا الزميل وأنا أحدث نفسى أنه كان من الممكن أن أصبح فى محله . . فوجدت أن شظية كبيرة قد مزقت كبده وأمعاءه وأنه لم يعد له أمل فى الحياة . . فطيت خاطره وتركته إلى غيره من غير الميثوس

منهم . . ولم تكن الصعوبة وحدها أمامى فى التمييز بين الجرحى وبعضهم ، بل كانت هناك صعوبة ومسئولية أكبر فى التمييز بين الأموات وبين الأحياء الذين فى حالة إغماء . فقد كانت الضجة والصراخ والانفجارات حولى أعلى صوتاً فى أذنى من دقات قلوب الناس . كنت إذا تأكدت من وفاة أحدهم أعلق بطاقة فى رقبة الجثة حتى لا يخطئ عمال المشرحة فيدفنون واحداً من الأحياء وتلك كارثة غير مستبعدة فى هذا الظرف الخطير .

مرت النوبة الأولى فإذا بجميع الفرق تواصل العمل إلى النوبة الثانية دون الراحة التى كانت مقررة فى الجدول . وانقضت هكذا اثنتا عشرة ساعة من العمل المتواصل حتى أصابنا جميعاً الإرهاق والإعياء . . وسلمت مكائى إلى زملائى الذين ارتاحوا واتجهت إلى استراحة الأطباء للطعام والنوم قليلاً . ولكن يبدو أن عنف الصدمة قد أصابنى بانقباض فى المعدة فلم استطع أن أكل شيئاً . . ورقدت على الفراش وإذا بحوادث اليوم كلها تجرى كفيلم سينمائى أمام مخيلتى . . كان هذا هو أطول يوم فى حياتى وأقسى ما مرّ بى من العمر . . حقيقة أن الحرب فيها قسوة ودمار . . ولكنى لم أكن أتصور أن تكون الحرب نوعاً من الخسة والنذالة والاستهتار بالمدنيين الآمنين إلى هذا الحد . وتذكرت الطفلة مها التى كنت أعزها وأعطف عليها لما وهبها الله من ذكاء وجمال إلى جانب مأساة شلل الأطفال . وأزعجنى حظها التعس الذى أدى إلى أن تفقد أباه وأمه فى نفس اليوم وأن تصاب هى بارتجاج فى المخ . . وتذكرت أن لها حالة تعمل فى المستشفى هى الحكيمه سعاد . . فقامت من مكائى فزعاً وأخذت أبحث عن سعاد فى المستشفى لكى أواسيها فى مصابها ، وأخيراً وجدتها تعمل فى صمت فى حجرة العمليات لمساعدة أحد زملائى فى الجراحة . . وملت على زميلى أهمل فى أذنه طالباً منه أن يقدر ظروف هذه الحكيمه التعيسة التى فقدت أختها وزوج أختها فى يوم واحد وأن يعفيها من العمل . . ففاجأنى بقوله :

- هل تتصور يا دكتور أحمد أن الست سعاد قد اشتغلت مع أطباء النوبة الأولى والثانية وهى مصرة الآن على مواصلة العمل معنا فى النوبة الثالثة . . هل من المعقول أن تظل واقفة تعمل ثمانية عشرة ساعة متواصلة دون طعام ؟

وحاولت إقناع السستر سعاد بالمحايلة واللطف أول الأمر ، فلما فشلنا لجأنا إلى تهديدها بكتابة تقرير سىء فى حقها وشكواها . . إذ لم يكن دافعنا الوحيد هو الشفقة عليها ، ولكننا كنا نخشى أن يؤدى بها الإرهاق فى العمل إلى الارتباك . والأخطاء فى مهنة

الطب فى حجرة العمليات بالذات أخطر من أى خطأ آخر . . ولكنى فوجئت بسعاد تنفجر باكية وتقول بلهجتها الفلسطينية :

« من شان الله اتركونى اشتغل يا حكيم . . لأن العمل هو وحده الذى يمنعنى من الانهيار بسبب مصائبى . . فعندما كنت طفلة صغيرة فى عمر (مها) قتل اليهود أمى وطرّدونا من بيتنا فى فلسطين . وأصبحنا بعدها مشردين مطاردين من أرض إلى أرض وها هم اليوم قد قتلوا أختى وزوجها وأصابوا ابنتهم الوحيدة . . فهل تعتقد إننى أستطيع النوم أو الراحة اليوم . . لو كنت رجلاً لحملت سلاحى على كتفى وذبحت أنتقم مع الفدائيين . . ولكنى امرأة كل ما أستطيعه لكى يرتاح ضميرى وينزاح بعض الهم عن قلبى هو أن أساهم فى إنقاذ الجرحى ، فبينهم أهلى وأقاربى . . ولو لاحظتم علىّ ضعفاً أو ارتباكاً أو انهياراً فلتطردونى من حجرة العمليات فى الحال .

واعترانا فى تلك اللحظة صمت رهيب قطعه زميلى الجراح الذى تعمل معه قائلاً :
(الحقيقة أنك خير من اشتغل معى هذا اليوم وأشهد الله أن أعصابك أقوى أعصاب عرفتها فاستمرى فى العمل) .

فابتسمت سعاد والدمع مازال فى عينيها وأقبلت على العمل فى صمت من جديد . وعاد إليها الابتسام وهذوء الأعصاب فأشاعت فينا جميعاً الحماس وقمت أنا بدورى للعمل دون راحة فى النوبة الثالثة . . وهكذا انقضى أطول يوم من العمر . . وقد بلغ عدد القتلى ثلاثة وستين قتيلاً ، وعدد الجرحى أكثر من مائتين . . وقد يتساءل الإنسان عن السبب فى هذه الإصابات الكثيرة والخسائر فى الأرواح التى قد تبلغ أكثر مما أحدثته ألف طائرة أغارت على لندن دفعة واحدة فى الحرب العالمية الثانية . . والسبب الحقيقى فى هذا هو ازدحام غزة بسكانها اللاجئين إليها . . ففى بعض الأحيان تجدد البيت الواحد تسكنه أربع أو خمس عائلات ، وفى بيوت اللاجئين تسكن كل عائلة فى حجرة احدة ، كما أن المدينة لم تكن فيها خنادق أو استعداد لمثل تلك الغارات .

ماذا حدث فى المستشفيات الأخرى ؟

كانت هذه هى قصة مستشفى تل الزهور التى اشتغلت فيها فى ذلك اليوم . . وقد سقطت إحدى القذائف على مستشفى العيون فهدمت جزءاً منها . . وسقطت قذيفة على المستشفى التبشيرى الأمريكى فهدمت منزل الطبيب الجراح . . وسقطت بعض القذائف

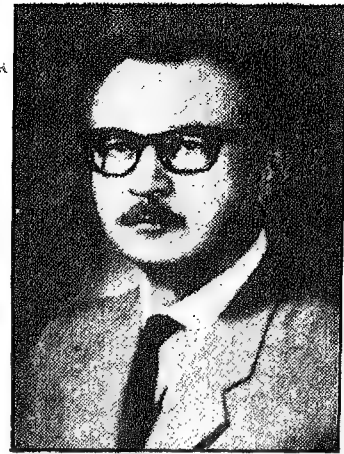
على المساجد والكنائس فلم تسلم المستشفيات ولا أماكن العبادة من الضرب إلى جانب بيوت المدنيين . . . وكما أظهرت هذه الحادثة نذالة اليهود وانعدام إحساسهم وإنسانيتهم ، فقد أظهرت تلك المحنة بطولات لا يسعنى إلا أن أذكرها فى هذا الكتاب ، لا تشجيعاً لأصحابها ، ولا تسجيلاً للحقائق ، ولكن لأثبت للعالم أن بلادنا العربية مازال فيها الخير والخيرون . وأنها لم تعدم الأبطال المضحين فى وقت المحنة .

ومن أوائل هذه القصص قصة الدكتور منير فانوس ، وهو رجل من أقطاب الصعيد الأبطال ، ويعمل طبيباً فى الجيش المصرى . . . وكان الدكتور منير يقضى أول يوم من أجازته السنوية فى بلده بالصعيد ، عندما سمع من الإذاعة بحادث ضرب غزة . فما كان منه إلا أن قطع أجازته فور وصوله ودون أن يستريح ساعة واحدة من إرهاق السفر الطويل . . . وركب القطار مباشرة من بلده إلى القاهرة ، ومن القاهرة إلى غزة فى رحلة استغرقت أربع عشرة ساعة متواصلة . . . وما أن وصل إلى غزة حتى توجه إلى المستشفى مباشرة وفوجئنا به يعمل بيننا فى صمت وهو ما يزال بغبار السفر . . . ولو ظل فى بلده فى الصعيد لما استدعاه أحد وما لاهه إنسان ، ولكنها مسألة الضمير اليقظ الحي والرجولة التى تدفع صاحبها إلى التمسك بالمثل العليا .

قصة الدكتور مصطفى ناجى

وصل الدكتور مصطفى ناجى طبيب العيون إلى غزة قبل حادث ضربها بالموتربعام واحد ، وفى خلال هذه المدة القصيرة استطاع هذا الإنسان أن يقوم بأعمال فى طب العيون قد يحتاج غيره إلى سنوات لتحقيق بعضها . . . فأمرأض العيون متشرة بكثرة بين اللاجئين بسبب الرمال والذباب إلى جانب الفقر والأحزان . . . وكانت قائمة الإنتظار تطول بالمرضى بضعة أشهر لإجراء عملية ، فما أن وصل مصطفى حتى تبدل الحال وأصبحت مستشفى العيون بفضل شعله نشاط وقبلة للمرضى من جميع أنحاء القطاع ، بل كان يأتى المرضى من العريش والقنطرة . . . وكان لا يتقيد بوقت ولا يحفل بمواعيد الدوام ، بل يظل واقفاً على قدميه فى حجرة العمليات يشتغل من الصباح حتى آخر الليل والأطباء والمساعدون والحكيمايتناوبون فى مساعدته وهو وحده الذى لا يكل ولا يتعب ، وكثيراً ما كنت أدخل عليه فى غرفة العمليات فأجده وحده يجرى عملية . . . فكنت ألبس ملابس العمليات وأتعمق وأقف معه الساعات الطوال كمساعد له حتى يحضر فريق النوبة التالية .

ومرت الأيام وكان يوم ضرب غزة بمدافع المورتز يوم عطلة . . ومع ذلك فقد كان الدكتور مصطفى فى حجرة العمليات يعمل عملية مستعجلة تسمى « الماء الأزرق » لإحدى النساء المسنات ، وإلى جواره حكيمة اسمها إلهام تساعد . وفجأة سقطت القذيفة الأولى على المستشفى مباشرة فاخترقت حجرة العمليات فقتلت المرأة العجوز وهى راقدة على سرير العمليات . وأصاب شظية صدر الحكيمة إلهام واخترقت الرئة وسكّم الطبيب . . وانطلقت القذيفة الثانية على المستشفى فهدمت جناحاً كاملاً وقتلت اثنين من مرضى العيون وجرحت الباقين . . وانطلق المرضى فى ذعر وأعينهم مربوطة يتحسسون طريق النجاة وهم لا يرونه . . وقامت السستر إلهام برغم الشظية التى فى صدرها هى والطبيب مصطفى ناجى وأخذوا يحملون المصابين ويساعدون المرضى للخروج من المستشفى ويخلون العنابر ، فقد كان الجميع يدهس بعضهم بعضاً من الذعر ويصطدمون ببعض . ولم يكد الطبيب والحكيمة ينتهوا من إخلاء العنابر من المرضى ، حتى سقطت إلهام على الأرض مغمى عليها من شدة النزيف من جرحها ، فحملها الطبيب وأخذ يسعفها . بذلك كانت إلهام بطلة هذا اليوم ، وقد حضرت بعثة من إذاعة صوت العرب ونقلت لها حديثاً بعد شهر من هذا الحادث وهى على فراش المرض ، وسألها المذيع ماذا تفعلين بعد الذى أصابك لو أحضروا لك يهودياً جريحاً فى هذا المستشفى ؟ فقالت دون تردد : سأساعده وأنقذه ولو احتاج إلى نقل دم سأعطيهِ من دمي . ولو كان فى بلادنا العربية تقدير للأحياء وللأبطال لاستحقت إلهام وسام شرف وتقدير ، ولكن بلادى (حماها الله) لا تقدر البطل إلا إذا مات وتعطى أوسمة البطولة للذى يتكلم ولو لم يعمل ولا تعطيها للذى يعمل ولا يتكلم .



الدكتور مصطفى ناجى
طبيب العيون ، الذى حاكمته إسرائيل
بتهمة اقتلاع عين أحد جنودها القتلى

أعود إلى قصة الدكتور مصطفى ناجى ، فبعد أن هدم اليهود مستشفى ، انتقل إلى مستشفى الجراحة وأخذ يعمل دون أن يتأثر نشاطه بما حدث . . وكان اليهود قد بدأوا يرسلون ببعض جواسيسهم لمعرفة آثار الضرب فى معنويات أهل غزة ، وربما أيضاً لزيادة القتل والتخريب . . واكتشف جماعة من الفدائيين بعض هؤلاء المتسللين وتبادلوا معهم

على الحدود اطلاق النار فقتلوا يهودياً وأصيب أحد الفدائيين بشظية فى عينه احترقت القرنية . . ونقل الفدائى الجريح مع جثة اليهودى القتل فى نفس سيارة الإسعاف . وأخذ مصطفى ناجى يفحص الفدائى فوجد أنه لا بد من إجراء عملية ترقيع للقرنية بأخذ نسيج قرنية من عين سليمة وإلا فقد الفدائى الجريح بصره . . ولم تكن هناك جثة حديثة الوفاة غير هذا الجاسوس اليهودى فوافق مصطفى ناجى زملاءه على أن يقتلعوا له العين من الجثة لنقل القرنية منها إلى الفدائى . . ولو كان لأمر بالعكس ، وكان القتل هو العربى والجريح هو اليهودى لما تردد مصطفى فى إنقاذه . . وتمت العملية الصعبة بنجاح باهر ونجا الفدائى من عمى مؤكد . . وبعد يومين حضر مراقبو الهدنة لاستلام جثة اليهودى لتسليمها إلى إسرائيل . وهناك مثل عربى يقول : « العجربة ست الحارة » . أى أن السفينة البذء الذى يعلو صوته دائماً بالحق وبالباطل هو الذى يسود الموقف دائماً . فما أن وصلت جثة اليهودى ووجد اليهود أن العين قد أخذت منها حتى أقاموا الدنيا وأقعدوها مدعين أن الدكتور مصطفى ناجى قد خلع عين اليهودى وهو حي لكى يعذبه ، نشر اليهود هذه الإشاعة الكاذبة فى أنحاء العالم كله وفى أوروبا وأميركا وحضر مصورو التليفزيون والسينما يلتقطون الصور لجثة القتل . . وجاء الطبيب الشرعى اليهودى الذى تسلم جثة القتل فكتب تقريره بأن الوفاة حدثت من رصاصة أصابت القلب مباشرة وأن العين قد أخذت من الجثة بعد الوفاة وليست قبلها . ولكن شياطين إسرائيل وملوك الدعاية فيها أخفوا هذا التقرير عن العالم ونقلوا الطبيب الشرعى وحرموا عليه مخاطبة الصحف حتى لا تفشل حملتهم لاستدرا عطف العالم . . ومرت الأيام ثم الشهور وحدث العدوان الثلاثى على غزة ودخلت أول فرقة من جنود الاحتلال الإسرائيلى إلى المدينة ، وكنت فى ذلك اليوم واقفاً فى ساحة مستشفى الزهور عندما نزل ضابط يهودى من سيارته الجيب وسألنى بالإنجليزية : أين الدكتور مصطفى ناجى ، إن لدينا أمراً باعتقاله ! . فقلت له : إنه غير موجود هنا وأظن أنه فى أجازته فى مصر . ولم يقتنع الضابط ، بل أراحنى من الطريق ودخل المستشفى يفتش فيه وأثناء خروجه سأله :

- أيمكننى أن أعرف لماذا تريدون الدكتور ناجى بالذات . . هل هناك خدمة إنسانية يستطيع أى طبيب أن يقدمها إليكم بدلاً منه ؟

فقال : خدمة إنسانية ! هل تعرفون أنتم العرب ما هى الإنسانية ؟ إننا نريد مصطفى ناجى لكى نخلع عينه ثم نقتله كما فعل فى أحد اليهود من قبل !! ولم يمهلى لكى أرد عليه ولكنه ركب سيارته وانطلق .

وخرجت من المستشفى من بابه الخلفى وأخذت أجرى فى شارع غزة برغم منع التجول حتى وصلت إلى منزل صديقى مصطفى ناجى وأخبرته بالأمر وطلبت منه الاختباء معى فى بيتى . . إلى أن تهدأ الأحوال ، ولكنه رفض وعرضت عليه أن أرسل إليه فدائياً ليأخذه من يده ويرسله إلى بورسعيد فرفض .

وقال : وإلى متى سأظل مختبئاً ؟ ثم أن اختبائى أو هربى سوف يقوى الإشاعة ويزيد الشكوك . . وعلى أن أواجه مصيرى وأن أظهر لهم كذبهم فلا تخف عليّ فأنت تعرف إننى عنيد جداً ولا أياس أبداً . . وتأكد أننى سأتعيبهم أكثر مما يتعبوننى . واعتقل اليهود مصطفى ناجى . . وهلت صحافتهم لهذا الاعتقال ، وأخذت صحافتهم وصحافة العالم تتحدث عن « الطبيب القاتل » وعن أنه سيحاكم ويعدم . . وعندما أخذنى اليهود إلى معتقل عتليت لم يسمحوا لى برؤية مصطفى ناجى ، فقد كان فى سجن منفرد باعتباره مجرم خطير . . وكان كل يهودى ير علينا نحن الأطباء المعتقلين يعايرنا بما فعله مصطفى بأسير يهودى . . وفجأة ودون أية مقدمات أنبأنا اليهود أن مصطفى ناجى قد أفرج عنه وسلم إلى أهله فى مصر قبل أى أسير آخر .

وقد علمت أن مصطفى قد طلب مقابلة الطبيب الشرعى اليهودى الذى تسلم جثة اليهودى القتيل وأخذ يحدثه ويثير ضميره وأمانة المهنة أن يقول الحقيقة . . فتيقظت مشاعر الرجل وذهب إلى نقابته وقابل المسئولين وهدد بفضحهم فى العالم ونشر التقرير الطبى عن الجثة إذا لم يفرجوا عن الطبيب العربى . . فأفرجوا عنه فى سكوت .

قصة الدكتور يونج الجراح والمبشر الأمريكى

لا يمكن أن تكتمل الصورة عن حادثة ضرب غزة دون ذكر ما حدث فى المستشفى الأمريكى وقصة الدكتور « يانج » الجراح الشاب بالذات . . فقد حضر هذا الطبيب من أمريكا كمبشر وطبيب . وهكذا ضرب المثل الأعلى لرجل العلم إذا كان متديناً ورجل الدين إذا كان عالماً . . وفى يوم ضرب غزة بالمورتر كان الدكتور يونج واقفاً هو الآخر فى غرفة العمليات لإسعاف أحد المصابين . . وغرفة العمليات فى المستشفى الأمريكى فيه نافذة كبيرة يستطيع الجراح منها أن يرى بيته فى داخل المستشفى ويرى زوجته وأولاده . . وبينما الطبيب يعمل إذ سقطت قذيفة ضخمة على بيته ورأى البيت بعينه يتساقط . . ولم يتحرك الطبيب من مكانه لينظر ما حدث لزوجته وأولاده ... ولم يترك المصاب الذى

يجرى له العملية الإسعافية ، بل ظل يعمل فى صمت دون أن يظهر عليه التأثر . وعندما انتهى من العملية سأل زملاءه الأطباء عما حدث . . فطمأنوه إلى أن زوجته وأولاده قد نجوا فى البيت ولم يصبهم شر . . فركع وأقام صلاة شكر لله وهو فى ملابس العمليات . وجاء العدوان الثلاثى فظهرت أخلاق هذا الرجل ومثله العليا . فعندما ابتدأت الحرب وفى اليوم الثالث بالتحديد ، حضرت إلى شواطئ غزة بوارج حربية إنجليزية وفرنسية . وقد أحصيت أمام غزة بالذات ١٦ سفينة حربية ومثلها أمام شاطئ خان يونس ، وأطلقت هذه البوارج عدة قذائف على شاطئ غزة كإنذار إلى حاكم غزة لتسليمها إلى اليهود وإلا دمرت المدينة من البحر . ولما وافق الحاكم على التسليم طلبوا منه إجلاء الأجانب والدوليين بالذات حتى لا يصابوا بأذى أثناء اقتحام القوات الإسرائيلية للمدينة . وحضرت سفينة تحمل العلم الأمريكى وعلم الأمم المتحدة ، وتجمع جميع أطباء وحكيماء وموظفى هيئة الأمم الأجانب مهرولين إلى المراكب التى نقلتهم إلى السفينة . . كانوا أقرب إلى الجردان التى تعيش على خيرات المركب وتسرق منها الطعام ، فإذا أصيب المركب بكارثة فإنهم أول من يهجرها ويهرب منها . . طبيب واحد من الأطباء الأجانب هو الذى رفض أن يتخلى عن مرضاه وجرحاه ورفض أن يهرب من عمله الإنسانى ومسئوليته ، ذلك هو الدكتور «يانج» ، وحاول الدكتور أن يرسل زوجته وأولاده ولكنهم بدورهم رفضوا التخلي عنه وظلوا إلى جانبه ، وبذلك كانت العائلة الوحيدة غير العربية التى بقيت فى غزة . وقد قدرت مصر لهذا الطبيب شهادته وأخلاقه . . فعندما زار الرئيس جمال عبد الناصر غزة بعد العدوان زاره فى مستشفى وسلم عليه وهناء على سلامته .

صحافتنا النشيطة

انقضى يوم الضرب واليوم التالى دون أن يحضر إلى غزة صحفى عربى واحد أو مصور ليلتقط بعض الصور لتلك المأساة الدامية . وكنت أرى دائماً أن إسرائيل تحاربنا بسلاحين : الدعاية والقنبلة ، وأنها تجرحنا بدعايتها أكثر مما تجرحنا بقنابلها . أما نحن فإن وسائل إعلامنا فى نوم عميق لا تفيق منه . وكل ما فعلته الصحافة العربية فى استغلال هذا الحادث ، هو نشر أخباره عن طريق مراسليها فى قطاع غزة . والعالم الأجنبى والغربى بالذات لا يصدق الأخبار ، ولكنه يصدق الصور والسينما والتلفزيون لأنها لا تكذب ولا تبالغ . ولقد قامت دعاية إسرائيل على أنها دولة صغيرة محبة للسلام وشعب مضطهد محاصر بين أعداء يقطرون شراً وأحقاداً . ويريدون ذبحهم وإلقائهم فى البحر . ولو عرف

العالم مدى إجرام هذا الشعب الذى يدعى السلام ، ومدى تعطشه لسفك الدماء بأى طريقة ، ولو كانت ضرب المدنيين الآمنين بالمدافع ، لخسروا عطف الإنسانية عليهم . وفى مساء اليوم التالى حضر رجل إلى غزة وزار جميع البيوت والمستشفيات التى ضُربت وأخذ عدة صور لها . وكنت أقوم بعملية نقل دم لأحد المصابين عندما دخل عليّ .

وأخذ يسألنى عن تفاصيل حوادث الأمس . وسألته عن عمله فأخبرنى أنه من أهل غزة ويعمل مراسلاً صحفياً لصحيفة الجمهورية المصرية فرحبت به وقدمت له كل المساعدة . ومرت الأيام وأنا أتابع الصحف كل يوم لعلى أجد شيئاً عن تلك الصور التى التقطها الرجل وعن التحقيق الصحفى الذى أجراه فى جميع مستشفيات غزة دن جدوى . وذات يوم بينما كنت أسير فى شارع عمر المختار ، وهو الشارع الرئيسى فى غزة ، إذ رأيتهم جالساً على المقهى يدخن الأرجيلة (الشيشة) ويشرب الشاي . وسألته ماذا فعلت بالصور التى أخذتها عن ضرب غزة بالمورتر . لقد طالعت جميع الصحف العربية فلم أجد فيها تحقيقك الصحفى الذى وعدت بنشره . ألا تعلم أن هذه كانت فرصة ذهبية فى أيدينا لفضح إسرائيل ومزاعمها فى السلام ؟

فقال الرجل : معك حق يا حكيم . ولكنى قد عملت ما عليّ وأرسلت الصور فلم ينشروها ، وإذا كانت الصحافة العربية يمثل هذا الكسل فما ذنبى وما باليد حيلة . وربما كانت حجتهم هى عدم إزعاج الرأى العام العربى وإثارته .

قلت : إن حجة عدم إزعاج الرأى العام العربى هى التى تضيع علينا كل الفرص لمحاربة إسرائيل . وبذلك نصبح كالتعامه تدفن رأسها فى الرمال لكى تهرب من الخطر . . أما رأيت الدعاية المهولة التى قامت بها إسرائيل ضد العرب عندما هاجم الفدائيون المدنيين ؟ لقد أصبح العالم الخارجى ولا حديث له اليوم إلا عن وحشية الفدائيين وعن قتلهم الأطفال والنساء كما تدعى إسرائيل ، ونسى العالم الخارجى أن الجزء من جنس العمل ، وأن الذى بدأ بقتل النساء والأطفال هم اليهود بضربهم المدنيين فى غزة ، فانظر مدى تقصيرنا فى دعايتنا مما يضيع علينا حقوقنا .

فقال لى : معك كل الحق يا حكيم .

ويهمنى الآن أن أكمل قصة هذا المراسل الصحفى حتى نهايتها . فقد مرت الأيام بعد هذه الحادثة ، وكنت أراه بين الحين والحين جالساً على المقهى فى شارع عمر المختار يدخن الشيشة . . وحدث العدوان الثلاثى وأخذنى اليهود أسيراً فى معتقل عتليت ، كما سيأتى

ذكره بعد . وذات يوم أخبرنا اليهود أنهم سيعرضونا على ضابط مخابرات إسرائيلي لكي يتعرف علينا ، فإذا كنا مدنيين وليس فينا فدائي ، فسوف يطلقون سراحنا ونعود إلى غزة ، ودخلنا الحجرة واحداً واحداً ، وفجأة وجدت نفسي أمام ذلك الصحفي المزعوم ، فإذا هو ضابط في مخابرات إسرائيل . . وصدرت من فمي شهقة المفاجأة والدعر لم أستطع كتمانها . بعد أن اتضح لي أنه كان يعيش في غزة هذه المدة دون أن يحس به أحد يتجسس على أهاليها ويرصد تحركات شبابها وهو جالس على المقهى ، بل من المؤكد أنهم قد أرسلوه بعد ضرب غزة بالمورتر لكي يعطيهم تقريراً عن مدى ما أحدثته مدفعيتهم من أضرار ، فقدم إليهم تقريره مزوداً بالصور والمستندات . وفطن الرجل فوراً إلى أنني قد عرفته ، فابتسم ابتسامة صفراء وحياني ولكنني نظرت إليه باحتقار زائد لم أستطع إخفاءه . وهكذا تكشفت لي مدى يقظة العدو ونشاط وسائل إعلامه ومخابراته بالمقارنة إلى وسائلنا التي تغط في النوم العميق .

انتقام الفدائيين

تقول الحكمة التي تناقلتها الأجيال عن الديانة اليهودية : « العين بالعين والسن بالسن والباديء أظلم » . ولقد فتحت إسرائيل الباب لضرب المدنيين ، عندما ألقت على سكان غزة قذائف المورتر ، وبذلك لم يعد هناك مجال للقول في أن الضربة الرادعة يجب أن توجه إلى المدنيين أيضاً ، وكما عبرت قنابل المورتر الحدود وسقطت دون تمييز على الأهداف المدنية ، ف كذلك عبر الفدائيون الحدود وانقضوا على طرق المواصلات وسيارات النقل ومدارس الطلبة إلى جانب الثكنات العسكرية ، وقد استطاع بعضهم الوصول إلى تل أبيب ونسف برج الإذاعة فتعطلت عن الإرسال يوماً . واستطاع واحد منهم يجيد العبرية أن يلبس ملابس بوليس حربي إسرائيلي وأوقف سيارة أتوبيس بحجة التفتيش عن الفدائيين . وأخذ أوراق تحقيق الشخصية من الركاب جميعهم ثم انقض عليهم زملاؤه بالمدافع الرشاشة فقتلوهم . وهكذا نشر الفدائيون الدعر والخراب في داخل إسرائيل ، حتى أذاعت محطة لندن أن عدد الضحايا من هجمات الفدائيين قد بلغ مائتين . وقدرت مصادر أخرى أن العدد أكبر بكثير . وهكذا ارتاح قلب غزة ونامت مطمئنة وقد ثارت لشهادتها الأبرار . . ولكن إسرائيل لم تنم . . فالحقد والشر لا ينام . وظلت تبني لعدوان جديد . فلم تمض بضعة أشهر على هذا الحادث حتى جاءتها الفرصة عندما عرضت عليها بريطانيا وفرنسا الاشتراك معهم في عملية غزو السويس فقاموا بالعدوان الثلاثي .

العدوان الثلاثى على غزة

يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦

أعلنت إسرائيل عن هجومها يوم الاثنين ودارت معارك نخل والكونتلة طوال يوم الاثنين والثلاثاء . ولما فشلت إسرائيل في إحراز أى نصر أو تقدم صدر فى مساء الثلاثاء ٣٠ أكتوبر الإنذار البريطانى الفرنسى المشهور . . . وعند ذلك أعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن انسحاب الجيش المصرى من سيناء فى يوم الأربعاء ٣١ أكتوبر . . . وأصبحنا نحن فى قطاع غزة معزولين عن مصر . . . ولم يكن هناك دفاع عن القطاع غير قوات من الحرس الوطنى بأسلحتها الخفيفة بالإضافة إلى قوة من الجيش الفلسطينى تدافع عن خان يونس . . . وابتدأ الحصار يضيق على القطاع من كل صوب . فالبحرية الإنجليزية والفرنسية المشتركة قد وضعت أسطولا كاملاً من البوارج الحربية أمام الساحل ، واليهود يحتلون العريش فى الجنوب وجيشهم واقف على خط الهدنة فى الشرق . وابتدأت البحرية إطلاق أول قذيفة على الشاطئ كإنذار للتسليم . ثم أطلقت القذيفة الثانية بين بيوت اللاجئين فى معسكر الشاطئ ، حيث تسكن بل تتكدس كل أسرة فى حجرة واحدة فقتلت عدداً كبيراً منهم ، وأخذت المدينة المحاصرة بعد ذلك ترجج تحت وقع الانفجارات من كل جانب . فقد حضرت ثلاث طائرات صغيرة لتضرب المواقع العسكرية من الجو . ومدفعية الحدود تتراشق من الأرض . وفى داخل المدينة كان الحرس الوطنى ينسف أسلحته ومخازن ذخيرته حتى لا يسلمها لليهود . وهكذا ابتدأت مفاوضات التسليم مع الحاكم العام .

وهنا يجب أن أتوقف قليلاً . . . وأن أتكلم بصراحة لعلنا نخرج بموعظة ودروس مما حدث . . . لقد كنا نحن المدنيين شباباً ورجالاً ، بل وفتيات ، فى حيرة قاتلة وعذاب مرير ، ماذا نفعل كى ندافع عن أنفسنا وعن مدينتنا ، وزوجاتنا وألادنا . . . إن المدنى العربى فى جميع البلاد العربية محروم من التدريب العسكرى ، بل محرم عليه لمس السلاح وإلا تعرض للعقوبة ، وربما الإعدام . . . فإذا انسحب الجيش النظامى وحوصرت أى مدينة عربية فويل للمدنيين من مهانة الاستسلام ومن ريلات الاحتلال ، ويا فرحة العدو بتلك المدن العربية التى تقدم إليه لقمة سائغة دون تعب ولا خسائر . . . لقد كان فى غزة مخازن للذخيرة والسلاح تكفى للمقاومة عدة أشهر . وفى اللحظة الأخيرة وفى يوم ٣ نوفمبر بالذات ، فتح بعض الضباط مخازن الذخيرة على مسئوليتهم وسلموا السلاح إلى المدنيين ، وأخذوا يكونون منهم ما يسمى بقوات المقاومة الشعبية . وكان الضباط

والفدائيون يمرون على كل مدنى فى بيته ويقولون له : « هاك مدفع رشاش وهذه بعض القنابل لكى تدافع من بيت إلى بيت ، ومن حجرة إلى حجرة ولنجعل من غزة ستالينجراد ثانية » . وكان ذلك نوعاً من الارتجال المضحك ، لأن معظم هؤلاء المدنيين لم ير السلاح فى حياته ، ولم يدرب عليه فى وقت من الأوقات . بل إن بعض المدنيين كان يخاف من لمس القنابل حتى لا تنفجر فيه فدفن أكثرهم السلاح فى الرمال أو ألغوه فى الخرابات . ومر عليّ بعض أصدقاءى الفدائيون وحاولوا تسليمى مدفعاً رشاشاً ومقطفاً مليئاً بالقنابل اليدوية لأدافع عن بيتى فاعتذرت بأن عملى كطبيب داخل مستشفى وقت المحنة أهم وأفيد من جلوسى فى بيتى للدفاع عنه .

وأقول عن ثقة ويقين بل عن خبرة وتجربة : لو تكوّن فى غزة جيش شعبى أو مقامة شعبية من أهاليها للدفاع عنها ونظمت ودربت تلك القوات قبل العدوان ولو بشهر واحد . . أؤكد أن إسرائيل لو دخلت غزة لكلفها ذلك من الخسائر فوق طاقتها ولغيرت مقاومة غزة وحدها مجرى الحرب كلها . . وربما لعدلت إسرائيل نهائياً عن دخولها ، لأن هناك رأى عسكري معروف يقول : « إذا كان الهدف أو الموقع لا يستحق ما يكلفه احتلاله من خسائر وتضحيات فمن الحكمة والخير تركه إلى غيره » . وهكذا سلمت غزة يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ دون مقاومة تذكر وسلمت رفح أيضاً وبقيت خان يونس وحدها تقاوم العدوان ، فلماذا خان يونس بالذات ، وكيف قاومت ؟

خان يونس وبطلها العجرودى

علمنا نحن المدنيين بأن حاكم غزة قرر تسليم المدينة إلى اليهود فى صباح اليوم التالى . وأذاعت إذاعة إسرائيل أن مدن القطاع قد قررت التسليم ماعدا خان يونس التى رفض قائد قواتها التسليم . . وأذاعت تسجيلاً كاملاً لحديث دار بين الحاكم العام وبين قائد القوات الإسرائيلية يرجوه فيها أن يأمر اللواء العجرودى بالتوقف عن القتال والتسليم حقناً للدماء والخسائر بين الطرفين ، فقال له الحاكم :

- إننى لا سلطة لى على العجرودى . . فأنا حاكم إدارى وهو ضابط عسكري . . وكان لا يقبل تلقى الأوامر منى فى وقت السلم ، فكيف يتلقاها فى وقت الحرب ؟

ورفعت تلك الأخبار من روحنا المعنوية كثيراً ، ومر بعض الفدائيين ببيتى فى المساء وأخبرونى أنهم ذاهبون إلى خان يونس مشياً على الأقدام للانضمام إلى قوات العجرودى

والقتال معهم فاعتذرت لهم بأن مهمتى ليست القتال بالسلاح . وبعد خروجهم جاء سائق سيارة الإسعاف وهو من سكان خان يونس فأخبرنى بأنه سيتجه بسيارة الصليب الأحمر إلى هناك ليساعد فى إسعاف الجرحى وليطمئن على أهله . وبدون تردد أو تفكير قررت أن أذهب معه رغم علمى بما فى ذلك من مجازفة قد تكون قاتلة . لقد كان شعورى أن الموت فى بيتى لا يختلف عن الموت هناك مع فارق واحد أن الإنسان يفضل إذا لم يكن من الموت بد أن يموت وهو يعمل شيئاً مفيداً يلقي به الله . هذا إلى جانب أننى هناك أستطيع أن أكون أكثر نفعاً كطبيب . . أما فى غزة فإن جميع مستشفياتها قد خلت من المرضى وهربوا منها لعلمهم من الحوادث السابقة أن اليهود لا يحترمون المستشفيات ، بل إنها دائماً أول أهدافهم . . وخرجنا فى الطريق إلى خان يونس . . ففوجئت بأن هذا الطريق المهجور عادة فى ساعات الليل قد امتلأ بالشباب والرجال متجهين إلى خان يونس لكى ينضموا إلى المقاومة الشعبية هناك . . واكتشفت الطائرات الإسرائيلية هذه الجموع فى الطريق ، فأخذت تهاجمهم بمدافعها الرشاشة فكانوا يختبئون تحت الأشجار أو فى عشب البدو إلى أن وصلنا إلى خان يونس قبل نور الفجر ، فاتجهت مباشرة إلى المستشفى العسكرى للعمل مع زملائي الأطباء .

وظروف خان يونس بالذات هى التى ساعدتها على هذا الصمود إلى النهاية . . وأول هذه الظروف وأهمها أن أبناءها من قوة الدفاع الفلسطينية هم الذين كانوا يدافعون عنها إلى جانب قوة الدفاع المصرية ، وإحساس الإنسان بأنه يدافع عن بيته وعرضه وأولاده يعطيه قوة واستماتة فى الدفاع . وثانيها : هو شخصية قائدهم اللواء العجرودى ، ذلك الجندى الذى أثبتت الحوادث صلابته ورجولته ، كما أثبتت وقت السلم تواضعه وبساطته . فقد كان العجرودى يبيت مع جنوده فى ثكناتهم يتناول طعامه بينهم ويقضى وقته كله فى تدريبهم وحل مشاكلهم ، والتعرف عليهم واحداً واحداً ، ولذلك فعندما قامت الحرب اجتمع حوله الجنود فقال لهم : « أنتم تعلمون أن خان يونس محاصرة الآن من كل جانب ، وتعرفون أكثر أن اليهود لا يحترمون عهداً ولا سلاماً . . فإذا سلمنا فنحن ميتون لا محالة ميتة النعاج . وإذا قاومنا فسوف نموت ولكن ميتة الشهداء . وقد طلب إلى التسليم فرفضت عن نفسى ، ومن أراد منكم الصمود معى فليبق ، وإلا فليرحل من الآن » . وهكذا تكاثرت الجند حوله . وتكاثرت قوته بوصول الإمدادات والمتطوعين من غزة ورفح . وصمد العجرودى ، فكان يبىد صفوف العدو المتقدمة نحوه صفاً وراء صف . وقضى على معظم اللواء الدرزى الذى غررت به إسرائيل ليقاتل مع جنودها

إخوانه العرب ، فكانت تضعهم فى كل موقع فيه قتال عنيف وتسحب جنودها اليهود بعيداً عن الموت ، واستنفذ العجرودى ذخيرته ، وأفواج العدو تتقدم نحوه لا تنتهى ، فأخذ يقذفهم بالقنابل اليدوية حتى أمسكوه باليد ، وأخذ اللواء العجرودى أسيراً ولكنه حتى وهو أسير ظل رافع الرأس عزيز النفس ، فقد رفض الجلوس على الأرض كأى جندى عادى وأصر على أن يظل واقفاً ، فأحضروا له مقعداً ، كما رفض أن يكلمه أى شخص برتبة أقل منه ، فأحضروا له ضابطاً برتبته لسؤاله ، وقد كانت شهامة العجرودى ورجولته موضع إعجاب أهل غزة جميعهم برغم أن صموده هذا قد كلف خان يونس الكثير من أرواح أبنائها . . فقد دخل اليهود بغلهم وأحقادهم وأخذوا يقتلون كل إنسان حي فى طريقهم انتقاماً لخسائرهم ، ولكن شعبنا العربى يحب البطولة والصمود ويقدرهما مهما كلفه ذلك من تضحيات ، فعندما انزاح العدوان عن القطاع وعادت الإدارة المصرية ، كان العجرودى قد رقى إلى رتبة فريق ، ثم عين حاكماً إدارياً لغزة تقديراً لبطولته وصموده . وعندما وصل إلى القطاع خرج جميع الناس أطفالاً ونساء ورجالاً يستقبلونه استقبال الأبطال الفاتحين ، وكانوا يزغردون ويهتفون ودمعة الفرح تترقق فى أعينهم ، وهذا جزاء البطولة والصمود .

انتقام إسرائيل من خان يونس

هدأ دوي المدافع وتوقف إطلاق الرصاص فى خان يونس بعد أسر اللواء العجرودى وساد صمت رهيب . ثم ابتدأت دبابات الجيش الإسرائيلى وسيارات نقل الجنود تتدفق على الشوارع . وكان الجنود خليطاً من اليهود القرائين الذين يطلقون لحاهم مع الجماعات المتبقية من اللواء الدرزى الذى أبيد . . وأخذ اليهود يقتحمون البيوت ويخرجون الشباب والرجال بين سن الخامسة عشرة والخمسين ؛ وكانوا يأمرؤن كل فوج بحفر حفرة فى الساحة الكبيرة . فما أن ينتهى منها حتى يطلقون عليهم النار دفعة واحدة ، ثم يحضرون فوجاً جديداً ويأمرؤهم بدفن زملائهم ثم حفر حفرة جديدة لأنفسهم ، وتكرر منظر طواير الإعدام هذه فى تلك الساحة على مرأى من الزوجات والأمهات والأطفال . وكان بينهم طفل أو غلام فى الرابعة عشرة من عمره أخذوا والده أمامه وجعلوا يضربونه أمامه ضرباً قاسياً بكعوب البنادق ثم ساقوه إلى ساحة الإعدام ، وحمل الغلام سلة مليئة بالقنابل اليدوية وتسلى إلى سطح دار تطل على ذلك الميدان ، وانتظر حتى تجمع عدد من الجنود اليهود فى مكان واحد ، ثم ألقى قنابله فقتل أكثرهم . وظل فى مكمنه يطلق عليهم قنابله

وهم يطلقون عليه مدافعهم الرشاشة إلى أن نفذت ذخيرته . وهنا تسلل بعضهم من خلفه فأمسكوا به ، وفي غل وحقد قذفوا به من سطح العمارة فسقط على الأرض وهو يصيح : « الله أكبر . . الله أكبر . . النصر للعرب » .

مذبحة مستشفى خان يونس

عندما وصلت إلى المستشفى فوجئت بجثث الجرحى من ضحايا المعركة الشرسة تملأ كل مكان . وقد علا أنينهم وصراخهم . وكان أكثرهم من الجنود المصريين والكتيبة الفلسطينية . وكان المستشفى أقرب إلى ميدان المعركة . وقد رقد الجرحى على الأسرة والأرض وتحت الأسرة أيضاً . . وكانت زجاجات البلازما وزجاجات نقل الدم معلقة على الحوائط أو فوق أعمدة الأسرة وأربطة الشاش والقطن تحيط بنا من كل جانب . واتجهت مباشرة إلى غرفة العمليات فوجدت أصدقاء الأطباء والمرضات لا يكادون يلتفتون إلىّ أو يحسون بوجودي من كثرة العمل والإرهاق رغم ما كان بيننا من صداقة حميمة . . وبدأت العمل فوراً دون أن تبادل الكلام أو التحية . . ولم ننم جميعاً في تلك الليلة . . ولم نتناول طعاماً . وعند الفجر كنت واقفاً بجوار سرير أحد الضباط المصريين الجرحى وكان مغمى عليه من شدة التزيف . وقد أجريت له عملية نقل دم بعد أن أوقفت التزيف . وكانت الآهات والصراخ من حولى تملأ الأذان في ذلك العنبر الكبير الذى يضم عشرات الأسرة . . وعلى بعض الأسرة أكثر من جريح .

وفجأة دوت طلقات المدافع الرشاشة بغزارة رهيبة داخل العنبر . وظهر الجنود الإسرائيليون الذين أخذوا يطلقون مدافعهم فى كل اتجاه . وابتدأت الأسرة والجثث والدواء تطير فى الهواء حتى سقف العنبر . وأصاب الرصاص السرير الذى أمامى وجسم الضابط الجريح الذى تطاير إلى أشلاء وسقط فوقى هو والسرير وفقدت الوعى لمدة لا أعرفها . وعندما أفقت كنت غارقاً فى بركة كبيرة من الدماء وفوقى جثة الضابط وفوقها مرتبة السرير . وهذا هو ما أنقذنى من الموت . . واعتقدت أول الأمر أننى ميت . . ولكنى عدت إلى كامل وعى وتفكيرى . واعتقدت أننى قد أكون جريحاً بسبب هذه الدماء . فأخذت أحرك أعضائى بحذر شديد ولكنى لم أشعر بأى ألم . . لقد كانت هذه الدماء من قرب نقل الدم . وخشيت إذا تحركت من مكانى أن يقتلوني فأخذت أنظر حولى دون أن أتحرك . . وأرهف أذنى لأسمع . ولكن المكان كان خالياً من أى صوت أو حركة .

وأخذت أزحف فى بطاء شديد بين الجثث ، وقد تأكد لى أن الجنود قد غادروا المستشفى واتجهت إلى غرفة العمليات فى حذر شديد . . وهناك أصبت بصدمة عنيفة ، فقد تحولت الغرفة التى كانت تضج بالحياة إلى مقبرة جماعية .

فقد قتلوا جميع الأطباء والمرضات والجرحى على النقالات . وهكذا لم يتركوا إنساناً حياً فى المستشفى حتى قسط المستشفى كانت هى الأخرى مقتولة . . وقد استشهد فى هذه المذبحة البشعة ثلاثة من زملائي وأعز أصدقائي الأطباء هم الشهداء الدكتور عبد المنعم حافظ ، والدكتور سامى عبد المجيد ، والدكتور محمد سعيد السيد .

وقد علمت فيما بعد أن هذه الفرقة من جيش إسرائيل بعد خروجهم من المستشفى أخذوا يطلقون النار على كل إنسان فى طريقهم فى مدينة خان يونس حتى بلغ عدد من قتلوهم فى شارع واحد ٤٠٠ قتيل من المدنيين العزل الآمنين . وذلك حسب ما أعلنه الأستاذ فريخ أبو مدين وزير العدل فى الحكومة الفلسطينية هذه الأيام .

ولا أنسى ما حييت الألم النفسى الذى كابده فى أحد الأيام بعد انسحاب اليهود من غزة وانتهاء العدوان الثلاثى . فقد حضرت أسر هؤلاء الأطباء الثلاثة . . منهم الزوجات والأخوات والأمهات . . وطلبن منى أن أدلهن على مكان جثثهم لكى يحملنها معهن لدفنها فى وطنهم العزيز مصر . . واعتذرت فى ألم شديد عن استحالة الاستدلال عليهم . فقد كان قد مضى أكثر من ستة أشهر على هذه المجزرة . وكانت الجثث قد نقلت من المستشفى والمعالم كلها قد ضاعت . فقد كان اليهود فى متهى الحرص على إزالة معالم جرائمهم . . وحتى لو وجدنا جثة أحدهم بين هذه الجثث فى أى مكان . . فما كان يمكن التعرف على صاحبها ، لأن المدافع الرشاشة كانت قد مزقتهم أشلاء وقطع متناثرة . ولم يعد لى بقاء فى المستشفى بعد تلك الأهوال التى رأيتها فيها . . وبعد أن أصبحت مقبرة ضخمة ، وإذا بى أخرج أجرى فى الطريق وقد اعترانى الذهول أو نوع من فقدان الوعي . . كنت أريد أن أصرخ فى الطريق حتى أتأكد من أننى حي ، أو أننى مازلت أحفظ بقواى العقلية ، ولكن الصراخ لم يخرج من حنجرتى ، والظاهر أننى لم أكن فعلاً فى كامل وعيى ، فقد مرت بى دورية إسرائيلية وأخذوا يصيحون بى لكى أتوقف ويطلقون على النار وأنا أتابع الجرى دون أن أعابأ بهم ، فنزل الجند وقبضوا على وأخذونى معهم فى سيارة حبيب إلى ساحة الإعدام . وهناك وقفت فى الطابور أنتظر دورى ، وبينما أنا كذلك



صاع طيب عبد المنعم حافظ
استشهد في خان يونس ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦

أنظر إلى طابور الإعدام بدون أى مبالاة ، إذ حضرت سيارة الإسعاف التابعة لهيئة الإغاثة الدولية ونزلت منها سيدة كبيرة السن اسمها مسز « براجر » وكانت تشغل منصب رئيسة الهيئة التمريضية للوكالة الدولية ، واتجهت السيدة نحو الضابط اليهودى الذى كان يشرف على طوابير الإعدام ، وأخذت تصيح فى وجهه : « انت مجرم حرب ولا بد من محاكمتك وسوف أبلغ كل ما جرى إلى المستر هامرشولد شخصياً ، وسترى » .

ثم أخرجت مسز « براجر » بعض الأراق دفعت بها إلى الضابط الذى أصيب بصدمة وذهول . ومرت فترة قصيرة وهو فى وجوم . ثم صاح فجأة فينا : « ليذهب كل منكم إلى بيته حالاً ، سيعدم كل شخص نجده خارج منزله » . وهكذا أنقذت هذه السيدة أرواح العشرات من شباب خان يونس . ولم يكن لى بيت فى خان يونس أذهب إليه ، فصديقى العزيز عبد المنعم حافظ قد استشهد ولن أجزؤ على المبيت فى بيته وهو جثة هامدة فى حجرة العمليات . وخفت أن ألقا إلى أحد أصدقائى الأطباء الفلسطينيين من أبناء خان يونس حتى لا أتسبب له فى الحرج الذى قد يصل إلى حد الإعدام بتهمة إيواء مصرى . وأخيراً ذهبت إلى عيادة الهيئة ونمت هناك . وانقضى على يومان مختبئاً فى العيادة لا أخرج منها ودون طعام إلا فتات من الخبز ، ثم أعلن اليهود التصريح بالتجول ساعتين فقط . فركبت سيارة الإسعاف وعدت إلى بيتى فى غزة ، وارتميت على فراشى كأنى جثة هامدة ، واستغرقت فى نوم عميق برغم الجوع والعطش .

طلعت .. مرة أخرى

حقاً إن البطولة تفرض نفسها فى كل ظرف وفى كل محنة فتعلو على صوت الأحداث . . فتحول المحنة إلى فرج ، والهزيمة إلى نصر ، وهكذا كان طلعت . لقد تحدثنا فى الباب السابق عن طلعت وبطولته التى جعلت القيادة العامة تسلمه أهم موقع فى غزة وهو موقع « تلة المنظار » . وهى ربوة عالية تشرف على غزة من ناحية وعلى إسرائيل من الناحية الأخرى . وقيل إن اسمها (المنظار) (بالطاء) لأن الواقف فيها يستطيع أن ينظر إلى كل ما حوله من غزة وفلسطين . وقيل إن فيها مقام لشيخ صالح طار إلى هذه القمة وسمى (من طار) واختصرت إلى (المنطار) بحرف الطاء . وعندما سلمت غزة جاء إلى طلعت أمر من الحاكم العام بالتسليم حقناً للدماء فرفض ، وقال كلمته المشهورة : « والله لن أسلم طالما فى يدي سلاح وفى المخازن ذخيرة » .

فاستعاد لنا بتلك الكلمات القليلة ذكريات أجدادنا العرب الأبطال الذين كانوا يقولون :

« فلن أصالحهم مادمت ذا فرس واشتد قبضاً على الأسياف إبهامى »

وأخذ طلعت يقذف جيش إسرائيل ناراً حامية من مواقعه ، وتسلك اليهود من خلف التبة ناحية غزة ، فإذا بطلعت أكثر منهم يقظة وانطلقت مدفعيته تحصدهم . ولجأ اليهود إلى الطيران ، فحضرت فوق التبة ثلاث طائرات صغيرة أخذت تقصفه بقنابلها ، ولكنه كان قد تحصن وأنشأ المخابىء فى التبة فلم تؤثر فيه القنابل . وتربص طلعت بالطائرات فأصاب واحدة إصابة مباشرة فانفجرت فى الجو أمام سكان غزة جميعاً ، وهاجمته الطائرة الثانية فأصابها فى جناحها وسقطت فى البحر وعمود الدخان يتبعها ، وبرغم حظر التجول وخطورة الموقف ، فقد خرج أهل غزة إلى سطوح بيوتهم يهتفون لطلعت فى حماس ويصفقون ، وابتدأ الشباب وكل فدائي معه سلاح يخرج سلاحه من مخبئه ويتسلل فى صمت لى ينضم إلى قوات طلعت ، وبوصول هذه النجادات إلى طلعت واصل صموده ثلاثة أيام متوالية بعد أن سلمت غزة لليهود . وكانت قوات إسرائيل تحاصره فى قلعتة هذه من جميع الجهات . وحاولوا الوصول إليه ، ولكنه كان دائماً يردهم مدحورين فى معارك بالقنابل اليدوية أو بالسلاح الأبيض . وفى مساء اليوم الرابع اقتحم طلعت مع قواته ثغرة فى الحصار المضروب حوله : فقد اخترق الجيش المحاصر من ناحية إسرائيل إلى أن وصل الأردن . وعندما دخل اليهود إلى مواقعه لم يجدوا فيها إلا قوة انتحارية صغيرة هى التى غطت انسحابه مع جنوده .

وما أن وصل طلعت إلى الأردن مع جنوده ومع الفدائيين من أبناء غزة ، حتى نقلتهم الطائرات إلى القاهرة ، ومن هناك أذاعوا بأصواتهم من « صوت العرب » حديثاً جعل كل إنسان فى غزة يبكى فرحاً على سلامة وصولهم . ترى أين طلعت الآن وما هو دور هذا البطل فى حوادث سنة ٦٧ . ترى هل أحيل إلى عمل إدارى . أم أصبح مديراً لإحدى مؤسسات تربية الدواجن أو اللحوم التى يمتلكها القطاع العام ؟

منع التجول

ما أن انتهت أحداث خان يونس وما تبع استسلامها من مذابح للمدنيين الأبرياء ، حتى بدأت إسرائيل تتفرغ لغزة . فقد خرجت سيارات بها ميكروفونات ضخمة تعلن على الأهالى منع التجول وكل من يرى خارج بيته يعدم فى الحال . . قد استمر هذا المنع ثلاثة أيام بلياليها رأت غزة فيها الأهوال .

فقد انطلق جنود إسرائيل يعيشون فساداً في كل بيت وكل أسرة . وكنت وحيداً في البيت لأن زوجتي قد نزلت إلى القاهرة لولادة ابني الأول . . وقد أخذت أفكر فيما أفعله إذا اقتحموا على البيت أو حاولوا السرقة . . ويبدو أن الإنسان إذا كان مرتبكاً وفي حالة فزع ، فإن تفكيره وتقديره للأمور يختل . . فقد جمعت كل مصاغ زوجتي وكل ما خف حمله وغلا ثمنه ، وفتحت جهاز التسجيل ووضعت هذه الأشياء كلها فيه من الداخل . . ثم خبأت الجهاز نفسه في مكان آمن وخفي . وكانت أجهزة التسجيل في ذلك العصر (سنة ٥٦) ضخمة ومصنوعة من الخشب ، فهي أشبه (بالسحارة) . وفي الساعة الثانية ليلاً دق جرس الباب ، وما أن فتحته حتى اقتحمه ثلاثة جنود من اليهود القرائين أصحاب اللحي الكبيرة والطواقى الصغيرة . . ودفعوني بعنف بكعوب البنادق ، ووقف أحدهم مصوباً مدفعه إلى صدرى ، بينما دخل الآخرون إلى البيت لتفتيشه . . وأخذ أحدهم يسألنى بالإنجليزية : هل أنت هنا وحدك ؟ قلت : نعم لأن زوجتي قد نزلت مصر للولادة . . فقال لى باستعجاب شديد : أنتم عائلة واحدة من شخصين وتسكنون في هذا البيت الكبير وحدكما ؟ فلما رأتى لم أفهم سؤاله . . قال زميله : نحن في إسرائيل نسكن كل عائلة في حجرة واحدة وهذا البيت فيه ثلاث حجرات . . وقال الأول سنأخذك الآن إلى السجن وسوف نحضر ثلاث عائلات يهودية لتسكن مكانك . . وبينما هما يتحدثان معى ، إذ حضر زميلهم الثالث وهو يحمل المسجل . . فقد كان هذا أول ما اكتشفه . . رغم أنى أخفيته جيداً حتى خلت أن الشيطان لن يعثر عليه . . وأخذ الثلاثة يتحدثون معاً بالعبرية عن اقتسام الغنيمة . . فقد كان هذا المسجل بمثابة غنيمة كبيرة . . ولو علموا أن بداخله ذهب ومصاغ لكنت الغنيمة أكبر .

ووقفت أمامهم فى حسرة المغلوب على أمره ولم أتكلم . . وبعد تداول وتشاور بينهم ، قال لى أحدهم : إن جيش إسرائيل سوف يصادر هذا الجهاز . . وإذا حضرت إلى مكتب الحاكم العام فى الصباح فسوف نعطيك إيصالاً به إلى حين انتهاء الحرب . .

وحقيقة إن فقدان الجهاز والذهب كان يمثل خسارة موجهة بالنسبة لى . إذ كنت فى مقتبل العمر ولا أملك شيئاً ذا قيمة إلا هذا الصندوق الخشبى . . ولكن بعد ذلك تبين أنه كان سبب نجاتى من موت محقق .

فعندما أشرق شمس اليوم التالى من أيام منع التجول . . أخذ كل جار يتعرف على أحوال جاره وما حدث له بالليل . . فعلمت أن الجنود كانوا يقتحمون البيوت . . يسرقون

وينهبون . . وإذا أعجبتهم سيدة أو فتاة يغتصبونها أمام أهلها . . وإذا اعترضوا يطلقون عليهم النار . وهكذا أطلقت إسرائيل العنان لجنودها ثلاثة أيام متوالية يعيشون في المدينة الجريحة فساداً وعدواناً وقتلاً . . ورغم هذه المحنة العنيفة التي عاشها أهالي غزة . . فقد ظهرت بينهم روح من التعاون والتعاطف لم أشهد مثلها في حياتي . . وكانوا يعرفون إنني وحيد في البيت وليس لدى أى مخزون من الطعام ، إذ كنت أتناول جميع وجبات الطعام في النسادى المصرى في غياب زوجتي . . فما أن تباعد الدوريات ويخلو الطريق من الجنود ، حتى يأتى أحد الجيران رجلاً أو امرأة أو طفلاً وهم يتسللون في الحديقة ويختبئون خلف الأشجار لكي يقدموا لى طعاماً أعدته الأسرة . . وكنت أعتذر أول الأمر لأننى أعلم أنهم أيضاً ليس لديهم مخزون كافى لثلاثة أيام . . ولكنهم أفهمونى أنهم قد اتفقوا جميعاً . . أن كل من لديه فائض فى أحد مواد التموين يقدمه إلى الآخرين ، وأنهم يستطيعون الصمود بفضل هذا النظام أسبوعاً كاملاً .

وبعد مرور الأيام الثلاثة مرت السيارات مرة أخرى فى اليوم الرابع وأعلنت فتح باب التجول لمدة ساعتين فقط . وأمروا بفتح المحلات التجارية وأى تاجر يمتنع عن فتح دكانه يتعرض للموت .

وكننت أظن أن الأهالى سوف ينهالون على المتاجر والمخابز لتخزين الطعام . . ولكنى فوجئت بأن فى كل أسرة قتيل أو جريح . . وأنهم خرجوا ليدفنوا قتلهم أو يسعفوا جرحاهم الذين ظلوا يتزفون وبدون إسعاف ثلاثة أيام متوالية . وقد اتجهت من فورى إلى المستشفى لأشارك فى الإسعاف .

طابور الإعدام مرة أخرى

بعد مرور أسبوع كامل من منع التجول والنهب والسرقه ، مرت السيارات مرة أخرى تعلن فى مكبرات الصوت أن كل رجل من سن ١٢ سنة حتى سن ٦٠ عليه أن يتوجه إلى مراكز التجمع والفحص القريبة من بيته ، وأن كل من يتخلف فى البيت سيعدم فى الحال . وأسرع الناس إلى الميادين العامة ، حيث أقيمت أسلاك شائكة . . وأخذ الجنود يجلسونا على الأرض فى صفوف متراسة . وأخذوا يستجوبوننا واحداً واحداً ، وكان أهم سؤال لهم : « هل حاربت إسرائيل فى سنة ١٩٤٨ » . وجاء الدور على صديق لى من الشباب الفلسطينى الثائر . فإذا به يجيب الضابط اليهودى قائلاً :

- لماذا تسألنى هذا السؤال . وأنت تعلم بالرد عليه ، هل تريدون أن تأخذوا أراضينا وأموالنا وبلادنا ثم بعد ذلك لا تتوقعون أن نحاربكم . كن متأكداً من الآن أن كل لاجئ فلسطينى فى هذا القطاع قد حاربكم دفاعاً عن أرضه عرضه . ولا داعى لأن تتعب نفسك بالسؤال وتكلفنا مشقة الجواب ؟

واستشاط الضابط الإسرائيلى غضباً من هذا التحدى الصارخ . . فأخذ يصيح فى الجنود قائلاً : « خذوه إلى شمونى . . إلى شمونى » .

فأخذت أسأل ما معنى شمونى ، فقالوا لى إنها بالعبرية تعنى قسم ثمانية . . فقد قسموا الناس إلى ثمانية أقسام أخطرهم هم أهل شمونى ، فهؤلاء مصيرهم إلى طواير الإعدام . . وكان الجنود يعاملون كل من يرسلونه إلى شمونى بوحشية بالغة . . فيسددون إلى ظهره حراب بنادقهم . . ويدفعونه دفعاً إلى قسم تحيط به الأسلاك الشائكة ، وكان يقف على حراسة شمونى مجموعة ضخمة من اليهود القرائين ، وهو نوع من اليهود المشهورين بالتعصب الأعمى . فهم يطلقون لحاهم وسوالفهم ويلبسون طاقية سوداء وتفوح منهم رائحة كريهة . . ولا يعرفون أى لغة غير العبرية . ومرت ساعات طويلة ونحن جالسون تحت وهج الشمس المحرقة على الأرض . وكان إلى جانبى إثنان من زملائى : هما الدكتور / عبد الحميد جنيته ، والدكتور / الياس أصلانيدس . . وكنا على ثقة بأنهم سيطلقون سراحنا بمجرد أن يعرفوا أننا أطباء فى هيئة الأمم ، ولذلك فقد أخذنا نزحف لتعجل دورنا . . ووقفنا نحن الثلاثة أمام الضابط المحقق فتناول أوراق الدكتور أصلانيدس أولاً ونظر فى بطاقته الشخصية وبطاقة هيئة الأمم وكاد أن يصرفه . . ولكن الدكتور أصلانيدس أخرج من جيبه باسبوره المصرى (جواز سفره) وقدمه إليه . . فما أن نظر إليه حتى صاح فى وجهه قائلاً :

- إذا أنت مصرى يا دكتور . . ولست يونانياً .

فرد عليه أصلانيدس بعربيته (اليونانية) :

- أنا ولدت فى مصر . . وعشت فى مصر . . وسأمت فى مصر .

فصاح الضابط قائلاً :

- أنت ستموت هنا وليس فى مصر . خذوه إلى شمونى .

فرد عليه الطبيب قائلاً :

- إذا كان أنا شمونى . . يكون أنت مجنون .

وهكذا ارتبك الجو . . وتقدم عبد الحميد جنيته ، فكان أول سؤال وجهه المحقق إليه ، هو السؤال التقليدي :

- هل حاربت إسرائيل في سنة ١٩٤٨ ؟

فرد الدكتور جنيته بأسلوبه الساخر :

- عام ١٩٤٨ !! هذا تاريخ بعيد وأنا ذاكرتي ضعيفة . . ولكن دعني أتذكر . . !
ثم أخذ يعد السنوات على أصابعه وهو يتمم ٤٨ من ٥٦ فيها ثمانية ومعاننا واحد وأربعة من أربعة فيها صفر . . ولم يدعه المحقق يتم كلامه ، فقد صاح بسرعة :

- شمونى . . شمونى . . شمونى .

فقفز الجنود نحوه وأخذوا يدفعونه بحربة البندقية ويقولون له : « اركض . . اركض » وجاء الدور عليّ فأعطيته أوراقى كلها فنظر إلى وصاح :

- هل أنت طبيب معهم ؟

فقلت : نعم أنا معهم فى شمونى .

فضحك . . وقال :

- آه يا فراغنة . . خذوه معهم إلى شمونى .

وأدركنا أن إسرائيل لا تبحث حقاً عن الفدائيين . . إنما تبحث عن كل شاب قادر على حمل السلاح لكى تتخلص منه . . وامتلاً قسم شمونى بالشباب من مصريين وفلسطينيين حتى ضاق بمن فيه .

وكان الدكتور أصلانيديس أكثرنا هدوءاً وثباتاً . . فهو قد اشترك من قبل فى الحرب العالمية الثانية وقاتل قوات الاحتلال النازية فى اليونان . . ولم يفقد طبيعته المرححة ، بل كان بين الحين والحين يهمس فى أذنى قائلاً :

- أشوفك بخير فى الناريا ولديا أحمد . . سلم لى على أهل الناريا ولد .

وبينما نحن على هذه الحال ، إذ مرّ طبيب يهودى ومعه رئيس أطباء هيئة الأمم المتحدة الدكتور « جرتنباخ » وأخذ الطبيب اليهودى ينادى قائلاً :

- إذا كان فيكم طبيب أو ممرض فى هيئة الأمم فليخرج من مكانه ويلتحق بعمله .

وهنا قمت مسرعاً من مكاني وقفزت فوق الأسلاك الشائكة ، ولكن الحرس اليهود لم يفهموا ما قاله ذلك الطبيب بالعربية واعتقدوا أننا نريد الهرب ، فأطلقوا النار فوق رؤوسنا فانبطجنا أرضاً . . . ومربنا الدكتور جرتنباخ ونحن الأطباء الثلاثة على هذه الحالة . والتقت عيني بعينه ، ولكنه أدار رأسه فجأة إلى الناحية الأخرى متظاهراً بأنه لم يراني . . . ولكن الطبيب اليهودي تنبه إلينا فأشار إلى الضابط يسأله : « هل هؤلاء من الهيئة الطبية ؟ » فقال له الضابط : نعم .

فقال : ارسلوهم إلى عملهم .

ومهما مربى الزمن فلن أنسى مدى احتقاري لهذا الطبيب الهولندي الذي بلغت كراهيته للعرب هذا الحد الذي يتمنى فيه إرسالنا إلى طوابير الإعدام . . . وكنت أعرف سبب هذا الحقد من كلمة قالها لى مرة :

« إن عبد الناصر هو سبب طردنا من أندونيسيا ، وهو سبب كل الثورات فى جميع أنحاء العالم » .

العمل تحت الحكم الإسرائيلى

استلمت عملى فى معسكر (جباليا) للاجئين ، وكم كانت الحياة شاقة وقاسية تحت حكم إسرائيل وارهابها . . . وكم من الليالى مرت بى وأنا لا أعتقد أنني سأرى نور الصباح . . . كان التجول ممنوعاً من غروب الشمس حتى مطلع الفجر . . . وكانت الدوريات الإسرائيلية كل ليلة تمر وتطلق النار دون إنذار على أى شخص يتحرك خلال الليل . . . وكانوا يفتحون البيوت عنوة فإذا وجدوا شباباً أخذوهم إلى الإعدام . . . وإذا وجدوا نساءً اعتدوا على أعراضهن . . . وفى إحدى الليالى مرت الدوريات فرأى الجنود فتاة فى أحد معسكرات اللاجئين وقد خرجت من بيتها لتذهب إلى دورة المياه . . . وهذه الدورة فى المعسكرات عبارة عن كوخ خشبى صغير منعزل عن البيوت وفيه حفرة وخزان للماء . . . ونزل الجنود بهدوء ثم انقضوا على الفتاة المسكينة فأمسكوها . ثم قام زميل لهم واعتدى على عرضها وقد كتفوها له . وسمع والدها ، هو شيخ ضير ، الصراخ فخرج مهرولاً وأخذ ينادى جيرانه طالباً الرحمة بابتته وإنقاذها . . . وهنا نزلت إحدى المجندات من السيارة وانقضت على الشيخ الأعمى فأسقطته على الأرض ، ثم وضعت حذاءها العسكرى الضخم على رقبته وصوبت مدفعها الرشاش نحو اللاجئين الذين أطلوا من بيوتهم على الصراخ . وقالت لهم : من يخرج سأطلق عليهم النار .

كان هذا المنظر البشع لا يبعد بضعة أمتار عن حجرة نومي في العيادة . . أخذت أنظر في ضوء القمر إلى تلك المرأة المتوحشة . كان وجهها قبيحاً غليظ القسما يتدلى فوقه شعر أحمر وأبيض وأسود من كثرة الأصباغ . وقلت لزملائي :

- أكاد أقسم لكم أن هذه المرأة لا يمكن إلا أن تكون من الداعرات قبل تجنيدها .

وهنا قال الممرض الفلسطيني الذي كان يقف إلى جوارى :

- فعلاً يا حكيم . إن هذه المرأة كانت تعمل في أحياء الدعارة في تل أبيب ، وأنا أعرفها فهي قوادة .

وهكذا لم تتخل تلك المرأة عن مهنتها القديمة وهي في ملابس التجنيد . فقد ظلت واقفة تحمي زملاءها بمدفعها الرشاش وهم يتبادلون هتاك عرض الفتاة حتى بعد أن أغمى عليها . وكنت أسمع كلاً منهم ينادى زميله بالعبرية قائلاً : « بوينا . . بوينا » . . وانتهى الجند من ذلك العمل القذر الحيواني . فرفعت المرأة قدمها عن الشيخ وأخذت تصيح فيه :

- قم أركض يا (وسخ) . . ولكن الشيخ كان قد فارق الحياة فظل في مكانه جثة هامدة .

وفي نفس تلك الليلة اقتحم ضابط إسرائيلي في غزة منزل صلاح اللبايدي المدرس في المدارس الثانوية . . وكانت زوجته السيدة ميسر اللبايدي امرأة جميلة فحاول الضابط الإسرائيلي الاعتداء عليها ، فأخذت تصرخ وتستغيث . فاستيقظ أطفالها فزعين فأخذوا يصرخون . . وكان الزوج في زيارة لجيرانه فحضر مسرعاً على الصراخ . . وهنا فاجأه الضابط بإطلاق النار وأرداه قتيلاً أمام زوجته وأولاده . . ولم يهدى منظر الدم والصراخ من غريزته الحيوانية ، فعاد يهاجم السيدة من جديد ، فأخذت تدافع عن نفسها بأظفارها وأسنانها وكل ما تصل إليه يداها . . وعندما مل الضابط الإسرائيلي المتوحش هذا الصراخ أطلق مسدسه على السيدة ميسر وترك جثتها وجثة زوجها على الأرض وسط صراخ الأطفال وخرج .

وفي الصباح تجمع نساء المعسكر في مظاهرة كبيرة اتجهت نحو مركز الحاكم العام في غزة « صاغان ألوف حايم جاعون » وأخذت تهتف بسقوط الدولة البغي ووصلت المظاهرة إلى غزة فانضمت إليهن نساؤها وفتياتها ، وتابعت المظاهرة سيرها رغم حصار الجنود لها . . وحاول الجند تفريقها بإطلاق النار إرهاباً في الهواء . ولكن الموت كان أحب إليهن من تلك الحياة . « واليائس أخطر من أن تخيفه بالموت وطلقات الرصاص » . . ووصلت



مظاهرة نسائية في غزة . عند حوادث الاعتصام وسط الأعراس . من الجرد الأسر البلية وقد خرجت يحملن
الإعلانات بالإنجليزية والعربية ويهتفن بسقوط إسرائيل . وقد سارت المظاهرة مسيرة سابعة كاملة في شجاعة
ليس لها مثل غير طابعت بالصحف المهيم حولهن حتى خرج لهن الحاكم العام اليهودي رعد بأقالي جنوده .

المظاهرة إلى مكتب الحاكم فأطلق عليها حراسه النار فقتلوا فتاتين وجرحوا عشرات ولكنهن لم ينصرفن وكن ينادين : « نريد مقابلة الحاكم » . فخرج لهن جاعون ووعد بإيقاف جنده عند حدهم وعدم تكرار تلك الحوادث .

ولم تقتصر أعمال (جيش الدفاع الإسرائيلي البطل) على عمليات الإعدام الجماعى للشباب ، ولا عمليات انتهاك أعراض النساء . . ولكنهم لم يرحموا حتى الأطفال . . فقد كانت الدوريات تلقى فى الليل أمام بيوت اللاجئين بعض قطع الحلوى الملوثة ، فإذا أكلها الأطفال فى الصباح أصيبوا بالتسمم . . وكثيراً ما كانوا يلعبون بهدايا صغيرة على شكل أقلام الحبر أو لعب الأطفال ، فإذا أمسك بها الطفل ليلعب بها انفجرت فى يديه وبرت أصابعه .

اعتقال العائلات المصرية

وكانت أسوأ معاملة يلقاها أحد فى القطاع من نصيب المصريين بالذات . فقد كانت إسرائيل تحاول بكل وسيلة أن تجبرنا على المطالبة بمغادرة القطاع حتى تستغل هذا الحادث فتفهم إخواننا اللاجئين الفلسطينيين أننا قد تخلينا عنهم فى وقت المحنة . . فلما فشلت سياسة الإغراء ، لجأت إلى القوة فجمعت العائلات المصرية فى منطقة سكنية وحاصرتهم بالأسلاك الشائكة ومنعتهم من مغادرتها إلى أن يوقعوا على طلب العودة إلى مصر . واكتشفت إسرائيل أن هذه الطريقة قد قلبت الأمور إلى عكس ما توقعت . فما أن أحس أهالى غزة بأن المصريين محاصرون ويلقون العنت والإرهاق فى سبيلهم حتى بدأوا يتسابقون فى مساعدتهم والتعاطف معهم . . وكانت كل يوم تصلهم الهدايا والحلوى من الأسر ومن المحلات التجارية ، وأولها صاحب محل « ساق الله للحلويات » . فقد كنت أرى هذا الرجل كل يوم يجر بنفسه عربية صغيرة عليها أكداش من الحلوى التى يتقن صنعها ويقف أمام الأسلاك الشائكة يوزع حلواه مجاناً على المحاصرين . وكان هناك رجل من أثرياء غزة وأعيانها اسمه « الحاج عجور » دفعته نخوته إلى أن يشتري كل ما استطاع من البطاطين والمأكولات الجافة يقدمها هدية إليهم . . وهكذا أصبحت العائلات المصرية قبله الجميع أثناء ساعات السماح بالتجول . . وعند ذلك قرر اليهود ترحيلهم بالقوة . . واجتمعنا نحن الأطباء المصريون وتداولنا فيما نفعله لو أجبرتنا إسرائيل على الرحيل . . وقررنا أن أذهب نيابة عن زملائى إلى رئيس أطباء الهيئة الهولندى الدكتور جرتنباخ وأخبره برغبتنا فى عدم التخلّى عن إخواننا اللاجئين مهما لقينا من عذاب . وأن كل ما نطلبه من



الأسر المصرية في قطاع غزة وقد أجبرتهم إسرائيل على الرحيل في هذه السيارات .. زوى الحلات التجارية وفد
إغلقت إسرائيل احتجاجاً على ترحيل المصريين وحرمات الأهالي من خدماتهم .

هيئة الأمم هو أن تعاملنا كما تعامل الموظفين الدوليين ، أى تقوم بحمايتنا من السجن والاعتقال . . وفوجئت بهذا الرجل الحقود يقول : « أعتقد أن الهيئة لا يمكنها حمايتكم . ولو أخذكم اليهود إلى المسلخ وجعلوا منكم لحماً مفروماً يباع فى العلب فإن الهيئة لا تستطيع التدخل » . وأسرت هذه الحادثة فى نفسى بعد أن تكشفت ندالة هذا الرجل . . وقررت مع زملائى عدم الاعتماد على الهيئة ومواجهة المصير دون مساعدة من أحد إلا من الله . . وما أن حضرت السيارات لجمع العائلات المصرية تمهيداً لترحيلها إلى مصر عن طريق العريش والقنطرة حتى اختفينا نحن الأطباء فى بيوت اللاجئين فى معسكراتنا إلى أن خرجت السيارات خارج غزة . . وكان يوم رحيلهم يوماً مشهوداً حزيناً . . فقد أخذت العائلات الفلسطينية تودعهم بالبكاء والنحيب ويقولون لهم : « انشاء الله عائدون . . انشاء الله راجعون . . سلموا على عبد الناصر » . . وقرر التجار الإضراب احتجاجاً على جريمة إسرائيل حتى خلت جميع شوارع غزة من الناس وقضت يومها كله فى مأتم . . وقد استطعت من المنزل الذى اختبأت فيه أن التقط تلك الصورة التى يراها القارىء للسيارات أثناء الترحيل وقد أغلقت جميع المحال التجارية . . وفى اليوم التالى بعد أن هدأت العاصفة عدنا نحن الأطباء إلى عياداتنا ، فحضرت الشرطة الإسرائيلية واعتقلتنى وأودعتنى السجن يومين ، ثم أفرجت عني دون تحقيق وعدت إلى العمل عندما أعلن اللاجئين أنهم يرفضون تناول أى دواء مهما كان نوعه من أى طبيب يهودى .

إسرائيل تحاول بث الفتن الطائفية

إذا كان الاستعمار الغربى قد ابتدع فكرة « فرق تسد » . فإن شعب إسرائيل هم أول من خلق فكرة الفتن الطائفية والوقية بين الأديان . . وفى بروتوكول حكماء صهيون أعلنوا هذا المبدأ صراحة : « يجب أن ننشر فى سائر أقطار العالم الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة » . ومن خططهم التى وضعوها لتمزيق العالم العربى ، أن يقسموا البلاد العربية إلى طوائف دينية وعنصرية ويثروا الفتن بينها ، كما كان يفعل الاستعمار الفرنسى فى لبنان وسوريا . فالمسيحيون يقسمون إلى كاثوليك وبروتستانت وارتذكس وموارنة . . والمسلمون يقسمون إلى شيعة ودروز وسنة . . وجاءت إسرائيل تطبق سياستها هذه فى غزة . . ونسيت أمراً هاماً . . وهو أن فلسطين بالذات والشعب الفلسطينى قبل أى شعب عربى آخر من الصعب جداً تقسيمه وتفريقه بإثارة النعرات الطائفية والدينية فيه . . لا لأن

المحن التي تعرض لها هذا الشعب قد صهرت قلوبهم ووحدت بينهم فحسب . . ولكن أهم من هذا لأنك قد تجدد العائلات المسلمة والمسيحية تربط بينها صلات القرابة منذ مئات السنين . . بل أن العائلة الواحدة قد يكون منها فرع مسلم وفرع آخر مسيحي مشترك معاً حتى اليوم في اسم الجدود ويعيشون معاً في نفس المدينة في سلام ومحبة وتعاون .

ابتدأت إسرائيل خططها الخائبة في شهر ديسمبر ١٩٥٦ ، عندما ذهب وفد من حاخامات اليهود لزيارة كنيسة غزة مدعين بأنهم يسعون للتقارب المسيحي اليهودي . وكان قصدهم من تلك الزيارة إثارة حفيظة المسلمين تمهيداً للإيقاع بين الطائفتين . وكان المسئول عن كنيسة غزة هو ذلك العربي الأصيل القس حنا النمرى . . كان أبونا حنا من الوطنيين المتطرفين وكان معروفاً بمواقفه العربية والوطنية منذ حرب سنة ١٩٤٨ . وطلب اليهود من أبونا حنا أن يقيم الزينات والأفراح وأن يجعل الاحتفال بعيد الميلاد في هذه السنة أروع منه وأعظم من كل سنة ماضية . وقالوا له إن إذاعة إسرائيل وصحافتها سوف يشتركون معه بإذاعة خطابه وتشجيعه .

وتنبه أبونا حنا على الفور إلى حقارة تلك الخطة الخبيثة فقال لهم :

- «هل حضرتم لزيارتي كوفد ديني أم وفد سياسي ؟

فقالوا له :

- وفد ديني .

فقال : فهل يمكنني كرجل دين أن أقيم مثل تلك الاحتفالات ودماء الضحايا والشهداء من أبناء بلدي لم تحف بعد . . إنني سأجعله يوماً حزيناً ولن أحتفل بالميلاد إلا في ظل الحرية .

فقال أحد الخامات :

- ولكنك لست منهم ولم يقتل في الحرب رجل مسيحي واحد .

وهنا احتد أبونا حنا قائلاً :

- ماذا ترونى . . هل ترونى إنجليزياً أم فرنسياً . . أم تحسبونى بلا وطن ولا جنس مثلكم . . إننى عربي مسيحي وسأعلن على الناس كل ما قلتموه لى حتى يحتاطوا منكم .

وخرج وفد الحاخامات خائباً غاضباً وأبلغوا حكومتهم ، فصممت إسرائيل على الانتقام بطريقتها الحقيرة الدنيئة . . وفي يوم عيد الميلاد المجيد اتجه الأطفال مع أهاليهم إلى الكنيسة فإذا بهم يجدون الهدايا والألعاب وقطع الحلوى على عتبات الكنيسة ومدخلها .

وأكلوا الحلوى فأصيبوا بالتسمم وفتحوا الهدايا فانفجرت فيهم وقطعت إحدى تلك المتفجرات يدى طفلة صغيرة فى الرابعة من عمرها وشوهت وجهها . . وثار القس العربى على تلك المؤامرة الخسيسة وأخذ يهاجم الاحتلال الصهيونى علانية فى جميع صلواته وخطبه ، بل قام بقيادة مظاهرة إلى مقر الحاكم العام وهو يهتف : « عاشت المسيحية مع الإسلام ولتسقط الصهيونية المجرمة » . وإلى هنا لم تسكت إسرائيل ولجأت إلى آخر طريقة فى جعلتها . . ألا وهى الاغتيال . . الوسيلة الوحيدة التى يحل بها اليهودى مشاكله المستعصية . . وكان أبونا حنا لا يخرج فى الأسواق ولا يرى فى الطريق إلا حاملاً بين يديه تلك الطفلة البريئة التى شوهتها الألغام التى وضعها اليهود . . وكان منظرها وحده أسوأ دعاية لوحشية إسرائيل . . وترصد اليهود به فى الطريق فأخذوا يتبعونه إلى أن وصل إلى مكان مهجور فأطلقوا عليه النار ولما سمعوا صرخته ولوا هارين . . ولكن الرصاصة أصابت الطفلة المسكينة فقتلتها بين يديه وسلم القس وأخذ يقص على كل من رآه قصته ويقول : « أنا أعرف أننى لو قُتلت لأذاعت إسرائيل أن أحد المسلمين قد قتلنى لكى تستفيد من موتى فى خلق فتنة . . ولكن الله قد حمانى لأفصح المعتدين الأثمين وأصون وحدة بلادى » . ولا يفوتنى هنا أن أذكر عن هذا الرجل البطل أنه كان يعطف على المسلمين والمسيحيين على السواء دون تفرقة . . وكان يوزع هدايا البابا على جميع المحتاجين دون النظر إلى دينهم ، بل كان يساعد الفدائيين ويأوى الجريح منهم فى كنيسة .

حاكم غزة

ذات يوم جاءنى مندوب من البوليس الحزبى الإسرائيلى وأخبرنى أن الحاكم العام « صاغان ألوف حاييم جاعون » يريد أن يزور عيادة جباليا التى أعمل فيها . . ولم أجب بكلمة واحدة ، فقد كنت أعلم أنه يقصد إبلاغى وليس استئذانى . وبعد ساعة حضر الحاكم العسكرى العام ومعه أركان حربه الذين خاضوا معركة غزة وخططوا لها . . وكانوا فى العقد الثالث من عمرهم ولا يبدو أن أكبرهم يزيد عمره عن ٣٥ سنة . . وتظاهر الحاكم بالتمسك بأصول اللياقة والتهذيب ، فقد ابتدأ حديثه قائلاً :

- أرجو أن تعتبر هذه الزيارة للتعارف والصداقة لا أكثر ولا أقل .

ورغم شعورى بأن هذه المجاملة مجرد تمثيل وخداع ، فيجب أن أعترف أننى قد دهشت لعباراته المؤدبة التى لم نعتدها من جنود إسرائيل منذ احتلالهم غزة .

ثم استأذن منى وجلس هو وأركان حربه . وكان إلى جوارى زميل لى هو الدكتور / أنور هو شاب مصرى درس الطب فى سويسرا ، وكان معنا أيضاً السيد مصطفى أبو مدين مدير معسكر اللاجئين ، والسيد خليل ريان الاخصائى الاجتماعى فى هيئة الغوث . . وبدأ الحاكم الحديث عندما لاحظ كتاباً بالإنجليزية على مكتبى ، هو رواية (تاجر البندقية) من شعر شكسبير . ولا أنكر أننى تعمدت وضعها فى مكان ظاهر ليلاحظها لأنها تظهر حقيقة الخلق اليهودى وحقارته بتحليل عميق .

وقال بالإنجليزية : هل قرأت مسرحية شكسبير هذه يا دكتور ؟

قلت :

- نعم ، إننى من المعجبين جداً بشعره . . ألا يعجبك أنت !

قال :

- إنه يعجبنى بدون شك ، ولكن هذه المسرحية فيها الكثير من المغالطة والكذب عن اليهود .

قلت :

- إن معظم مسرحيات شكسبير ليست خيالية ، بل لقد اتهم فى كل عصر بأن كل فضله أنه أخذ القصص من التاريخ ووضعها فى إطار شعرى ولم يخلق قصة واحدة من خياله .

ولم يرقه تعليقى ، وقال :

- هل تصدق أن شيلوك المرابى اليهودى فى هذه المسرحية كان يشترط على مدينه إذا لم يسدد الدين فى مواعده أن يقتطع رطل لحم من جسده .

هل من المعقول أن يكون هناك قانون يسمح بذلك فى الأساس ؟

فقلت :

- أرجو أولاً أن لا تغضبك المناقشة مادمت قد أثرتها .

فقال :

- إننا نقدر حرية الرأى . ويمكن لأى رجل إسرائيلى أن يسب رئيس الجمهورية دون أن يعاقب أو يلام فخذ راحتك .

فقلت ضاحكاً :

- أرجو أن تضم صوتى إلى صوت ذلك الرجل .

ثم قلت :

- لقد تحررت تلك النقطة بالذات فوجدت أن القانون الرومانى فى ذلك العصر كان فعلاً يعجز للدائن حق اقتطاع فلذة من لحم المدين إذا كتب ذلك فى شرط الدين . . فالقضية فعلاً حقيقية ومحتملة الوقوع .

وكاد الجحش أن يتكهرب ونحن بعد فى أول جلسة . . وتدخل زميلى الدكتور أنور قائلاً :

- لا تؤاخذونى فأنا ضعيف فى الإنجليزية . . هل تتكلمون الفرنسية حتى أشارككم الحديث ؟

فقال جاعون :

- لا مانع فمعنا ضباط من أصل فرنسى وأشار إلى أحد زملائه مبتسماً . . واتخذ حديثنا بالفرنسية وجهة أخرى . فقد بدأنا الحديث عن الهوايات . ولما علم أننى من المغرمين بالموسيقى الكلاسيك ، بادرنى بالسؤال عن رأى فى الموسيقيين اليهود فقلت له :

- إننى معجب بموسيقى مندلسون . وسمفونيات ماهر وأغانيه . . ويعجبني عزف يهودا مناحم على الكمان وروبشتاين على البيانو . . وعددت له آخرين وقلت له إن الفن لا يعرف التعصب .

وأخيراً تطرق الحديث إلى موضوع الإنسانية وأثر الحروب عليها . وجرنا الكلام إلى الموضوع الحساس وهو قضية اللاجئين .

فقال الحاكم الإسرائيلى :

- لعلك كطبيب تعرف أن الحروب يحدث فيها أخطاء كثيرة وغير مقصودة وأن ضحايا هذه الأخطاء هم المدنيون قبل العسكريين .

وانتهزت هذه الفرصة . . وقلت له :

- مرة أخرى أرجو أن تتيح لى فرصة التحدث معك بصراحة . . إننى لا أنكر أن هناك فرصة لوقوع أخطاء فى الحروب تترك وراءها العديد من الضحايا ، ولكن هناك أشياء لا يمكن أن نعتبرها أخطاء مهما حاولنا تبريرها . . فلا يمكننا أن نعتبر اعتداء جنود الدورية الإسرائيلية الرسمية على البيوت والأعراض من قبل الصدفة أو الخطأ . . كذلك إلقاؤهم الهدايا الملوثة والحلوى المسمومة . . ونسف مستشفى خان يونس وقتل أطباءه .

وأردت أن استرسل لأعدد فظائع هذا الجيش ، ولكنه قاطعنى صارخاً :

- مهلاً يا دكتور . . إن جيش الدفاع الإسرائيلي لا يمكن أن يفعل ذلك . . فنحن شعب متمدن ومثقف . . لقد قرأت تقاريرك التي ترسلها إلى مدير عام هيئة إغاثة اللاجئين تتهم فيها جيشنا باللقاء الهدايا المحملة بالألغام . وأؤكد لك كما سبق أن أبلغت هيئة الأمم بأن هذه الألغام قد تركها الجيش المصرى أثناء انسحابه ولا دخل لنا بها إنها مخلفات حرب .

وابتسمت عندما سمعت هذه الجملة التي لا تجوز على الأطفال . . وبرغم شعورى بمراوغته فى الرد ، فقد أصررت على مواصلة الكلام قائلاً :

- هل تحب يا سيادة الحاكم أن ترى بعض هؤلاء الأطفال الذين انفجرت فيهم القنابل . . وتسمع بنفسك قصتهم من لسانهم .

فقال :

- لقد رأيت حالات كثيرة فى المستشفيات وتأكد لى أن جنودنا غير مسئولين عنها .

وعند ذلك أدركت أنه لا فائدة من الجدل معه . . فأنت تستطيع أن تجادل الرجل الذى يريد أن يصل إلى الحقيقة ويعرفها . . أما الرجل الذى يريد إضاعة الحقيقة فلا فائدة من جداله . . ولا إقناعه . . ولكن هذه المناقشة قد أشعرتنى أن هذه الحوادث قد تمت عمداً بمعرفة حكومة إسرائيل وبأمر مخابراتها . فهم لا يكتفون بإعدام الشباب ، ولكن أيضاً يقتلون الأطفال الأبرياء . . أو يصيبونهم بعاهات مستديمة تعجزهم إذا صاروا شباباً عن العمل ومحاربتهم . . وقد زاد يقينى من هذا الأمر بعد ذلك فى سنة ١٩٦٩ . فقد وقف المدعى العام اليهودى فى تل أبيب أثناء محاكمة الفدائيين العرب الذين اعتقلتهم إسرائيل وقال فى اتهمته الذى نشرته الصحف :

- هؤلاء الفدائيون الذين ترونهم أمامكم هم أطفال الأمس الذين تركهم جيش الدفاع الإسرائيلى أحياء عندما احتل غزة سنة ٥٦ . ولم يكن عمر أكبرهم يزيد عن العشر سنوات .

كأنه كان يقول : « لو أن الجيش الإسرائيلى قضى عليهم جميعاً لكانت إسرائيل اليوم فى أمان » .

وهكذا انقضت ثلاث ساعات فى حديث متواصل مع الحاكم العام . . والحق أقول أنه واسع الثقافة كثير الطلاع . . ولكن رغم الجهود التى بذلتها لم أحصل منه على وعد يحدد نشاط جنوده فى العدوان على أعراض الناس واللقاء الهدايا المسمومة والمغممة .

وعندما خرج من العيادة وجد بعض أطفال اللاجئين يلعبون فى الطريق ، فمال نحوهم ملاطفاً وقال بعربية ركيكة :

- لماذا لا تذهبون إلى المدرسة أيها الأطفال ؟

فأجابوا : أبونا يقول أن اليهود يضعون السم لأطفال المدارس ويقطعون أصابعهم .

إسرائيل تعلم العرب الإسلام

لم تكدر بضعة أيام على زيارة الحاكم الإسرائيلى جاعون ، حتى جاءنى مدير التعليم الذى عينته إسرائيل للإشراف على مدارس القطاع . . وهو يهودى من أصل عربى يضع عيناً زجاجية ، كما يحمل سماعة أذن لضعف سمعه ويدعى نورى . وعندما دخل نورى العيادة سأل عنى وقال أنه مرسل من قبل الحاكم العام للتفاهم معى فى الشكاوى التى أبلغته عنها وخصوصاً ما يمس أطفال المدارس . . وأخذ الحديث يدور بيننا حول نفس الحلقة المفرغة من جديد . . ثم قال أنه أعد مشروعاً لتشجيع التعليم فى القطاع وسيشجع هذا المشروع الأطفال على العودة للدراسة والإقبال على التعليم .

فسألته فى لهفة عن هذا المشروع فقال مبتسماً :

- إننا سنجعل الدين الإسلامى إجبارياً ، وسنجعل أساس التعليم فى المدارس هو تحفيظ القرآن الكريم .

وهنا ساورتنى الشكوك مباشرة وخصوصاً إننى كنت أعلم أن إسرائيل قد طبعت نسخاً محرّفة من القرآن ووزعتها على مسلمى أفريقيا فهل تريد توزيعها على اللاجئين العرب . . فسألته :

- وماذا تقصدون من وراء تحفيظهم القرآن ؟

قال :

- إننا نحرص على تعليم الدين اليهودى للأطفال اليهود ونريد أن ينشأ الأطفال العرب أيضاً نشأة دينية . ولكى يتاح للأطفال الدراسة الدينية المطولة المتعمقة فلا بد من تخفيض المناهج الأخرى . لذلك سوف نلغى المواد الأخرى مثل الحساب والجغرافيا والتاريخ ونركز على تحفيظ القرآن . . وسوف تساهم حكومة إسرائيل مساهمة مجانية فى هذا المشروع !!

وهنا فهمت مقصده . . فهذه أيضاً كانت نظرية الاستعمار البريطاني عندما ألغى الجامعات وأغلق المدارس الثانوية واكتفى بالكتاتيب فى الأحياء القديمة فى الأرياف ، فلا يدرس الإنسان العربى إلا حفظ القرآن .

ثم سألته زيادة فى التأكيد :

- ولكن بالله عليك ماهى المساعدة التى ستقدمها إسرائيل مساهمة منها فى هذا

المشروع .

قال :

- سنقدم المصاحف مجاناً للتلاميذ .

قلت :

- وهل طبعت تلك المصاحف فى بلد عربى ؟

قال :

- إن لدينا مطابع عربية ضخمة ولدينا طبعات نفيسة من المصحف الكريم ، فنحن

اليهود العرب مازلنا حريصين على لغتنا العربية . .

وفاجأته بقولى :

- هل هذه المصاحف هى المحرّفة التى سمعنا عنها . . أحب أن أخبرك أن كل طفل

ورجل عربى يعرف هذه المصاحف المحرّفة التى طبعتموها فلا تتعب نفسك فى هذا المشروع

لأنه سيفشل أكثر من غيره .

محاولة نشر الأوبئة بين اللاجئين

فى أحد الأيام كنا نستمع إلى نشرة الأخبار فى الراديو فى استراحة الأطباء ، فسمعت أن وباء الجدري قد ظهر فى لبنان ، وزاد قلقي عندما سمعت أنه قد انتقل من لبنان إلى الأردن . . وكنت أعرف أن الكثير من الفدائيين يتقلون عبر إسرائيل من الأردن إلى غزة وبالعكس . . ولذلك بادرت بكتابة خطاب إلى رئيس أطباء هيئة الأمم لإغاثة اللاجئين لإمدادنا بمصل ضد الجدري بصورة مستعجلة للوقاية من الوباء . . وبعد بضعة أيام أرسل إلى دفعة كبيرة من مصل الجدري . . ولما فحصته وجدته من صنع إسرائيل . فامتنعت عن استعماله وأبلغت زملائى ثم ذهبت إليه قائلاً : كيف تفعل هيئة عالمية مثل هذا العمل يا دكتور ؟ هل ضاقت الدنيا فى وجوهكم حتى تأخذوا المصل من إسرائيل التى تتمنى إبادة العرب ؟

فقال لى الطبيب الهولندى مستنكراً قولى :

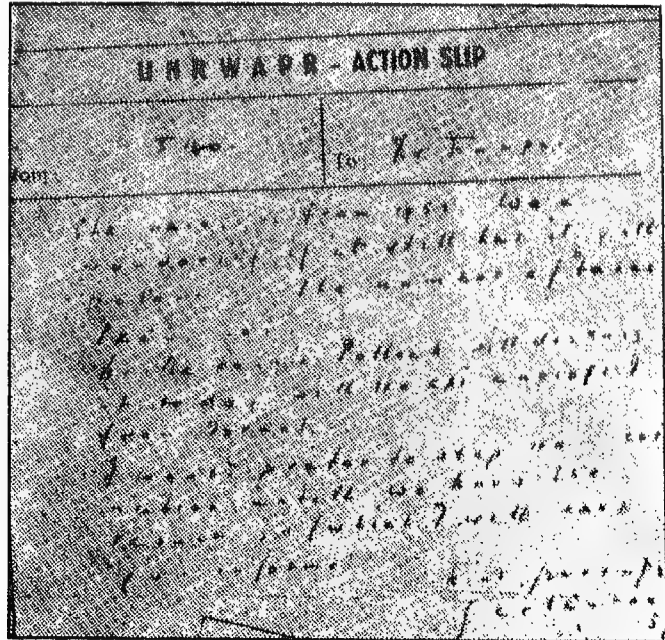
- إنكم أيها الشرقيون لا تفهمون العقلية الأوروبية . . إننا لا نخلط الطب والإنسانية . . بالسياسة والدعايات . . كما أننا لا نحب أن تطغى عواطفنا على عقولنا . . فنحن نشترى الدواء من أى بلد فى العالم حتى لو كان هذا البلد من أعدائنا لنستفيد منه . وذلك مثلما تشترون أنتم السلاح الروسى للدفاع عن أنفسكم .

قلت :

- لقد أسأت فهمى يا دكتور « جرتناخ » إننى لا أعارض الدواء لأنه يهودى . . ولكن لأن الصهاينة يختلفون عن جميع شعوب العالم فى أنهم لا يتورعون عن أى عمل حقير وغير إنسانى . . فقد يكون الطعم فاسداً أو مسموماً . . وهذا غير مستبعد عليهم .

فضحك الطبيب فى سخرية وقال :

- إن هذا المصل قد اشترته الهيئة من إسرائيل بالمال ، فهو ليس هدية ، ولا يفوتك أننا قد اشتريناه باسم هيئة الأمم ، فدعك من هذه الخرافات وعجل بإعطاء التطعيم حتى لا تفوت الفرصة على اللاجئين ويتنقل إليهم الوباء وإلا وجهت إليك تهمة التقصير .



- الخطاب الذى أرسله رئيس أطباء الهيئة إلى الدكتور فنجرى يخبره فيه أن الطعم الإسرائيلى فاسد ويطلب منه إعدام الكمية التى أرسلها إليه من وزارة الصحة فى إسرائيل .

قلت :

- آسف يا دكتور . . لقد أعطيتك عدة تقارير عن الحلوى المسمومة والهدايا الملوثة التي يلقيها اليهود إلى أطفال اللاجئين ولكنك لم تصدقني . . وأريتك بعض الحالات فدافعت بأن هذه الحوادث ليست من صنع جنود إسرائيل . . تماماً كما فعل حاكم غزة اليهودي . . والآن إذا كان ولا بد فأرجوك على الأقل أن تعطيني شهادة رسمية لهذا المصل من معامل الهيئة تثبت صلاحيته . . وإلا فعليك أن تعطيني يدك أول جرعة منه كتجربة على مسئوليتك .

هنا ثار الطبيب علىّ وغضب وطلب مني مصلًا لكي يقوم بنفسه بالتطعيم ، فحللت له مصلًا وتعمدت أن يكون مخففاً بقدر الإمكان . . لتخفيف الضرر . . وشمر الدكتور عن ساعده وتقدم نحو أول طفل إلى جواره وأعطاه التطعيم ثم مال على الثاني فطعمه وابتدأ في حماس يمر بالصف كله . . فملت على أذنه قلت له :

- كفى هذا الآن يا دكتور وانتظر النتيجة ولو يوماً واحداً على الأقل ، فلو أصاب أحد من هؤلاء الأطفال أى أذى لقتلك أهلهم خصوصاً أن قصة هذا المصل قد أصبحت معروفة وتوقف الطبيب بعد إلحاح ، . واضطرت إلى حجز الأطفال تحت المراقبة خوفاً مما يصيبهم من المضاعفات . . وبعد ساعات ظهر عليهم ارتفاع شديد في الحرارة ثم ابتدأت أعراض التسمم الشديد تبدو عليهم ، فأخذت في إسعافهم وعلاجهم وأرسلت إلى الدكتور جرتنباخ من أيقظه من نومه في الثالثة صباحاً . . فحضر مذعوراً مرتعداً . . وما أن رأى بنفسه حالة الأطفال حتى أخذ بعض المصل وتوجه بسيارته إلى تل أبيب . . ومن هناك أرسل إلىّ هذه الرسالة التي نشرتها مصورة بالزئغراف في الصحف العربية وأولها مجلة آخر ساعة بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٥٧ وها هو نصها :

« عزيزي الدكتور فنجرى

اتضح أن هذا المصل من عام ١٩٥٢ ، وأنا نتعجب إذا كان مازال يحتفظ بحيويته وصلاحيته . . كمية التأكز قليلة . . الدكتور نيكاري بولاخ سيبحث الأمر اليوم مع اخصائي الأمصال الإسرائيلي . أفضل أن توقف التطعيم حتى نرى النتيجة . التي سنحيطك بها علماً بعد إتمام تحليل المصل في معامل الهيئة » .

وفي اليوم التالي أرسل الدكتور جرتنباخ برقية من بيروت بعد ظهور نتيجة تحليل المصل في معامل الهيئة . . فيها يقول :

« المصل ملوث . . أعدم الكمية التي عندك » .

وهكذا تكشف هذه الحقائق عن مأساة أخلاقية وإنسانية أثبتت أن العصاة التي تحولت إلى دولة مازالت تتصرف بأخلاق العصاة . وأن شكسبير لم يكن مبالغاً في وصفه لليهود ممثلين في شيلوك اليهودي الذي أراد أن يقطع من لحم أخيه الإنسان حياً سداداً لدينه .

وأخيراً عاد الدكتور جرتناخ إلى غزة . . وما أن وصل بالطائرة حتى توجه مباشرة إلى عيادتي ومقابلتي . . وأخذ يسلم على بحرارة ويشكرني على إنقاذي له من ورطة كبيرة كاد أن يقع فيها ولكنني قابلت حماسه هذا باستياء وقتور . . وقلت له :

- من قال لك ياسيدي أنك قد نجوت من العقاب والانتقام . . هل تعتقد أن أهل هؤلاء الأطفال سوف يسكتون عما جرى على يديك لأطفالهم ؟
فأجاب متصنعاً اللطف والمداعبة :

- مهلك يا دكتور فنجري ، فأنت لا تعرف كم كان احتجاجي عنيفاً وحازماً في تل أبيب . . بل إنني قد طالبت أيضاً بإعادة ثمن الطعام إلى الهيئة .
فأجبت وقد أحسست بأن ساعة تصفية الحساب الطويلة قد دنت :

- شكراً لك ياسيدي على احتجاجاتك ، ولكن لعلك تتذكر أن هناك أرواح كادت تزهر بسبب إصرارك على إعطائهم هذا التلقيح ، وليست هذه هي المرة الأولى التي تتصرف فيها بهذه الصورة المعادية للعرب . فهناك حساب طويل لا يمنع تصفيته كونك رئيساً لي . . فعندما هاجم اليهود غزة تخليتم أنتم الأجانب والدوليون عن زملائكم في العمل من الموظفين العرب وأخذتم تتعمدون الإساءة إلى مشاعرنا . . وأنت بالذات ياسيدي قد تركت عملك الإنساني كطبيب وأخذت معك المرضات والأطباء الأجانب في القطاع . . وهربتم جميعكم إلى البارجة الأمريكية التي حضرت يوم العدوان لكي تحميكم من أي شر . . وهكذا تخليتم عن غزة وعن أبنائها الجرحى والمصابين في وقت محتهم . . ولو أنكم قبل هربكم قد أمتتم لنا الدواء وحرية العمل لهان الأمر ولقمنا نحن الأطباء العرب بواجبنا دون شكوى أو ملل . . ولكنكم اختفيتهم فجأة وهربتم في الظلام . . ثم عدتم جميعكم إلى الظهور بعد بضعة أيام عندما هدأت الأمور واستقر الأمر لليهود . . وبالرغم من هذا العمل المخزي فقد عدت ياسيدي عودة الظافرين المتكبرين . ولعلك تتذكر يوم طلبت مقابلتك وأخذت أسألك نيابة عن زملائي الأطباء العرب عن موقف الهيئة منا في ظروف الاحتلال الإسرائيلي وهل ستقوم بحمايتنا كما ستحمي الموظفين الدوليين أم ستتخلي عنا . فأخذت يا دكتور تهكم بنا وتقول : « إن

اليهود سيجعلون منكم لحمًا مفرومًا يباع في العلب المحفوظة . أما عن موقف الهيئة فإنها ستقول لسلطات الاحتلال أنها لا تعرف أحداً منا ، وأنهم يستطيعون أن يفعلوا بنا ما يشاؤون » . أليس هذا هو حديثك ؟

فقال مقاطعاً :

- لقد كنت أقصد الدعابة فلماذا أغضبك كلامي هذه المرة ؟

قلت :

- إذا كانت الدعابة هي التي دفعتك إلى قول ذلك ، فما أسوأها من دعابة في وقت تزهق فيها أرواح إخواننا بالعشرات ، وعلى كل حال فإنك قد تصرفت معنا فعلاً بما تدعى أنه دعابة . فلا يمكن أن أنسى يوم أن وضعني اليهود في طابور الأعدام ومررت أنت بنا ورأيتني منطبخاً على الأرض والمدافع الرشاشة مصوبة إلى رأسي ، فما أن التقت عيني بعينك حتى أدت ظهرك كأنك لا تعرفني وكان بيدك إنقاذي بإشارة صغيرة منك ، هل بيننا عداوة إلى هذا الحد ؟ وماذا كنت تفعل لو أنني كنت مريضاً وبيدك شفائي كطبيب ؟ أكنت إذًا تضع لي السم بدل الدواء ؟

فقال في استياء :

- انك تبالغ في تصوراتك فأنا أقسم أنني لم أرك في هذا اليوم .

قلت :

- ليتني أكون مخطئاً ، ولكن ما رأيك في ذلك الحادث الذي يرويه جميع سكان غزة عنك وعن مروءتك . فعندما استولى اليهود على جميع سياراتهم ، كنت تمر أنت والموظفون الدوليون بسياراتكم دون مراعاة لمشاعر زملائكم العرب ، وذات يوم أوقفك الأهالي في الطريق وطلبوا منك أن تنقل بسيارتك الخاصة أحد الجرحى إلى المستشفى لإنقاذه من جرح خطير فأبيت خوفاً على سيارتك من أن تتسخ بالدماء . هل كنت تستطيع أن تتصرف هكذا في بلدك وبين مواطنيك في هولندا ؟ ألا تعلم أن جميع أهل غزة يتناقلون هذه القصة عنك في صمت وألم مرير . ولن ينسوها لك . وأخيراً يا سيدى الرئيس جاء دور المصل الملوث الذى أصررت بكبرياء على استعماله . فلتعلم أن أهالي هؤلاء الأطفال قد أقسموا على قتلك يا دكتور ، وتأكد أنهم قادرون على ذلك فالفدائيون يستطيعون أن يصلوا إليك وأنت في حجرة نومك ولن تهتم إسرائيل أبداً بما يحدث لك .

وهنا خرج الطبيب من عيادتي متلفتاً خائفاً . وطلب نقله في نفس اليوم من قطاع

غزة ، فحضر بدله الطبيب الفرنسى الدكتور « يويه » .

إلى طابور الإعدام مرة أخرى

انتشر خبر المصل المسموم والصراع الذي جرى بيني وبين رئيس الأطباء في جميع معسكرات اللاجئين . وبت أتوقع أن تستدعيني الهيئة للتحقيق وتفصلني من عملي لتهجمي عليه . . ولكن السلطات الإسرائيلية كانت أسرع . فما أن علمت بالخبر وتفاصيله حتى بادرت إلى العمل . ففى أحد الأيام حضرت سيارة إسرائيلية مصفحة نصف جنزير ، ووقفت أمام باب العبادة ونزل منها أربعة جنود مسلحين بالمدافع الرشاشة وتجمع اللاجئون يريدون معرفة ما يحدث لى ، ولكنى نصحتهم بالتفرق والهدوء حرصاً على سلامتهم . وقلت لهم : إننى فى حماية هيئة الأمم فلن يمسنى اليهود بسوء . وطلب منى الجنود أن أتوجه معهم إلى مكتب الحاكم اليهودى العام . وكانت هذه أول مرة فى حياتى أركب فيها سيارة حربية مصفحة . وحولى هذا العدد من الأسلحة والجنود . وكانت السيارة من طراز عتيق جداً وقد علاها الصدا من داخلها . أما الجنود فكانت ملابسه قذرة وعتيقة ومدافعهم الرشاشة مربوطة بخرق بالية . ودخلت على المستر جاعون فوقف يستقبلنى بحرارة . ثم قال مبتسماً :

- يا دكتور . . إننى كنت أود أن أعتبرك صديقاً شخصياً لى بعد أن وجدت أننا منسجمين فى الميول والعادات . . وفى الهوايات . لكن لا تأتبنى من ورائك دائماً إلا المتاعب . قلت :

- أى متاعب يا سيادة الحاكم ؟

قال :

- إنك تتصرف كأنك زعيم سياسى لا طبيب وجراح . وقد كثرت لدى التقارير عنك وكثرت أيضاً تقاريرك عنا . ويبدو منها أنك دائم التشنيع علينا والإساءة إلى سمعتنا . وعلى كل حال فقد خرج الأمر من يدي وأصبح فى يد المحقق .

وخرجت من مكتبه وأخذونى إلى المحقق وهو يهودى يمنى الأصل ، وكان هذا الضابط المحقق صغير الجسم جداً حاد النظرات مقوس الأنف والظهر . . فهو فى الحقيقة أقرب مَثَل إلى اليهودى الذى ترسمه المجلات العربية (بالكارىكتور) أو إلى الصورة الشعرية التى كتبها شكسبير عن اليهودى شيلوك .

وفوجئت بالمحقق يوجه إلىّ تهماً غريبة ليست لها صلة بالموضوع الذى توقعته . كانت التهمة الأولى إننى أتصل بالفدائيين وأعاجلهم بالمستوصف . والثانية هى إثارة اللاجئين فى المعسكر وتحريض التلاميذ والمدرسين على الامتناع عن الدراسة . والثالثة هى التشنيع على إسرائيل . ثم قال :

- وباختصار إن تهمتك أنك فدائى .

ولم يهملنى ذلك المحقق المجنون لكى أنطق بكلمة واحدة ، ولكنه بعد أن تلا على هذه التهم ، قال مباشرة :

- أرى أنك لن تستطيع الدفاع عن نفسك ، عليك أن تتحمل تبعه أعمالك .

وخرجت من حجرته دون أن أتكلم فأخذونى إلى السجن . وكانت هذه هى المرة السابعة التى أدخل فيها السجن خلال حكم إسرائيل الذى دام خمسة أشهر ، وأمضيت فى السجن هذه المرة أسبوعاً لم أذق فيه طعم النوم ، وكان طعامنا عبارة عن علب العدس المغلقة التى تركها الجيش المصرى فى العريش . ولم يكن معنا شيء لفتحها فكنا نحك العلبة فى الحائط الخرسانى حتى يتآكل الغلاف ونفتحه .

وكان ما خفف على نفسى أنهم أحضروا رئيس الأطباء العرب حيث قضى معى ليلتين ، وكانت تهمة اللواء الدكتور / محمود أمين المصرى ، أنه قد ساعد أحد الفدائيين المجرّوحين بالمستشفى على الهرب بعد شفائه . وعندما خرج الدكتور أمين من السجن عاد إلى قلبى الانقباض . . ولكن زال همى بعد ذلك عندما وجدت بعض زملائى يتوافدون معى إلى السجن وأولهم الطبيب اليونانى « الياس أصلانيدس » . ثم الدكتور عبد الحميد جينيه ، ثم عدد لا بأس به من الأصدقاء ، منهم المدرسون والقضاة والموظفون ، وبعد أن انقضى هذا الأسبوع التعس فى السجن ، أخذنا اليهود فى سيارات أتوبيس عبر حدود إسرائيل إلى صحراء النقب حتى وصلنا مكاناً نائياً لا زرع فيه ولا ماء . وأنزلنا جنود إسرائيل وأخذوا يقيمون حولنا الأسلاك الشائكة وينصبون الخيام . ثم صفونا على الأرض صفوفاً متوالية . وظللنا جالسين فى الشمس وهم يفحصون أوراقنا ويتحققون من شخصياتنا ويقسمونا إلى مجموعات متجانسة ومتشابهة . ويستولون على كل ما معنا من نقود وساعات وأقلام وجميع أوراقنا الشخصية وجوازات السفر . ثم يسلمون كلاً منا ورقة فيها كتابة بالعبرية . . قالوا إنها وصل بما أخذوه منا حتى يرد إلينا بعد الانتهاء من فحصها . وطبعاً لم أفهم ما هو مكتوب فى الورقة . ولم يكن لدينا أمل فى أن نسترد شيئاً منهم .

وظللنا كذلك فى الشمس الحارقة بدون قطرة ماء حتى أغمى على البعض من العطش وضربة الشمس . وظلت السيارات تتوالى وتجلب المزيد من الرجال بين سن ١٥ حتى سن ٦٠ من أهالى غزة ، وقد قدرت عدداً بحوالى ألفين . . وكلما طلبنا منهم ماء سخروا منا وقالوا :

جند و إسرائيل هم يتصورون مداخلهم الرشاشة نحو الأهالي العرب. وقد جمعوا كل الرجال بين سن ١٢ حتى سن ٦٠



- إنكم فى مكان لا يوجد فيه زرع ولا ماء ولا طعام . ولكنكم سترتاحون بعد قليل !!

وبينما أنا جالس اقترب منى شاب فلسطينى فى الـ ١٨ من عمره وقال لى : « هل تذكرنى يا دكتور . أنا جابر ! ولما لاحظ الشاب أننى لم أتذكره كشف عن ساق خشبية وقال : لقد أنقذت حياتى وقمت بعملية بتر لهذه الساق . وكان هذا الشاب قد أصيب يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٥ فى حادث ضرب مدينة غزة بمدافع المورتير ، وهى المذبحة التى تحدثت عنها فى بداية هذا الكتاب .

وأخذ الضباط الإسرائيليون يفحصون أوراق كل فرد ويقسموننا إلى فئات حسب العمر والعمل والمقدرة على حمل السلاح . وفى آخر النهار ابتدأوا ينادون على أسماء معينة حسب الكشف التى أعدوها من بطاقات الهوية ، وأمروهم بركوب السيارات مرة أخرى حيث حملتهم السيارات إلى مكان مجهول . وجاء الشاب جابر إلى جوارى وهمس فى أذنى :

- أتعلم يا حكيم مصير هؤلاء ؟ تأكد أنهم سوف يضعونهم فى طوابير الأعدام بعد أن يجبروهم على حفر قبورهم بأيديهم . ولن يعودوا أبداً .
فقلت له غاضباً :

- أعوذ بالله من كلامك هذا . . إننا فى القرن العشرين والعالم كله آذان وعيون متفتحة . ولا يمكن أن تحدث هذه المذبحة فى عصرنا هذا فى غفلة عن العالم !!
فقال :

- يا حكيم . . هذا هو ما حدث فى حرب سنة ٤٨ عندما كنا فى دير ياسين وراح ضحيتها أبى وعمى . فهو أسلوبهم فى كل حرب .
فقلت له :

- إياك يا جابر أن تشيع هذا الكلام حتى لا تحطم معنويات الآخرين .
وبعد قليل جاءت السيارات مرة أخرى وهى فارغة . . وأخذوا ينادون على دفعة جديدة . . وإذا بينهم الشاب جابر . فقلت للضباط الإسرائيلى :

- هذا الشاب كسيح ومعوق وبرجل واحدة . .
فإذا به يصيح فى وجهى بالعبرية ودفعنى فى صدرى بمؤخرة البندقية دفعة أوقعتنى على الأرض .

وسحب الشاب المعوق من ذراعه ودفعه فى السيارة ولم أره بعد ذلك !!

وعندما خيم الليل قسمنا اليهود إلى جماعات كل مجموعة من ٣٠ شخصاً . . وحشروهم فى خيمة واحدة . . وطوال الليل كنت أسمع الصراخ وطلقات النار . . وتعود السيارات ليشحنوا فيها مجموعة جديدة . . والخيمة التى تفرغ كانوا يهدمونها مباشرة . وطبعاً لم يغمض لى جفن . فقد كنا محشورين فى الخيمة وأكثرنا لا يجد مكاناً لقدمه أو رأسه . وقد كتمت أنفاسنا من الزحام . ومع ذلك فقد نام بعض الزملاء الأسرى وهم واقفون من شدة الإرهاق وعلا شخيرهم وسط أصوات البنادق .

وأشرقت الشمس فتوقف إطلاق النار . ثم مر علينا الجنود وكأنما يقولون : صباح الخير أيها الأحياء . لقد كتب لكم العمر لساعات أخرى !!

أخذ الجنود يعيدون عملية الفرز للمرة الألف ، وكان من تبقى منا لا يزيد عن نصف العدد الأصلي . ووقف ضابط المخيم يعلن أن إسرائيل سوف تعترف بنا كأسرى حرب . . وأنا سوف ننقل إلى معسكر الاعتقال فى عتليت وسوف نكون تحت إشراف الأمم المتحدة وتتناول طعاماً وشراباً وسجائر . . وأمرنا بالتوجه إلى السيارات التى سوف تنقلنا إلى المعسكر شمالى عكا . ولاشك أن القارىء سوف يتساءل كما تساءلنا نحن فى أنفسنا عما حدث للآخرين . . لتسمح لي أن أقطع تسلسل الأحداث . وأن أقفز إلى ما حدث لهم لأروى قصة طواير الإعدام .

قصة طواير الإعدام

يوم ٧ مارس سنة ١٩٥٧ . . يوم لا أنساه مدى العمر لأنه يوم عيد بلادى . . وقد تم فيه انسحاب إسرائيل من غزة وانتهاء العدوان الثلاثى . . وخرج أهالى غزة لأول مرة بعد العدوان الإسرائيلى فرحين مهللين . كان ذلك اليوم عيداً بعد ما قاسوه من العذاب والحرمان وأنهار الدم .

وقد ظلت المظاهرات تخرج كل يوم ، وازدحمت الشوارع كأنها فى يوم الحشر . ولأول مرة فى تاريخ المدنية يخرج النساء والرجال والأطفال معاً ، حتى الأمهات والآباء الذين ذهب أبناؤهم ولم يعودوا ، خرجوا هم أيضاً يزغردون ويرقصون فى الطريق . وكان عدد الشباب المتغييبين لا يقل عن ألف بين تلميذ مدرسة أو مدرس أو عامل أو مزارع أو موظف . وكان الأمل يداعب أهاليهم بأنهم لابد عائدون . . كانوا إذا سألوا الحاكم الإسرائيلى فى غزة عنهم يدعى عدم علم إسرائيل بأى شىء عنهم . . وأنهم ربما هربوا إلى الأردن . . أو ضالين فى الفيحاء مع البدو . .



مئات الجنود التي جرت بها السيرة حتى حدود غزة . فكشف الله الجريمة البهيمية التي جرت في إسرائيل على إخطائهم
وترى آثار التعذيب والعرب على الجماهير الضعيفة والأدع الكسيرة

إحالي المفقدين في قطاع غزة... وقد تجمعت كل أسرة تبحث في هذه الأطلال المتهتكة عن أبنائها أو أختائها...





الأم الممجة... وقد جاءت تبحث في هذه الأثناء عن ابنها وأختها حيث أجد الثور محبس رجال الأصرة وتم يعودوا إلى الإسلام المؤقة.



هذه هي الرجل التي كتبت عن هوية القتل وقد أمسك بها الطبيب الشرعي

وبعد بضعة أيام من العوطف المختلطة من الأمل واليأس والفرح والخوف . . والأمان والقلق . . أراد الله أن يكشف سر المذبحة .

فقد هطل في ذلك اليوم مطر غزير . . لم يسبق لغزة أن رأت له مثيلاً منذ مئات السنين . . وظل الناس تحت الأمطار الغزيرة يحتفلون بيوم الخلاص . . وامتلأ وادى غزة بالمطر . . وأخذت السيول تنساب من داخل حدود إسرائيل إلى هذا الوادى العميق . . ولاحظ البدو أن السيول ابتدأت تجرف معها بعض الجثث نحو غزة . . وتكاثر الجثث حتى أصبحت بالآلاف . . وكلها قد تعفنت وضاعت معالمها بحيث أصبح من العسير معرفة أصحابها أو جنسيتهم . . وكنت إذ ذاك في المستشفى في غزة عندما أبلغنى مسئول في هيئة الأمم بالخبر وطلب منى التوجه إلى الموقع خوفاً من انتشار الأوبئة من الجثث المتعفنة . وأخذت معى فى سيارة الهيئة الطبيب الشرعى ومصور صحفى إلى جانب كاميرا استعرتها من صديق أجنبى ، لأن اليهود كانوا قد سرقوا كل أجهزتى .

وكان أهالى المفقودين قد سبقونا للبحث عن أبنائهم وآبائهم وإخوانهم . . وكانوا يغطون أنوفهم وأفواههم بالمناديل من الروائح العفنة . . وكان من الصعب على أن أتأكد من شخصيات القتلى .

فمن قائل أنهم قتلوا من الجيش الإسرائيلى . . ومن قائل أنهم من جنود الجيش المصرى . . ومن قائل أنهم شباب قطاع غزة الذين مازالوا غائبين منذ أن جمعهم اليهود يوم دخولهم . .

وأخذت أفحص الجثث مع الطبيب الشرعى . . فإذا بهم جميعاً قد تعرضوا لتعذيب وحشى قبل قتلهم . . فقد كانت الأذرع مكسورة أو كسور فى الأرجل أو فى الضلوع أو فى الجماجم . . وكان بعضهم مربوط اليدين أو الرجلين . . وكان عددهم ما بين ٧٠٠ إلى ألف جثة .

وفجأة بينما نحن نبحث ونصور فى هدوء . . إذ انطلقت صرخة أم عجوز تقول :
« هذا ابنى جابر » !!

وكانت تمسك فى يدها برجل خشبية . . وتجمّع حولها النساء والأمهات والأخوات ، فقد عرفن القتل من هذه الرجل . . وكانت نساء الحارة التى يسكن فيها

عندما حدث الاحتلال الإسرائيلي قد طلب من جابر أن يخبئ مصاغهن فى رجله الخشبية . فلن يجدن مكاناً آمناً من أيدي الجنود الصهاينة إلا هذا المكان . وفتحت النسوة الرجل الخشبية فوجدت كل واحدة منهن مصاغها بداخلها .

وبذلك وحده تأكد لهن جميعاً أن هذه الجثة للشباب الصغير جابر الذى تعرض للمذبحة بشعة وهمجية من جيش إسرائيل فى حرب سنة ٥٦ بنفس الطريقة التى قتلوا بها أباه وعمه من قبل فى حرب سنة ٤٨ ، وأخذت أصور الرجل الخشبية وهى يد الأم وأصور الجثث وأصور كل الأمهات الشكالى وقد تحول فرحهن بخروج اليهود من غزة إلى صراخ وعويل . . بعد أن تأكد للجميع أن هذه جثث أبنائهن وآبائهن وإخوانهن الذين أخذهم اليهود من بيتهم . . وعادوا أشلاء ممزقة .

ولقد رأيت بين هذه الجثث ملابس وأحذية لجنود وضباط من أسرى الحرب المصريين . . كما شاهدت جثثاً لأطفال لا يزيدون عن الثانية عشر من عمرهم ، وأخرى لعواجز فى الستين ، فلم يرحموا صغيراً ولا كبيراً ، ولا مدنياً أو عسكرياً .

ولا يفوتنى هنا أن أذكر ما قالت لى هذه الأم المسكينة فيما بعد من أن عائلة (أبوراس) وحدها كان لها بين هؤلاء القتلى ٢٦ شخصاً من نفس العائلة ، فقد أباد اليهود العائلة كلها تقريباً عدا النساء .

وقال لى الأهالى أن من بين هذه الجثث الكثير من معارفى الشخصيين والذين كنت أعالجههم . منهم رمضان الخطيب ، وعبد الله محمد دغش ، وأحمد جودة ، ومصطفى غنيم ، وحسن عبد الله حموده ، ومحمود أبو نصار ، وفؤاد العالى ، ونصحى العالى ، ومعظم أفراد أسرة (أبوراس) وأسرة اللبايدى . وغيرهم كثيرون . .

وبينما أنا فى هذا الموقف المفجع أخذت أتذكر المحاضرات المطولة التى كان يلقيها علينا الضباط الإسرائيليون كل يوم فى معسكر الاعتقال ، أو أثناء زيارتهم لى فى مستشفى غزة . . كان كل حديثهم عن آداب الحرب ، وأنهم يراعون حرمة الأحياء والموتى . . وأنهم لا يقتلون مدنياً ولا يشوهون جثة ولا يعدمون أسيراً . . وكانوا يعيرون على الفدائيين العرب أنهم يفعلون ذلك . . ويشاء الله أن يفضح أمرهم ويكشف سرهم الذى كانوا يخفونه عن العالم مدعين أنهم شعب متحضر غير همجى ، وأن خصومهم العرب هم الهمج وهم القساة ، ، وصدق من قال (ضربنى وبكى وسبقنى واشتكى) .

معتقل عتليت

أعود بك أيها القارئ الكريم إلى ما حدث لنا نحن الباقين على قيد الحياة . فقد جمعنا اليهود في سيارات أخذت تعبر بنا مدن إسرائيل . . مررنا بيافا وتل أبيب ثم حيفا ثم عكا ، وأخيراً وصلنا إلى عتليت شمالى عكا . وفى كل مدينة نصل إليها كانوا يوقفون السيارات فى الميادين . ثم ينادون على السكان بالعبرية قائلين : « لقد اعتقلنا الفدائيين فتعالوا لتفرجوا عليهم » . ولم يكن فينا فدائى واحد . وكان الجميع عبارة عن مجموعة من الأطباء والمحامين والقضاة ومدرسى المدارس . بل لقد بلغت أحقادهم أنهم اعتقلوا معنا جميع مرضى مستشفى السل وكان أكثرهم يسعل من الازهاق ويصق دماً . وقد تأكد لى أن اليهود قد تعمدوا اعتقالهم معنا وحشرهم مع باقى المعتقلين فى العنابر العتيقة والخيام المزدحمة بقصد نشر السل بين العرب جميعهم . وما أن وصلنا إلى عكا حتى وجدنا أهاليها فى حالة هياج شديد بسبب الدمار الذى حل ببيوتهم ومدنهم من البارجة إبراهيم التى ظلت تضربهم ساعتين متواليتين دون مقاومة تذكر . وكاد أهل عكا من الغضب والحقد أن يقلبوا بنا السيارات أويشعلوا النار فيها لولا تدخل الجنود . فأخذوا من أحقادهم يرموننا بالأحجار .

وأخيراً وصلنا إلى عتليت حيث معتقل الأسرى الشهير . . وكان هذا المعسكر قد أنشأته القيادة البريطانية لجنودها فى الحرب العظمى الثانية . ثم سلموه لقوات الهجاناه والعصابات اليهودية لكى تتدرب فيه على أعمال حرب العصابات . وكنت أستطيع أن أقرأ أسماءهم وذكرياتهم مكتوبة على الجدران بلغات مختلفة منها الفرنسية والإنجليزية والروسية والألمانية والعبرية . ولن أحدثك كثيراً عما رأيته من الأهوال فى هذا المعتقل . لقد كنا ننام على البلاط فى جو تبلغ حرارته فى بعض الليالى صفراً . . وكانت الأمطار تسقط فوق العنابر فتحدث على الصفيح دويماً مهولاً ثم تنساب السيول تحتنا ونحن نيام . وكان اليهود قد سلمونا بطانية واحدة لكل فرد منا يضع نصفها فوقه ونصفها تحته . أما الطعام فلم يزد عن صحن صغير من الخضار وقطعة من الخبز اليابس . لم يكن هناك دواء لهذا العدد الكبير الذين جمعوهم من بيوتهم ومن مخيمات اللاجئين لكى يدعوا أمام شعبهم أنهم قد اعتقلوا جميع الفدائيين وأن العدوان قد أثمرت نتائجه . واستمر بنا الحال فى هذا المعتقل شهراً كاملاً . وفى أحد الأيام مر بنا ضابط العنبر وقال أن مندوب الصليب الأحمر سوف يزورنا وأنا نستطيع أن نكتب أى رسالة ونسلمها إليه لكى يوصلها إلى

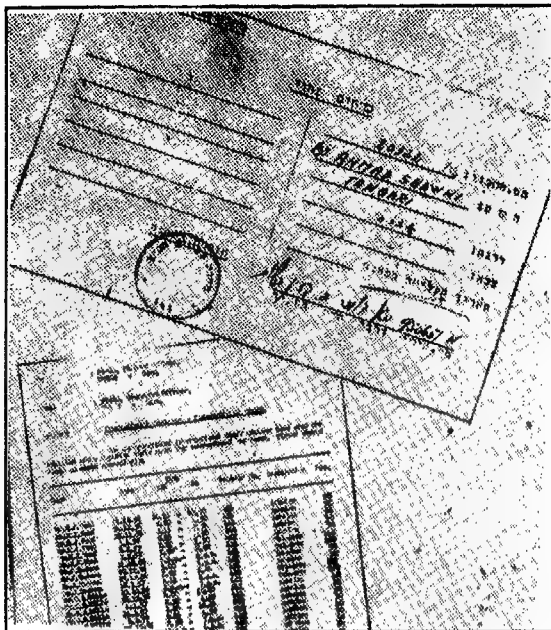
أهالينا فى مصر . وما أن خرج الضابط اليهودى حتى حضر صديق فلسطينى من الذين عاشروا اليهود فى فلسطين وخبروا خداعهم وطبيعتهم . وأخذ الصديق يحذرنا من مندوب الصليب هذا فقد يكون مزيفاً أو يكون ضابط مخابرات يهودى . وأخذنا نتباحث معاً فيما يجب أن نفعله . ثم قررنا أن نتعامل معه ولكن بحذر شديد سواء فى الكلام أم فى كتابة الخطابات . وجاء مندوب الصليب فأخذنا نشكو إليه من سوء المعاملة فى المعتقل . ومن نقص الأغذية والغذاء . ولاحظنا أنه قد أخذ يدافع عن إسرائيل قائلاً : « لا تنسوا أنكم مدنيون . والمدنى لا يخضع لمعاهدات أسرى الحرب » . وهنا بادرت بالرد عليه قائلاً : « إذا كنت تعرف أننا مدنيون . وإسرائيل أيضاً تعرف ذلك فعلام تبقونا فى معتقل أسرى الحرب » . فقال ضاحكاً :

- هذه حقيقة عليكم أنتم أن تثبتوها للسلطات الإسرائيلية حتى أطلب منها الإفراج عنكم . فإسرائيل تعتقد أن بينكم فدائيون . فلتبلغوا عنهم حتى تعودوا بسرعة إلى أهاليكم » .

وهنا تكشف لنا المناورة وكاد أكثرنا أن يسحب منه رسائلنا لولا أنها لم تكن تحوى شيئاً هاماً أو معلومات تفيد إسرائيل .

وفى صباح اليوم التالى مباشرة ، مربنا الضباط اليهود يشروننا بقرب العودة إلى غزة . وقالوا إن كل فرد منا سوف يمر على لجنة من ضباط المخابرات الإسرائيلية لكى يتأكدوا من أنه مدنى وليس فدائياً . وجاء دورى ، فما أن دخلت الحجرة حتى وجدت نفسى أصبح من دهشة المفاجأة . لم يكن سر دهشتى إننى وجدت مندوب الصليب الأحمر هو أحد هؤلاء الضباط ، فقد كان ذلك أمراً نتوقعه جميعاً . ولكن كان سر دهشتى إننى وجدت نفسى أقف وجهاً لوجه مع ذلك الرجل الذى كان يعيش فى غزة على أنه صحفى عربى . فإذا به يهودى وضابط فى مخابرات إسرائيل . فقد كان ذلك الرجل يعيش فى غزة منذ مدة طويلة قبل العدوان وكانت له صداقات كثيرة مع الأهالى متحلاً بصفة الصحفى العربى . وكثيراً ما كنت أراه جالساً على المقهى يدخن الأرجيلة (الشيشة) ويتناقش فى السياسة ، وبهذه الطريقة كان يتسمع الأخبار دون أن يفتن إليه أحد ويتجسس على الفدائيين ، كما سبق أن فصلت من قبل .

وهكذا خرجت من حجرة الضابط أسب وألعن . واتجهنا نحو مركز الخروج حيث بدأوا يسلموننا الأمانات التى تسلموها منا قبل دخول المعتقل . وفى الحقيقة إن كلمة



- بطاقة الاعتقال فى معتقل عتليت شمالى
عكا . وقد كتب عليها اسم الطبيب
دكتور أحمد شوقى الفنجري والمهنة
طبيب أى أنهم كانوا يعرفون عمله
ومهنته مع ذلك أخذوه إلى المعتقل
كفدائي .

الأمانات مظلومة هنا فى هذا المجال ، إذ أن إسرائيل لا تعرف ما هى الأمانة . فقد استولى
الضباط والجنود على كل ممتلكاتنا واشتروا بدلاً منها أشياء رمزية رخيصة لكى يسلموها لنا
بدلاً من حاجتنا . فساعتى الرولكس الشمينة والقلم الحبر الباركر قد بُدِّلَ إلى قلم حبر
صينى من فئة العشرة قروش ، ولما جاء دور النقد وضعت يدى على قلبى . فقد سلمتهم
كل ما وفرته من رواتبى وهو مبلغ ثلاثمائة جنيهاً . وقررت أن لا أتهاون فى مسألة النقود ،
وكانوا قد سلمونى بها إيصالاً باللغة العبرية لم أفهم ما كتب فيه . وقدمت الإيصال إلى
الضابط فإذا به يسلمنى ثلاثين جنيهاً . فصحت فى وجهه متفعلاً بالفرنسية . وقلت له :

- بدلتكم الساعة وسكت . وبدلتكم القلم الحبر ورضيت . أما النقود فلن أسكت
عنها . وأرجو أن تسمح لى بالشكوى إلى قائد المعتقل !!!

وفوجئت بالضابط يقول فى أدب زائد :

- معك حق . فلتنتظر إلى غد عندما يحضر قائد المعتقل لتشكو إليه . وهنا أسقط فى
يدى . فبقائى فى هذا المعتقل ساعة واحدة وحدى بعد رحيل زملائى قد يذهب بعقلي .
وحريتى أئمن من كل ما أمتلك ولو كانت كنوز الأرض . ونظرت حولى فإذا بجميع
زملائى يشيرون إلى بآلا أعاند مع سجان ماكر لا تعييه الحيل . وكانت حالى أخف من
كثيرين غيرى . فرضيت بالأمر الواقع وركبت السيارة .

مرت بنا السيارات من جديد فى طريق قريب من ساحل البحر . وكنا كلما مررنا بمعسكر حربى نادى علينا الجنود بلغة عربية ركيكة « سكرى إينك » أى أغمض عينيك . وكنا نرى الفلاحات الإسرائيليات بالملابس العسكرية والبنطلون القصير وعلى أكتافهن المدفع الرشاش وكل منهن تسوق (التركتور) لحرث الحقول . وكانت معظم شوارع المدن خالية من الناس . فجميع شعب إسرائيل هو الجيش الذى يقف على الحدود . ومررنا فى طريقنا من جديد بعكا وتل أبيب ويافا وحيفا ثم وصلنا إلى غزة .

ولم أصدق بأننى حي حقاً إلا عندما وقفت فى عيادتى من جديد . بين مرضاى الطيبين الحافظين المعروف الذين لا يعرفون الخسنة ولا الخديعة ولا المكر ولا يضمرون الأحقاد ولا الضغينة لأحد لأنهم عرب .

الفدائيون

فى إحدى تلك الليالى الرهيبة التى كانت تمر بنا فى أوائل حكم إسرائيل ، وكان التجول محظوراً بعد غروب الشمس حتى مطلع النهار ، جلست فى بيتى أجمع ملابسى ، فقد أمرنى اليهود بإخلاء البيت والسكن فى المستوصف بحجة أنهم سيقومون بإسكان بعض العائلات اليهودية فيه . وكنت فى تلك اللحظة استمع إلى إذاعة صوت العرب ونشرات الأخبار . وإنما أنا كذلك ، إذ سمعت نقراً خفيفاً على زجاج النافذة الخلفية للبيت . وبادرت بإغلاق الراديو وإخفائه تحت الفراش ، لأن الاستماع إلى صوت العرب كان تهمة . كما أن امتلاك الراديو كان مغرياً بنهب البيت كله . وقمت أتوجس الشر من هذا القادم . فلا بد أنه دورية إسرائيلية تريد التفتيش أو تريد السلب والنهب . وكنت فى تلك الأيام السوداء أتوقع فى كل لحظة من لحظات الليل مصيبة أو حدثاً خطيراً . . . وقمت فى حذر أنظر من النافذة فوجدت فى حديقة البيت شبحاً يحمل كيساً ملفوفاً . . . ودققت النظر فى الشبح فوجدته يلبس ملابس جندى إسرائيلى . . . ووقفت متردداً فيما أفعله . . . فلو كان هذا الجندى من جنود الدورية الليلية لجاء من الباب الأمامى وربما اقتحمه بالقوة أو حطمه إذا تأخرت عن فتحه . . . أما هذه الطريقة المريبة والنقر الخفيف على زجاج النافذة فهو ما حيرنى أكثر وأشد . . . ومرت الدقائق والجندى واقف فى مكانه بالحديقة وسلاحه على كتفه . ثم عاد ينقر زجاج النافذة من جديد . . . وسمعتة يهمس بصوت منخفض جداً . . . ففتحت النافذة قليلاً لأسمع ما يقول . . . فإذا به يتكلم العربية ويقول :

- افتح يا حكيم . . أنا حسن .

فقلت بتعجب : حسن . . حسن من ؟

فاقترب من النافذة حتى رأيت وجهه فى النور ، خيل إلىّ إننى أعرفه ولكنى لم أتذكره . .

استطرد الرجل قائلاً ، وقد رفع القبعة من فوق رأسه :

- أنا حسن الذى عاجته وأنقذته من الشلل . . هل تذكرنى الآن يا حكيم . إننا نحن البدو لا ننسى المعروف . . وأنا أعرف أن أهلك ليسوا عندك ولا بد أنك بحاجة إلى طعام . . وقد أحضرت لك هذا الديك المذبوح هدية منى فأرجو أن تقبلها .

وتذكرت فى تلك اللحظة من هو حسن . . فقلت له من فورى :

- هل أنت الآن فى جيش إسرائيل يا حسن . . ما هذه الملابس التى تلبسها ؟

فقال حسن بهدوء :

- أنا فدائى يا حكيم . . وهذا هو ملبسى منذ دخلت إسرائيل غزة فهو آمن من أى ملبس آخر .

قلت :

- ولكن هل مشيت يا حسن عشرة كيلومترات على قدميك من المعسكر إلى غزة لكى تحضر إلىّ بهذه الهدية وأثناء منع التجول . . ألا تخشى على حياتك ؟
فقال مبتسماً :

- إننى أمشى المسافة من غزة إلى الأردن فى ليلة واحدة لكى أوصل رسالة ، فكيف لا أمشى عشرة كيلو من أجلك . . وأرجوك يا طيبب إذا كنت تريد إرسال رسالة إلى أهلك فى القاهرة أن تعطيتها لى الآن فسوف أودعها فى البريد بالأردن . . وكانت هذه أمنيتى . . أن أبلغ أهلى وأطمئنهم إلىّ إننى حي أرزق . . وقمت فى طمأنينة وثقة فى حسن وأعطيته رسالتى . وعزمت عليه بالدخول ولكنه رفض حرصاً على سلامتى . وأصر على العودة فى الحال من حيث أتى . . وهكذا اختفى حسن فى ظلام الليل كما جاء .

قصة حسن الفدائى هى إحدى القصص التى يجب أن تروى بعناية ويعرف تفاصيلها كل مواطن عربى . . وذلك لأنها لا تمثل حياة فرد واحد من اللاجئين ، بل تمثل حياة شعب بأسره . . تمثل المحنة التى يعيش فيها هذا الشعب على الحدود مع الجوع والحرمان . . وتمثل الهممة العربية والطاقة الكامنة فيه تنتظر من يحسن توجيهها لمعركة المصير .

كانت أول مرة أرى فيها حسن قبل الاحتلال بعامين . . فقد لاحظت شاباً نحيلاً يرقد بجوار باب العيادة التى أعمل بها فى أحد معسكرات اللاجئين . وتكرر هذا المنظر فى الأيام التالية وكنت أراه يستجدى الناس وقد علت له الأوساخ وتجمع من حوله الذباب . وأخيراً قررت أن أبعد عن المنطقة حرصاً على النظافة والمظهر ، واتجهت إليه قائلاً :

- ألا تستطيع الذهاب إلى مكان آخر للشحاذة غير باب المستوصف ؟

فقال بصوت ضعيف :

- داوينى يا حكيم وأنا ابتعد عنك . . فأنا كسيح .

وصدمتنى كلماته فوقفت أتأمل وجهه . . وإذا كان القارىء طبيباً أو كان يعيش فى الريف المصرى فلا بد أنه قد رأى مرض « البلاجرا » . . إنه المرض الوحيد الذى إذا أصيب به أى إنسان فى أى مجتمع فسوف يحكم على هذا المجتمع بأنه مجتمع تعيس فقير ، أو أنه مجتمع ظالم لا عدالة فيه ولا تراحم . . والسبب فى هذا أن ذلك الداء ليس مرضاً ولا ميكروباً يصيب الإنسان . . ولكن إصابته تنتج عن سبب واحد هو الجوع . والحرمان من التغذية أو سوء التغذية إنه مرض البلاجرا . . وهذا المرض فى أشد صورته وأخطرها يؤدى إلى الكساح . . وأما علاجه فهو التغذية أساساً . ولقد شعرت بالتعاسة والألم إذ يصيب هذا المرض المؤسف شاباً فى العشرين من عمره كان من الممكن أن ينفع نفسه ووطنه لو احتفظ بصحته . . حقيقة أن هيئة الإغاثة توزع على كل لاجئ طعامه اليومى . ولكن هذا الطعام ليس غذاءً كاملاً . . إنه مجرد إعانة أو معونة غذائية يأخذها اللاجئ إلى جانب ما يشتريه من ماله من الأغذية . . وأكثر هؤلاء اللاجئين لهم أقارب يعملون فى البلاد العربية مثل الكويت وليبيا ، بل منهم من لهم أقارب مهاجرون إلى أميركا والبرازيل وكندا . . وهؤلاء يرسلون لهم معونات مستديّة . ولولاها لأصيبوا بمرض سوء التغذية جميعهم كصاحبنا هذا . . فهئية الأمم تقدم إلى كل لاجئ الدقيق كغذاء أساسى ، وتقدم للأطفال وجبة من الحليب . . ولا تشمل تغذية الهيئة للحوم والبيض والسمك والفواكه ، وهى مواد ضرورية ، لما تحويه من البروتينات والفيتامينات . . ومن المعروف أن الإنسان العادى يحتاج إلى مواد تعطيه طاقة حرارية قدرها ٢٤٠٠ سعراً . . فى حين أن هيئة الأمم لا تقدم إلى اللاجئ أكثر من ٩٠٠ سعر حرارى فى اليوم . . فهو يتسلم كل شهر ١٠ كيلو من دقيق القمح و ٦٠٠ جراماً من السكر و ٤٠٠ جراماً من السمن النباتى ٤٠٠ جراماً من

البقول الجافة . وهذه المواد تعادل غذاءً يومياً يتكون من رغيفين من الخبز وملعقة واحدة من السكر وملعقة صغيرة من الدهن . وإذا كان هذا الطعام كافياً لكى يبقى الإنسان حياً مجرد حياة ، فإنه لا يمكن أن يساعده على التحرك أو التفكير أو العمل .

أعود الآن إلى قصة ذلك الشاب الكسيح حسن . . فقد أمرت بنقله على الحمالة وأخذت أفحصه . . ثم شرعت فى عمل التحليلات والفحوصات اللازمة له . . وكانت النتائج مذهلة وإن كانت مشجعة فى قوت واحد . . وأثبتت الأشعة أنه خالى من مرض السل ، وهذا كان أكثر ما يهمنى ، لأن سوء التغذية يؤدى غالباً إلى مرض السل ، وهو مرض شديد الانتشار بين اللاجئين والفتك بهم وبأطفالهم الصغار . . ولكن فحص الدم أثبت أن نسبة الهيموجلوبين فى الدم تقل عن ٣٠٪ وهى نسبة قد تؤدى بأى إنسان عادى إلى الهبوط العام ثم الشلل وربما الجنون . ونقلت حسن بعد ذلك إلى خيمته بسيارة الإسعاف وتعهدت له أن أزوده كل يوم فى مكانه بالعلاج الكامل . . وكتبت له وصفة طبية « بتغذية إضافية » وهذا تعبير يتمناه كل لاجئ ولا يناله إلا فى حالة إصابته بمرض سوء التغذية . وظللت على هذا الحال شهراً كاملاً أزور الشاب الكسيح فى خيمته وأعطيه مجموعة من الحقن المقوية والمنشطة . . وكنت أشعر بسعادة لا توصف وبفخار واعتزاز كلما تحسنت صحته يوماً بعد يوم . . كان شعورى كمن يراقب ابنه وهو يتعلم السير على قدميه لأول مرة . . فقد بدأ الاصفرار يزول من وجهه . . واختفت أعراض « البلاجرا » من جسمه ، وأصبح رويداً رويداً قادراً على التحرك من مكانه لقضاء حاجته . . وكانت فرحة كبيرة لى عندما سار على قدميه لأول مرة حتى وصل إلى العيادة لكى يكمل علاجه هناك . حقيقة لم يحس أحد بذلك كله . . وقد تم فى سكون ودون دعاية ولا كلام ، فهذا هو حق مهنة الطب علينا . . ولكن كانت فى أعماق نفسى ضجة كبيرة وفرحة . بل ثورات وانفعالات عنيفة . . ثورات على إسرائيل وظلم إسرائيل الذى ترك مثل هذا اللاجئ التعس يعانى الجوع والحرمان وهو فى أوج شبابه . . وثورات على الإنسانية الظالمة التى مدت يدها فى شكل هيئة الأم لكى تواسى جراح هؤلاء المنكوبين التعساء ، فكانت بخيلة مقتررة ولم تعطهم ما يكفى لكى يعيشوا حياة الإنسان بل مجرد الحياة . . وفى نفس الوقت كنت أشعر فى قرارة نفسى بهزة فرح وراحة ضمير إلى أننى قد عملت شيئاً مجدياً وساهمت فى تكوين مواطن صالح نافع . . وهكذا لم تنقض بضعة أسابيع على هذا العلاج والتغذية حتى أصبح حسن فى أوج صحته واستعاد طاقاته ونشاطه وأصبح عضواً نافعاً فى المجتمع . . ولم أعد أراه بعد ذلك إلا كالصاروخ يكاد يخترق الأرض تهباً بمشيته

وصحته ، وكأنا يريد بذلك أن يعوض ما فاته أيام المرض ، وأخيراً ابتداءً حسن يعمل ويكسب فاستغنى عن « بطاقة التغذية الإضافية » .

وما أن شعر حسن بالصحة والقوة حتى تآقت نفسه إلى أن يدفع ضريبة تلك الصحة إلى وطنه المسلوب ، فانضم إلى قوات الفدائيين التي كونها الشهيد مصطفى حافظ في غزة . . ولمع اسم حسن بعد معركة ضرب غزة بمدافع الموترر سنة ١٩٥٥ ، فقد ساعدته معرفته باللغة العبرية منذ أن كان طفلاً في فلسطين بأن يتحلل شخصية ضابط البوليس الحربي الإسرائيلي فيوقف أى سيارة عسكرية بحجة التفتيش عن الفدائيين ثم ينقض عليها هو زملاؤه فيرمونها بنيرانهم ويقتلون ركبها . . وجاء العدوان الثلاثي واحتلت إسرائيل غزة فازدادت صلتى بحسن توثقاً . . وبدأ زملاؤه يتوافدون على للعلاج ، فكانت هذه الصداقة بداية مرحلة هامة من حياتى عشت فيها مع قصص البطولة الفدائية ونكران الذات . . قد كان أكثر ما قوى صلتى بالفدائيين أن اليهود أخرجونى من بيتى فى غزة ليسكنوا فيه بعض العائلات اليهودية . . فقد سكنت منذ ذلك الحين فى معسكر جباليا للاجئين فى نفس العيادة التى كنت أعمل فيها . . ويفضل تلك الظروف أصبحت أعيش مع الشباب الفدائي فأحس بمشاعرهم وأداوى جرحاهم . . فكنت أعرف قصصهم وأخبارهم قبل أن يعرفها أى إنسان فى العالم العربى ، وأكثر هذه القصص لم يسمع بها أحد حتى اليوم ، لأن إسرائيل من ناحيتها كانت لا تصدر بلاغاً واحداً عن تلك الحوادث ، بل تخفيها عن شعبها ، كما أن الفدائيين لم تكن لهم قيادة معينة ولا إذاعة منظمة ، كما هو الحال بعد نكسة سنة ١٩٦٧ . وسوف يأتى يوم تسجل فيه تلك الأسماء فى سجلات الأبطال والخالدين . . فعيننا نحن العرب أننا لا نعطي البطل حقه من التقدير إلا إذا مات شهيداً . . وكان البطولة هى الموت وليست خدمة الوطن والتضحية من أجله .

لقد سألتى الكثيرون من أصدقائى بعد العدوان الثلاثي : « هل حقاً ما تدعيه إسرائيل من أنها قد حققت من العدوان هدفها وهو القضاء على الفدائيين » . وأرد من فورى فى ثقة من لديه الخبر اليقين : لا . . لقد خاب أمل إسرائيل . . ورجعت بخفى حنين . لسبيين هامين :

السبب الأول : أن الفدائي الحق لا يقعد فى بيته حتى يصل إليه أعداؤه . . بل إن جميع الفدائيين عندما ابتداء العدوان الصهيونى على سيناء قد اقتحموا خطوط الهدنة ودخلوا إسرائيل خلف جيشها وأخذوا يهاجمون مؤخرة هذا الجيش ويقطعون خطوط مواصلاته ويزرعون لهم لألغام . ولذلك فعندما سلمت مدينة غزة لم يكن فيها فدائي واحد .

والسبب الثاني : هو إصرار أهل غزة ، وخصوصاً في معسكرات اللاجئين على عدم التعاون مع اليهود ولو كلفهم ذلك أرواحهم . . فاللاجئون العرب يعيشون في معسكراتهم في حالة من الحرمان والظلم تجعلهم يشتهون الموت . . واليائس من الحياة يصبح دائماً أخطر وأشد صلابة من المتهافت على العيش . . ولذلك فقد كان اللاجئون يواجهون قوات إسرائيل التي تهاجم بيوتهم بحثاً عن الفدائيين بتلك الجملة دائماً : افعلوا بنا ما تشاؤون . . فلن يكون مصيرنا أسوأ من هذه الحياة في المعسكرات ، لكن لن نسلمكم أولادنا ولن ندلكم على مكانهم . . وقد ذكر لى الكثيرون من الفدائيين أنهم قد أصبحوا يشعرون بالأمان والحرية في التصرف أثناء الاحتلال عما قبله . . لقد كانوا قبل ذلك يخضعون لإدارتهم فلا يقدمون على عمل إلا بأمرها . . بل لا يلبسون ملابسهم العسكرية أو يحملون سلاحهم إلا بإذن منها . . والروح الفدائية عادة تتنافى مع الروتين الحكومى ولا تستطيع أن تتعايش معه ، لذلك ما أن زالت إدارتهم المصرية حتى انطلقوا أحراراً وازداد نشاطهم بعد الاحتلال إلى حد روع إسرائيل . . بل لقد أصبح العمل داخل إسرائيل آمناً لهم من النوم في بيوتهم في غزة .

وبدأت إسرائيل كعادتها تلجأ إلى الحيلة والخديعة عندما فشلت وسائل الحرب في القضاء على الفدائيين . فأحضرت إلى قطاع غزة سيارة ضخمة قد زودت بمحطة إذاعة كاملة . . كانت تلك السيارة أقرب شئ إلى دبابة مصفحة لها اثنا عشر إطاراً وقد وضع فوقها اثنا عشرة سماعة كبيرة . . وبدأت الخدعة بإذاعة في كل معسكر من معسكرات اللاجئين بأن جيش إسرائيل عثر عند دخوله إلى غزة على جميع الأوراق الخاصة بأسماء الفدائيين سليمة في مكتب المخابرات المصرى . . وأن لديهم إثبات عن كل فدائي ورقم سلاحه وعنوان مسكنه وأسماء أسرته . . وأنهم سيعطون أهل المعسكر مهلة ثلاث ساعات لتسليم جميع الفدائيين . . وأن الأسرة التي تخفى فدائياً سوف يتعرض جميع أفرادها للإعدام . . وكانوا إذا مرت المهلة ولم يتقدم إليهم أحد ابتدأوا باعتقال الناس دون تمييز ولا تخطيط مما يدل على كذب إدعائهم . ثم يرسلوهم إلى معسكرات الاعتقال أو طوابير الإعدام .

وجاء الدور علينا في معسكر جباليا حيث كنت أقيم . . فبينما كنت مستغرقاً في النوم في حجرتى ، إذ دخل بعض الفدائيين العيادة في منتصف الليل وأيقظونى من نومى . . وأبلغونى أن اليهود في طريقهم إلى هذا المعسكر لتطويقه بحثاً عنهم . . وكنت أخفى في

العبادة أحد زملائهم الجرحى فطلبوا له الإذن بالخروج معهم قائلين : خير لأخينا أن يموت من جرحه عن الموت فى سجون إسرائيل مع تعريضك وزملائك فى العبادة للقتل .

ولم تمض ساعة على خروج الجماعة ، حتى ابتدأ صوت السيارات الإسرائيلية النصف جنزير يسمع من بعيد ، ثم أخذوا يجوبون شوارع المعسكر . . وضربت القوات طوقاً حول المنطقة كلها لكى تمنع الدخول إليها أو الخروج منها . . وما أن أشرقت الشمس فى الفجر حتى حضرت سيارة الإذاعة وأخذ ضباط المخابرات اليهودية يذيعون قائلين بطريقتهم الناعمة التى تقطر سماً : « صباح الخير يا أهالى جباليا الكرام . . إن جيش الدفاع الإسرائيلى يحييكم جميعاً . . على كل الرجال والشباب بين الخامسة عشرة والخمسين التجمع فى الساحة العامة . . وكل من يتخلف فى بيته فسوف يعدم فى الحال . . وخرجت من المستوصف مع زميلى الدكتور أنور ومعنا الممرضون والعمال . . وجلسنا جميعاً على الأرض مع إخواننا اللاجئين . . فى هذه الأثناء أخذت سيارة الإذاعة تذيع نفس الأكاذيب عن قوائم الفدائيين وتعد من يستسلم ومن يسلم سلاحه بالعفو والغفران . . وتنذر من يتخلف منهم بالإعدام . . ولما لم يتقدم إليهم شخص واحد فتح باب السيارة المصفحة وخرجت منه امرأة ضخمة الجثة طويلة القوام . . وكانت تلبس ملابس نساء البدو وقد تمنطقت فى وسطها بحزام فيه مسدس فى ناحية وخنجر فى الجانب الآخر . . وعندما اقتربت المرأة مناسمت أهل المعسكر يهمسون فيما بينهم :

- هذه هى حُسنه . . لعنها الله . . لقد أصبحت تعمل جاسوسة لليهود .

كنت أعرف من هى حُسنه البدوية من سنين . فكم طردتها من العبادة لسوء سلوكها ، وكم حرمت عليها دخولها إلا للعلاج الضرورى . فقد كانت امرأة ساقطة وقد أقسم أهلها البدو على قتلها تخلصاً من العار ، ولكنها هربت إلى إسرائيل وأخذت تعمل جاسوسة لهم وعلى قبيلتها وعلى معسكرها . . فما أن دخل اليهود إلى غزة ، حتى حضرت معهم لكى تشفى غليلها من كل أعدائها . . وعلى الأخص أولاد عمها . . وجن جنون حُسنه عندما لم تجد أولاد عمها بين أهل المعسكر فأخذت تقدم إلى اليهود أطفالهم الصغار كرهائن إلى أن يستسلم الكبار . . وأخذت حُسنه تمر على الصفوف صفافاً فتتحكم كما تشاء على أى إنسان بالإعدام بأن تقول أنه فدائى . . ومرت بى حُسنه وأنا جالس على الأرض فى تلك الصفوف ، وكنت أحاول أن أنلافى نظراتها . . ولكنها وقفت أمامى وأخذت تنظر إلىّ فى غلظة ووقاحة . ووضعت حُسنه يدها على كتفى وأخذت تقول لى بلهجة غليظة :

- تتذكر من أنا يا حكيم ؟ هل تتذكر حُسن البطالة . . التى طردتها من العيادة ؟
فقلت :

- نعم أتذكرك يا حُسن !!
قالت :

- أتعرف أن حياتك تتوقف على إشارة من أصبغى هذا ، وإننى أستطيع أن أسلمك
للإعدام .

فقلت لها فى هدوء من لم يعد يهتم بالحياة من كثرة ما رأيت من الأهوال .
- يا حُسنه تأكدى أنك لن تسلمى أبداً من الثأر لما فعلتبه اليوم .
وأثار غيظها هذا الرد . . فقامت من فورها وأشارت إلى الجنود وصاحت :
- هذا الدكتور المصرى هو طبيب الفدائيين . . وإنه على اتصال دائم بهم وهو
يخفيهم فى عيادته .

وهنا أشار على الجنود بالخروج من الطابور واقتادونى نحو سيارة السجن أو سيارة
الإعدام .

وبينما أنا أهم بركوب السيارة ، إذ نادانى الضابط وسألنى :
- هل أنت طبيب المعسكر ؟
قلت :

- نعم . . وقد كنت فى عتليت . . وأجريت معى عشرات التحقيقات ، فلماذا
تريدون اعتقالى الآن من جديد . . وإليك أوراقى إذا كنت تريدها .
ونظر الضابط فى الأوراق التى سلموها إلى من المعتقل وكانت مكتوبة بالعبرية . .
ولما قرأها قال : دعوه يذهب ويعود إلى عمله .

وخرج اليهود بغنيمتهم التى لا تتعدى بعض الأطفال فى سن الخامسة عشر أو بعض
العواجيز فى سن الستين والخمسين . . ولم يكن بين المقبوض عليهم فدائى واحد . . وفى
نفس تلك الليلة ظهر الفدائيون من جديد فى المعسكر وزارنى حسن ومعه بعض أفراد
مجموعته وأقسموا لى أنهم سينتقمون لما حدث لى من المهانة . . ولكل من اعتقلهم اليهود
أو مسوهم بسوء .

انتقام الفدائيين

كان ذلك فى صباح اليوم التالى مباشرة . . وكنت جالساً فى عيادتى فى جباليا أعالج طواير المرضى والجرحى الذين أصابهم اليهود أو ضربوهم وعذبوهم بالأمس . . وفجأة دوى انفجار مهول يبدو أنه فى مكان قريب . . ولم أتحرك من مكانى . فقد تعودت على أصوات الانفجارات كل يوم ، وإن كان هذا يختلف عن كل ما سبقه فى قوته . . ويعد نصف ساعة فقط اتصل بى صوت فى التليفون عرفت فوراً أنه صوت حسن .

وقال المتكلم : « يا دكتور أحمد . . لقد وعدناك وصدقنا الوعد » ولم يزد على ذلك شيئاً . وهنا فهمت أن حسن لابد أن يكون زرع لغماً لإحدى السيارات اليهودية فى مكان قريب من المعسكر فنسفها .

وكان يجلس معى فى تلك اللحظة صديق يعمل مصوراً فى غزة . كان يساعدنى فى طبع الصور عن العدوان الإسرائيلى لكى أقدمها فى هذا الكتاب . . وهنا خطرت لى فكرة قد تكون جنونية لكنى لم أستطع أن أقاوم إغراءها . . وقلت لصديقى المصور مداعباً :

- أتريد أن تحصل على صورة قد تسارى مليون جنيه وقد تكلفك حياتك ؟

فتردد فى الرد ، ثم قال :

- تريدنى أن أذهب الآن لأخذ صوراً للسيارة الإسرائيلية بعد نسفها . . لقد مرت نصف ساعة الآن على الحادث . . ولابد أن الجيش الإسرائيلى قد وصل إلى مكان الانفجار . . ولورأوا مصوراً هناك لقتلوه دون رحمة . قلت له :

- إن فكرتى هى أن أذهب معك . . وفى سيارة الإسعاف . . فتلبس أنت كممرض . . وأنا بملابس الطبيب . . فإذا وجدنا جرحى قمت أنا بإسعافهم كواجب إنسانى ، بينما تقوم أنت بالتصوير . . أما إذا كان اليهود قد سبقونا إلى هناك . . فيمكنك أن تخبىء الكاميرا فى السيارة وأحدثهم أنا بأننى قد حضرت على صوت الانفجار للإسعاف والمساعدة . . وبذلك لا تفوتنا فرصة المشاهدة وإن فاتت فرصة التصوير .

واتجهنا نحن الاثنين مع سائق الإسعاف إلى مكان الحادث فى الطريق المؤدى إلى مطار غزة القديم ، ورأينا عن بعد ثلاث سيارات حبيب عسكرية قد أحاطت بالسيارة المنسوفة . . وارتبك سائق الإسعاف وصديقى المصور وأرادوا أن يعودوا من حيث أتينا ، فقد كان

الغضب والهياج الشديد يبدو على وجوه الضباط اليهود . . ولكنى أقنعتهم بأن رجوعنا فى هذه اللحظة سوف يؤدى إلى ازدياد الشبهات فينا . . وأنه ما علينا إلا السير فى الخطة حتى آخرها مدعين أننا قد حضرنا للإسعاف . . وتقدمنا أكثر فأكثر فى بطيء شديد حتى اقتربنا من مكان الحادث . . وكانت مفاجأة مهولة لى عندما رأيت أن السيارة التى نسفت هى نفسها سيارة الإذاعة المصفحة الضخمة . . فقد كنت أعرف أن من المستحيل نسفها بالألغام الخفيفة التى مع الفدائيين ، كما أن رصاصهم لا يمكنه اختراقها . . وكانت السيارة قد انقلبت على جانبها وتمزقت أشلاء من كل ناحية والنار والدخان مازال يتصاعد من داخلها . . وتأكد لى من هذا المنظر المروع أنه لم ينبج من السيارة إنسان واحد . . بل إن الجثث كلها لا بد قد احترقت من النيران والانفجار ، وكان طاقم السيارة لا يقل عن سبعة أشخاص .

وبينما نحن كذلك ، إذ تصدت لنا إحدى سيارات الجيب وكان فيها بوليس حروبى فأوقف سيارتنا ثم جاء الجندى يسألنى بالإنجليزية :

- ماذا أتى بكم إلى هنا ؟

فقلت له :

- إننى طبيب هذا المعسكر . . وقد سمعت انفجاراً فحضرت للإسعاف . . فهل أستطيع المساعدة ؟

فقال :

- هل أنت مصرى ؟

قلت :

- نعم .

فنظر إلى نظرة تقطر حقدًا ومرارة . . وكان المصور يجلس فى حجرة الإسعاف الخلفية ، والعرق يتصبب منه . . فلو فحصوا السيارة ووجدوا الكاميرا معه لأعدمونا فى الحال . . لذلك فقد كنت حريصاً على أن أشغل الجندى بأى كلام حتى لا يفكر فى تفتيشنا . . وقلت له :

- إن معنى شنطة إسعاف كاملة وأرجوك لو كان هناك أى خدمة إنسانية أستطيع القيام بها أن تسمح لى بالعمل .

فقال وما تزال المرارة فى عينيه :

- الخدمة التى تستطيع أن تفعلها هى أن تذهب من هنا .

وتأكدت بذلك بأنه لم يبق إنسان حي في السيارة بين طاقمها وإلا لما رفضوا الإسعاف . فعдна من حيث أتينا . . وقد أخذت تتنازعني في الطريق عواطف شتى وأفكار متضاربة ، فإن كنت طبيباً فإنني أيضاً بشر . . وإن كنت كطبيب أشعر بالرافة والرحمة للإنسانية المتطاحنة المتصارعة . . فمن حقى أيضاً أن أشعر بالشماتة وحب الثأر لأهلى وإخوتى الذين يقتلهم اليهود كل يوم . وهذه هى سنة الحياة « ولكم فى الحياة قصاص » . . وكنت بعد ذلك فى شغف شديد لمعرفة تفاصيل الحادث من أبطاله أنفسهم . فمن العجيب حقاً أن يستطيع جماعة من الشباب البدوى الذى لم يتعلم الفنون اعسكرية أن يدمروا تلك السيارة المصفحة بأسلحتهم الخفيفة التقليدية . . وأخيراً عرفت الحيلة الذكية التى لجأوا إليها . . وكان « حسن » كما يسمونه ملك الحيلة والدهاء والتخطيط وهو الذى ابتدعها ونفذها . فقد ساعدته معرفته الجيدة باللغة العبرية فى أن يتزى بملابس ضابط فى البوليس الحربى الإسرائيلى . ووقف حسن فى طريق عودة السيارة قرب مطار غزة وأشار إليها بالتوقف . . وفتح باب المصفحة وأخذ حسن يحدث ضابط الإذاعة . . وبينما هم كذلك ، إذ انشقت الأرض عن رفاقه الآخرين الذين كانوا مختبئين فاقترحوا السيارة وأطلقوا النيران وألقوا القنابل الحارقة على المذيعين والضباط . . ولم يكتفوا بذلك ، بل وضعوا الألغام فى داخل السيارة فانفجرت ومزقتها من الداخل عن آخرها . . وقد علمت للأسف الشديد أن أحد الفدائيين قد استشهد فى هذا الحادث محترقاً من شدة النيران والانفجارات .

وتفرغ الفدائيون بعد هذا الانتقام الشافى إلى الجاسوسة « حسنة » التى كانت سبب نكد هذا المعسكر كله . . وأرسلوا إليها أحد أقاربها ليخبرها أن أهلها قد عفوا عنها وأنهم يريدون مصالحتها وأن أولاد عمها سيكونون بين الحاضرين . . وكما توقع الفدائيون تماماً ، حضرت حسنة فى المكان الموعد فى منتصف الليل ومعها خمسة من مخابرات إسرائيل فى زى بدوى . . وكان الفدائيون قد أعدوا لها ولكل رفاقها كميناً لا تنفذ منه ثغرة . . والتقت حسنة وأولاد عمها فما أن تحققوا من وجهها حتى أنهالوا عليها بالسكاكين ومزقوها شر ممزق ، ثم ظهر رجال المخابرات الخمسة اليهود من الظلام بأسلحتهم للقبض عليهم . وهكذا سقطوا فى كمين الفدائيين ، إذ دارت معركة قضى فيها على اليهود الخمسة .

حادث مقتل العرايشى الخائن

كان الفدائيون يحاربون فى جبهتين : الجبهة الداخلية لتنقيتها من الخونة . وفى الجبهة الخارجية ضد اليهود . . وكان أكبر الخونة شهرة رجل من سكان العريش باع نفسه لليهود

لكى يشفى أحقادهم وغله من مصر والعرب . . وكان العرايشى هذا يعمل شرطياً فى بوليس العريش ، ولكنه خان أمانة المهنة وأخذ يشتغل فى المخدرات وتهريبها من إسرائيل إلى مصر ، فقبض عليه وحكم عليه بالسجن المؤبد . . ووصل اليهود فأطلقوا سراحه من السجن لكى يستفيدوا منه فساعدتهم فى اعتقال أبناء العريش ورجالها المناضلين . . وكافأه اليهود بتعيينه ضابطاً فى مخابراتهم وسلموه سيارة جيب عسكرية ومسدساً . . ودارت دورة الزمن وانسحب اليهود من العريش فهرب العرايشى معهم إلى غزة حيث بدأت فظائعهم وخيانتهم ، وأخذ يتجسس لليهود على الفدائيين . . وعند ذلك قرر الفدائيون اختطافه وتسليمه حياً إلى المخابرات المصرية . . وأخذ جماعة منهم يصادقونه ويجالسونه فى المقهى ويلعبون معه (الطاولة) حتى أنس إليهم واطمأن . . وذات يوم ركبوا معه سيارته العسكرية فى شارع غزة الرئيسى وفجأة أخرجوا سلاحهم وجردوه من مسدسه وأمر الفدائيون العرايشى الخائن بالاتجاه بالسيارة إلى مدينة العريش لتسليمه إلى السلطات المصرية . . وفى هذه اللحظة مرت دورية إسرائيلية بالقرب منهم فصرخ العرايشى طالباً منهم النجدة . . فوقف اليهود استعداداً للضرب ، ولكن الفدائيين كانوا أسرع منهم . . فقد أفرغوا رصاصهم فى صدر العرايشى ، ثم فاجأوا اليهود بإطلاق النار فقتلوا جندياً وجرحوا الباقين ولاذوا بالفرار .

الفدائيون والمقاطعة العربية

كان من أهم ما ترمى إليه إسرائيل أن تثبت للعالم الخارجى ولهيئة الأمم ، أن حكمها لقطاع غزة قد استقر وأن أبناء القطاع قد بدأوا حياتهم العادية فى ظل إسرائيل راضين مسرورين وذلك لكى تستطيع ضم القطاع إليها . . وكانت أهم مظاهر الاستقرار التى تحرص على اظهارها هى انتظام التعليم فى المدارس وانتظام حركة البيع والشراء وخصوصاً التعامل فى البضائع والعملات الإسرائيلية . وتنبه الفدائيون إلى هذا الوضع فابتدأوا الدعوة إلى المقاطعة بكل إمكانياتهم ، وأخرج الفدائيون نشرة كانت تطبع فى ورقة صغيرة فى حجم كف اليد حسب إمكانياتهم المحدودة . . وكان أول منشور ثورى أصدره ينادى المدرسين والطلبة برفض البرامج التعليمية الإسرائيلية ومقاطعتها . . وينادى التجار بعدم التعامل فى العملة الإسرائيلية وعدم بيع وشراء بضائع من إسرائيل . . ونجحت المقاطعة وتعاون المدرسون والطلبة والتجار فى تنفيذها . . وفى ذات يوم تحدى أحد تجار غزة هذا القرار الإجماعى ، فأرسلت إليه المقاومة الشعبية من يحذره من مغبة عمله . .

ولكنه استقبل التحذير بالاستخفاف وأخذ يردد أقوال ضباط إسرائيل وموظفي الهيئة الدولية ويقول لهم :

« كونوا عمليين واقعيين . . فإن حلم العودة إلى فلسطين قد انتهى ومصر لن تعود إلى غزة فتعلموا أن تقبلوا المنطق والواقع وتعاونوا مع إسرائيل » .

وحاول المواطنون ردعه بالطرق السلمية . . فكان يلقي بالنقود العربية في وجوههم . . ويقول لهم : « لا أقبل إلا عملة إسرائيل ولا أعترف إلا بها » . . وعند ذلك اعتبره الفدائيون خائناً وعميلاً وهاجموه في مكانه في وضح النهار فأفرغوا رصاصهم في رأسه وصدره وجعلوه عبرة لمن يعتبر .

من هو الفدائي

قد يظن بعض الناس أن الفدائي هو الشخص الذي يحمل سلاحاً على كتفه وغير ذلك لا يعتبر فدائياً . ولكن الفدائي هو كل شخص يعرض حياته ورزقه للخطر فداءً للوطن والعروبة . . وبذلك فقد كان كل شعب غزة شباباً وشيوخاً وأثرياء وفقراء . . نساءً ورجالاً . . كانوا جميعاً فدائيون . وعندما انقطعت موارد الفدائيين بذهاب الإدارة المصرية من القطاع ، تقدم بعض أعيان غزة والمقتدرين منهم بمدحهم بالذخيرة والسلاح . . وكانوا يفعلون ذلك في صمت ودون دعاية ولا ضجة . . وعندما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في سنة ٦٠ ، خفت أن أذكر بعض هذه الأسماء خوفاً عليهم . لأن اليهود كانوا يبعثون ببعض جواسيسهم إلى غزة بعد زوال العدوان . . وكانوا يقتلون قادة المقاومة . أما الآن وقد أصبح الحكم في غزة في أيدي أبنائنا ، فمن الحرام أن نتجاهل أسماءهم . وفي مقدمة هؤلاء الحاج عجور . . ومعذرة إذا كنت قد نسيت اسمه الكامل بعد مضي ٣٥ سنة مضت . ففي أحد الأيام استدعاني صديق لي لعلاج مريض في بيته . . فلذا بي أجد هذا المريض واحداً من الضباط المصريين وكان جريحاً بعد معركة اشترك فيها مع الفدائيين ضد اليهود . . وقد اكتشفت أن بيت هذا الرجل الثرى قد أصبح كأنه ترسانة للأسلحة أو معسكراً للفدائيين والجنود والضباط . وذلك رغم أن إسرائيل قد فتشت بيته عدة مرات فلم تهتد إلى مكان إخفاء هذا العدد من الفدائيين . . وقد أكبرت هذه الروح الوطنية وأخذت أشكره على إخلاصه . . وعلى شجاعته في الاحتفاظ بهذا العدد من الضباط والفدائيين بين أولاده معرضاً بذلك أسرته لانتقام مهول وخطر جسيم . . ولكنه قال :

- لا تشكرنى يا حكيم . . ولا تحمل هم الخطر الذى أتعرض له . . فالرب واحد والموت واحد . . ونحن لا نموت مرتين . . والإنسان إذا اشتد عليه الذل والهوان تمنى الموت ويبحث عنه . . وتأكد يا دكتور أننا لو كان لدينا سلاح فى بيوتنا قبل هذا العدوان لما استطاع اليهود أن يدخلوا غزوة أبداً . . ولو دخلوها لما استطاعوا الإقامة فيها فنحن رجال والحمد لله . . فينا الآلاف يتمنون الموت والاستشهاد . . ولكن للأسف أن جميع الحكومات العربية لا تريد أن تسليح شعوبها لعدم ثقتهم فيهم . . ولو سلحونا لدافع كل منا عن بيته وأسرته ولحاربنا العدو من شارع إلى شارع ولكبدناه أشد الحسائر عن كل شبر من أرضنا الغالية . . ولكن الذى يحدث اليوم ، أن أى مدينة عربية إذا تخلى عنها الجيش أو انسحب منها سقطت فريسة سهلة ولقمة سائغة فى أيدي العدو . . أن كل ما نتمناه أن تزول أزمة الثقة بين الحكومات العربية وشعوبها . . وأن تترك الحكومة الشعب يتسلح حتى يدافع عن مدينته . . وإلا فما الفارق بين حكوماتنا العربية وبين حكومة الانتداب البريطانى فى فلسطين . . التى كانت إذا اعتقل العربى بتهمة إحراز السلاح تعرض للسجن وربما للإعدام . . أما إذا اعتقل اليهودى بنفس التهمة فإنه يفرج عنه بمسعى من الوكالة اليهودية . . قلت معك كل الحق . . فبغير اشتراك الشعب فى المعركة المصيرية لا يمكن إحراز النصر . . وأى حاكم على ظهر الأرض يتجاهل شعبه ويخشى أن يسليحه فى لحظة الخطر خوفاً على مقعده أن يهتز فهو فى الواقع يعرض نفسه ومقعده إلى جانب تعريضه شعبه وكل شىء للضياع الكامل .

وهكذا تعاون الأهالى سراً وفى حدود إمكانياتهم المحدودة على مد حركة الفدائيين بكل ما تحتاج إليه . . وبذلك اشتدت المقاومة المسلحة واتسع نطاقها . . وإذا كان عدم التنظيم من أكبر مشاكلنا وأخطرها على حياتنا ومجتمعنا ، فقد كان من أعظم مشاكل الفدائيين بعد ذهاب الإدارة المصرية عدم وجود منظم يرتب لهم العمل ويرسم لهم الخطط . . ويوحد الجهود ويتلافى الزلل والأخطاء . . وقد نتج عن هذا أن كل شاب قادر يستطيع الحصول على السلاح واستعماله كان يعمل مستقلاً عن الجماعة وبذلك اندس بين الفدائيين بعض المغرضين وأخذوا يعيشون فساداً باسم الفدائيين وإن كانوا لحسن الحظ قليلين . . وكانت الحركة الفدائية فى تلك الفترة تشمل ثلاث شعب مختلفة حسب دوافعها وإن كان الهدف واحداً وهو محاربة إسرائيل .

كانت هناك جماعة دافعها الدين . . والجهد المقدس والموت فى سبيل الله وتخليص أرض الإسلام والأراضى المقدسة من أيدي الغاصبين . . وكانت الجماعة

الثانية دافعها وطني . . تنادى بالحرية والاستقلال والعروبة وبالشأر من الغاصبين الذين سلبوهم أرضهم . وكان قليل من هؤلاء لهم ميول سياسية أو تابع لأحد الأحزاب . ثم كانت هناك جماعة ثالثة دافعها حب المغامرة والميل إلى العنف . . ولحسن الحظ أن وجدوا متنفساً عن ميولهم هذه يطلقونها على الأعداء فأصبحت نوراً تضيء بدلاً من أن تكون ناراً تحرق .

وهكذا فإن اختلاف الميول البشرية والطبائع الإنسانية أمرٌ لا يمكن نكرانه أو تجاهله . . وعلينا أن نعترف بهذه الاختلافات . . وأن نستغل تلك الميول والدوافع المختلفة كلها في صالح المعركة الواحدة وتوجيه الطاقات كلها لتدمير العدو لا للصراع فيما بينها . . فلا يمكن صب الناس جميعهم في قالب واحد وإلا فلننا نخسرهم جميعهم . . وما أحوجنا إلى الاستفادة من كل الطاقات وجميع الجهود .

إحباط محاولة إسكان العائلات اليهودية في غزة

كان اليهود في أول حكمهم يريدون إسكان بعض العائلات اليهودية في غزة وابتدأوا فعلاً المرور على البيوت ومنهم بيتي . . وسألني الضابط : كم حجرة في البيت ؟ فقلت : ثلاث . . قال : وأنتم كم عائلة تسكنون فيه ؟ فقلت له متعجباً : أتريد أكثر من عائلة في بيت واحد ؟ فقال : لم أقل إنني أريد . . ولكن هذا قد تقرر فعلاً . . فعليك أن تأخذ لنفسك حجرة واحدة . . وسوف تسكن معك عائلتان يهوديتان في الحجرتين الآخرين .

فقلت له : هذا مستحيل ولن أقبل به .

قال : إذاً يمكنك أن تغادر بيتك والسكن في المستوصف . وأحمد ربك أنك تجد مكاناً يأويك . . فنحن في إسرائيل نسكن كل عائلة في حجرة واحدة .

وكنيت أعلم أن هذه هي سياسة إسرائيل في إخراج كل مواطن عربي من بيته بطريقة غير مباشرة . . فهم يأتون له بعائلة أو عائلتين من رعايا اليهود وحثالتهن للسكن معه في بيته . . فيظلون بقذارتهن وإباحيتهن واستهتارهن يؤذون مشاعره حتى يضطر إلى الرحيل ولو نام في الطريق . . وقد حضرت بعض العائلات اليهودية إلى بيتي فعلاً بعد رحيلي وحضرت دفعة كبيرة من الممرضات اليهوديات للعمل في المستشفيات ، ولكن جميع هؤلاء لم يبيتوا في غزة إلا ليلة واحدة رأوا فيها الأهوال . . فقد كان الفدائيون لهم

بالمرصاد فنصبوا لهم كميناً فى الطريق داخل إسرائيل قبل دخولهم غزة وأصابوا حراسهم . . وفى الليل كانت الانفجرات وطلقات النار حول البيوت . . وحتى الحكيمات لم تنم واحدة منهن طوال الليل داخل المستشفى . . وذلك بالرغم من وضع عدد كبير من الحراس اليهود لحراستهم . . وعندما سألت بعضهن لماذا هذا الذعر والخوف الشديد وخصوصاً أن المستشفى أمان ، قالت إحداهن :

- إن الفدائيين العرب للأسف الشديد لا يقدّرون الفارق بين المرأة والرجل . . بل إنهم يقتلون الجميع . . ولا يميزون بين المستشفى والمعسكر الحربى .
فبادرت أقول :

- معهم حق . . يكفى أن تعرفن أن هذا المستشفى الذى ترقدن فيه اليوم قد سبق ونسفه جيشكم الباسل بمدافع المورتر فى سنة ١٩٥٥ وأنه قد أعيد بناؤه من جديد . . وكان يرقد فيه نساء وأطفال بعضهم من العميان وكلهم الآن مدفونون تحت التراب . . فهل كان ذلك عملاً حريياً ؟

وهكذا لم ينم الوافدون اليهود ليلتهم فى غزة . . فما أن أشرقت الشمس عليهم حتى طلبوا جميعهم العودة إلى إسرائيل .

إسرائيل تودع غزة

فى يوم ٧ مارس سنة ١٩٥٧ انزاح كابوس إسرائيل عن غزة بعد حكم خمسة أشهر . . وكانت ليلة وداع رهيبة مرعبة ظهرت فيها أخلاق هذه الأمة وطباعها وغرائزها الدموية . . فقد منعوا التجول فى ساعة مبكرة من النهار . . ثم انتشر جنودهم يفتكون بالناس فى البيوت ويعتدون على الأعراض ويسرقون وينهبون . . وكان الجند يقتحمون البيوت الخالية بسبب اعتقال أصحابها ويسرقون الأبواب والشبابيك ، بل كانوا يتزعجون المسامير من الحائط ليأخذوها معهم . . وفى كل بيت كنت تسمع صراخاً وبكاءً وطلقات النار . . وجاء الليل فلم تنم المدينة المجروحة التعيسة لحظة واحدة . . وفجأة ولأول مرة توقف إطلاق النار وخيم على المدينة سكون موحش غير معتاد لا يقطعه إلا بكاء طفل أو أرملة أو شيخ مسن . . وكلهم يكون ضحاياهم وشهداءهم فى تلك الليلة الرهيبة . . وأطل الناس من البيوت فى ذهول يستطلعون سبب هذا السكون . . فلم يجدوا أحداً فى الطريق فخرجوا صائحين مهللين إلى الشوارع .

وانطلقت زغاريد النساء وصيحات الرجال وتكبيرهم .. « الله أكبر خرج اليهود ..
الله أكبر خرج المجرمون » .

تسقط إسرائيل .. وتحيا الحرية .. « الله أكبر .. الله أكبر » .

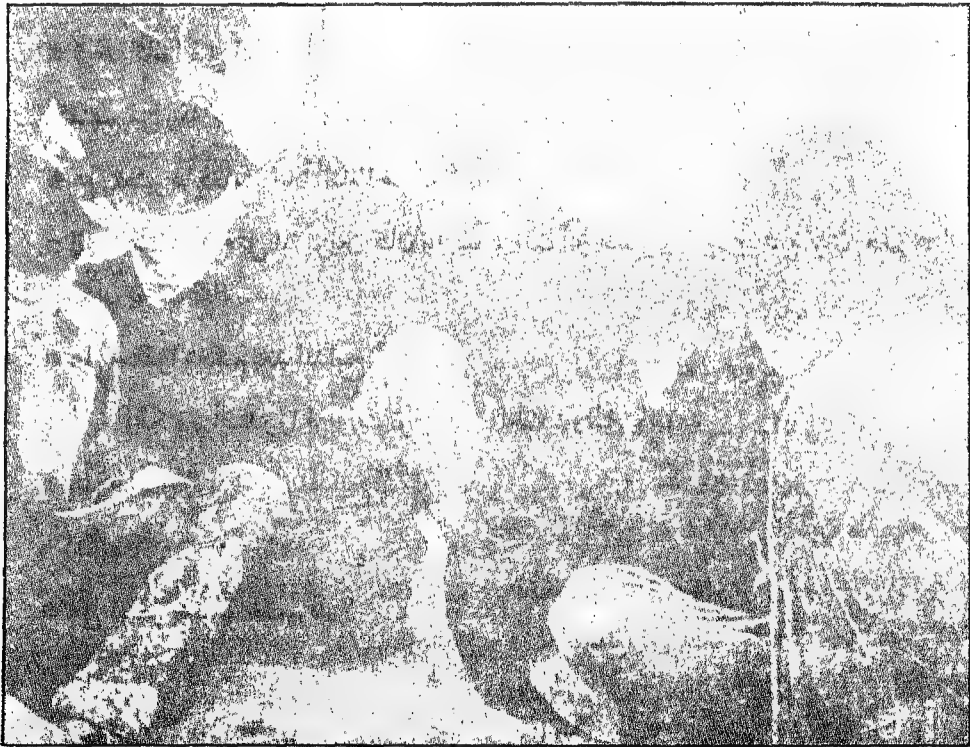
ووقفت على باب العيادة في ذهول .. وترقرقت في عيني دمعة كبيرة .. وتنفست
جواً مليئاً بالحرية .. والطمأنينة ، ، وقلت :
« الحمد لله .. انزاح الكابوس » .

اطمأن قلبي لأول مرة بأن شمس النهار قد تشرق على وأنا حي بين الأحياء .. فقد
كنت أغمض عيني كل ليلة كأنما استقبل الموت وأتوقعه وأحسب له ألف حساب .
ولكن عمل الطبيب لا ينتهي أبداً .. وآلام الطبيب لا تقف عند توقف مشاكله
الشخصية .. فقد كان أول ما أزعجني أن إسرائيل لم ترد أن تودع غزة وداعاً فيه راحة
وسلام .. كان اليهود قد زرعوا مساحات كبيرة من أراضي غزة الخالية حتى الخرابات التي
أمام البيوت البطاطس وأوصلوا إليها مواسير المياه لتسقيها .. فلما اضطروا إلى مغادرة
غزة فجأة وبسرعة بحيث لم يكن لديهم وقت لأخذ البطاطس من الأرض ، فكروا في
فكرة جهنمية قاتلة . لقد رفعوا حبة بطاطس من كل مجموعة حولها ووضعوا مكانها
لغماً .. وبعد خروجهم انطلق أطفال اللاجئين الجوع إلى البطاطس ليأكلوه من الأرض
فانفجرت الألغام فيهم ومزقتهم أوقطعت أصابعهم .. وابتدأت الحالات ترد إلى
المستوصف تباعاً ، فابتدأت آلامى ونكبتى من جديد .. ثم جاءت الطامة الكبرى عندما
هطلت الأمطار بغزارة لم يسبق لها مثيل .. وإذا بالسيول تجرف جثث زملائى وأصدقائى
الذين كان اليهود قد أسروهم معى ولم يعودوا .. وهكذا كان وداع إسرائيل لأهل
غزة .. وداع لا رحمة فيه ولا إنسانية ، استقبلتهم بالدمار والخراب وتركتهم للدموع
والأحزان .

ضباط إسرائيل يعترفون بقتل الأسرى ويعتبرن ذلك مفخرة لهم

فى شهر أغسطس سنة ١٩٩٥ فى أثناء معركة انتخابية بين اليمين المتطرف فى إسرائيل
واليسار . أعلن إثنان من الصحفيين والكتاب المعروفين هما (جابريل براون) و (آريه
إسحاقى) أن ضباط الجيش الإسرائيلى كانوا يأمرؤن بإعدام الأسرى المصريين

والفلسطينيين . . أثناء حرب سنة ٥٦ وحرب ٦٧ . وأنهما كانا مجندين فى هذه الحروب وشاهدا بأنفسهما طواير الإعدام التى كانت تتم بطرق مختلفة حسب تفنن كل سفاح إسرائيلى . . فمنهم من كان يربط الجنود من أيديهم وأرجلهم بالحبال . . ثم يمر عليهم بالدبابات عدة مرات حتى يسحق عظامهم ويسويهم بالتراب . ومنهم من يأمر جنوده بضرب الأسرى وهم مربوطون بكعوب البنادق حتى يحطموا عظامهم قبل أن يطلق عليهم النار . . ومنهم من كان يأمر الأسرى بحفر قبورهم بأيديهم ثم يطلق عليهم النار جملة . . ثم يأتى بدفعة جديدة لتدفنهم وهكذا . . وعند نشر هذه الأخبار اهتز الضمير العالمى فى أوروبا وأمريكا لبشاعتها . . وفى إسرائيل قدم بعض النواب استجوابات إلى الحكومة . كما طالب بعض الوزراء بالتحقيق فى هذه المذابح . . وننشر هنا نص الحوار الذى نشرته مجلة (تل أبيب) فى ٨ أغسطس سنة ١٩٩٥ مع اثنين من كبار السفاحين الإسرائيليين هما (أريه ييرو) قائد عمليات الكتيبة ٨٩٠ مظلات ، و (رفائيل إيتان) أحد كبار القادة السفاحين . وقد نشرت الصحافة المصرية ترجمة لهذا الحوار فى عددها ٩٥ / ٨ / ٢٨ هذا نصه :



شباب عربى اعتقلتهم إسرائيل من قطاع غزة وقد ربطوا أعينهم وأيديهم قبل نقلهم إلى طواير الإعدام .. حيث تمر عليهم الدبابات وهم مقيدون فتسوى عظامهم بالأرض .

- * عميد بيرو . . كيف كانت وظيفتك أثناء حرب ٥٦ ؟
- كنت قائداً لمجموعة عمليات الكتيبة ٨٩٠ مظاهرات إسرائيلية .
- * هل أعطى لك رفائيل إيتان أمراً بقتل الأسرى المصريين ؟
- إننى لا أذكر أية أوامر من هذا النوع . . كنا مضطرين للتحرك إلى رأس سدر لذلك قررنا التخلص منهم فلم يكن هناك وقت للاهتمام بأسرى مصريين .
- * من قتل الأسرى فى ممر متلا ؟
- أحد الضباط وأنا ، والقتل ليس من عمل الجنود .
- * هل ربطوا وثاق الأسرى ؟
- إنكم تسألون أسئلة غريبة ، ولكن . . نعم ربطناهم .
- * كم كان عدد الأسرى ممن قتلوا ؟
- ليس لهم عدد معين . . قتلنا مئات .
- * كيف كانوا قبل قتلهم ؟
- منهم من رقد على بطنه ، ومنهم من وقف مذهولاً .
- * هل تعتبر ما فعلت قتلاً أثناء الحرب ؟
- إننى أعتقد أن قتل المصريين كان واجباً ، وأن أى مصرى ابن عاهرة كان يعلم عنا أى شىء كان يجب قتله .
- * هل حققوا معكم بعد المذابح ؟
- لا . . لكنهم أصدروا قرارات ترقية لكل الجنود والضباط .
- * هل علم رفائيل إيتان بالمذابح ؟
- أسأله .
- * هل تشعر بتأنيب ضميرك ؟
- لا .
- * ماذا كنت ستفعل لو قام المصريون بقتل جنودنا الأسرى ؟
- ليحافظ كل جندى إسرائيلى على نفسه كى لا يقع فى الأسر .

* هل قتلت فقط أسرى عسكريين ؟

- لا . . بل قتلت عدداً كبيراً من العمال المدنيين الأغبياء ، وأما بالنسبة للجنود العزل فقد قتلت كتيبة كاملة كانت بلا سلاح وانقطعت عنها الامدادات والطعام والشراب .

* كم كان عدد أفراد تلك الكتيبة ؟

- ٤٠٠ جثة فى « رأس محمد » .

* ولماذا لم تقم بأسرهم كما تنص المعاهدات الدولية للحرب ؟

- كانت هناك مسابقة أعدها موشى ديان للجيش . . والجوائز كانت سخية وهامة لكل ضابط وجندى من الكتيبة ٨٩٠ مظلات . كما لم يكن هناك كما قلت لك ماء يكفى لـ ٤٠٠ أسير . لذلك قررت قتلهم كى نعيش . .

* ماذا ستقول للمصريين ؟

- لا شىء ، وأنا قتلتهم ولست نادماً على أى شىء .

هذا وقد نشبت مواجهة بين رئيس الوزراء الإسرائيلى إسحاق رابين والضابط اريا بيرو السفاح الإسرائيلى على صفحات الصحف العبرية قال فيها رابين أن بيرو قد فقد عقله وبدأ يخرج الجيش الإسرائيلى ووزارة الدفاع على صفحات الجرائد ، وأن الجيش سوف يبحث أمره .

فى حين ظهر بيرو جالساً وأمامه المسدس ويقول :

- لو فتحت فمى بالحقيقة كاملة سيأسف رابين ومن معه .

وقد تحدى اريا بيرو السفاح حكومة إسرائيل وقال :

- أتحدى أن تسلم إسرائيل لمصر ملفات حربى ٥٦ و ٦٧ ، كما أنه لا توجد اتفاقية تسليم أسرى أو مجرمين بين مصر وإسرائيل . وأعلن بيرو (٦٩ سنة) أن الأجهزة المصرية حاولت اغتياله فى عام ١٩٥٧ عقب الحرب لكنها لم تصل إليه لأن الجيش الإسرائيلى خبأه لفترة ما ، وقال بيرو : كلهم علموا بالمذابح ، وكل قادة إسرائيل أعطوا الموافقة بقتل الأسرى المصريين وأعطوا للجنود والضباط الإسرائيليين حق الاحتفاظ بممتلكات هؤلاء الجنود القتلى ولدى المنزل ١١ مدفعاً رشاشاً مصرياً وتسعة مسدسات .

كانت هذه بعض الاعترافات السافرة التى تبجح بها سفاحو إسرائيل . . وهى تدل على الآتى :

أولاً - أن الجيش الإسرائيلي كله وليس قلة منحرفة من ضباطه سفاحون وقتلة . فقد شارك في عمليات الإبادة جنود صغار وضباط كبار . . . وكأنهم جميعاً في متعة وتسلية . . . ولم يتحرك ضمير واحد منهم . خلال ٤٧ عاماً من سنة ٤٨ حتى سنة ٩٥ .

ثانياً - أن القيادة الإسرائيلية سواء السياسية أو العسكرية كانت على علم بهذه المذابح ، بدليل أن جميع من شاركوا فيها قد تمت تقيمتهم ومكافأتهم . . . وسمح لهم بأخذ كل متعلقات الأسرى قبل إعدادهم ، سواء كانت أموال أم سلاح واحتفظوا بها في بيوتهم . وأنهم أخفوا بعض هؤلاء السداسين حتى لا تنتقم منهم المخابرات المصرية والفلسطينية .

ثالثاً - إن شعب إسرائيل الذي كان يدعى المسكنة وأنهم قلة مضطهدة في العالم ومغلوبة على أمرها . . . وأن النازي قد أباد منهم ٥ مليون في المحارق والأفران . . . هذا الشعب ما أن تمكن حتى بدأ يعدم ويقتل ويبيد أكثر وأبشع مما فعله النازي بهم .

رابعاً - إن سياسة الإبادة الجماعية وطواير الإعدام والتطهير العرقي موجودة في تعاليم ديانته . . . وفي بروتوكولات حكماء صهيون ، فقد جاء فيها :

« إذا انتصر اليهود في موقعة وجب عليهم استئصال أعدائهم عن آخرهم . ومن يخالف ذلك فقد خالف الشريعة وعصى الله » . وجاء في الحث على العنف والقتل في سفر المزمير : « وسيف ذو - شبرين ، أيديهم كي ينزلوا نقيمتهم بالأثم وتآديباتهم بالشعوب ويأسروا ملوكهم بقيود وأشرافهم بأغلال من حديد وينفذوا فيهم الحكم المكتوب . وهذا كرامة لجميع أنبيائه » (المزمور ١٤٩) . فهم يعتبرون أن سفك دماء غيرهم من شعوب الأرض يقرّبهم إلى الله . ويغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم .

لقد كانت إسرائيل تعتمد على السرية المطلقة والكتمان في إخفاء آثار جرائمها . وقد وكنت أنا نفسي لا أصدق ما يقوله لي إخواني الفلسطينيون عن هذه المذابح . . . حتى شاهدت بعيني ، ثم بعد ذلك جاءت اعترافات ضباطهم في سنة ١٩٩٥ كدليل لا يقبل الشك .

لقد خطفت إسرائيل (إِيخمان) وغيره من قادة النازي الذين أفلتوا من المحاكمة كمجرمي حرب . . . ونقلتهم إلى إسرائيل حيث تمت محاكمتهم ثم إعدامهم . وقد صفق العالم لهم وهنأهم على أنهم لم يتغاضوا عن حقهم وأصروا على الانتقام لضحاياهم بعد ٤٠ عاماً من الحرب العالمية . فالعالم يحترم القوى الذي لا يلين في الحق . . . ويحتقر من

يتساهل فى حقه وحقوق مواطنيه ويفرط فى كرامته وكرامة مواطنيه وشعبه . . فماذا نحن فاعلون بعد اعتراف سفاحى إسرائيل ؟ هذا الاعتراف العلنى على صفحات جرائدهم . . مع ما فيه من تحدى لكل المشاعر الإنسانية واحتقار لغيرهم من الشعوب .

إن هذه القضية يجب أن تنقل كما هى بجميع وثائقها إلى هيئة حقوق الإنسان فى الأمم المتحدة وإلى محكمة العدل الدولية حتى يثبت حقنا فى التعويض عما لحق بأبنائنا . . وعن هذا الدم الذى أريق ظلماً وعدواناً .

وهذا هو أضعف الإيمان .

وكل ما أرجوه أن يبحث المسؤولون فى مصر وفلسطين عن التقارير التى كتبتها فى سنة ١٩٥٧ إلى الهيئة أنا والطبيب الشرعى الحكومى فى ذلك الوقت ، عن مشاهداتنا والحالة التى وجدنا عليها الجثث . . والتى عرفنا أنها جثث مصريين وفلسطينيين ممن كانوا فى القطاع ، وماذا فعلت الهيئة وإدارة الحاكم العام المصرى التى جاءت بعد انسحاب إسرائيل فى هذا الصدد .

الدوليون يحكمون غزة

بينما كنت أقلب فى الصور القديمة عن العدوان الثلاثى ، إذ عثرت على هذه الصورة الهامة جداً . وكنت قد نسيتها فى الطبعة الأولى من الكتاب ولم أشير إليها . . إنها جنازة الشهيد الفلسطينى البطل محمد على مشرف الذى استشهد بعد خروج اليهود من غزة على أيدى القوات الدولية . . فكان أول شهيد بعد انتهاء الحرب وفى وقت السلم .

وتبدأ القصة عندما حضرت القوات الدولية لتتسلم القطاع من اليهود أثناء انسحابهم . ولكن قائد القوات الدولية بدأ يتصرف وكأنه أصبح الحاكم العام للقطاع . . فذهب فى حفل عسكرى إلى مكتب الحاكم العام الذى كان مقر قيادة الحاكم اليهودى . . وكان قبل العدوان الثلاثى مقر الحاكم العام المصرى . . ورفع علم الأمم المتحدة على المبنى . . وابتدأ يستعرض نفسه وقواته على الشعب المطحون . . وأصدر أوامره بإعادة قوة البوليس الفلسطينى التى كان اليهود قد سرحوها . . وبدأ يصدر إليهم الأوامر بمنع الناس من التجمهر أو المظاهرات . . وبالتزام بيوتهم فى المساء . . ربما كان يقصد من ذلك العمل على استتباب الأمن فى القطاع وعدم حدوث أى عنف . ولكنه كان غيباً جداً لا يفهم نفسية الجماهير . . وما عانوه أثناء الاحتلال .

وابتداً أهالى غزة يتهايمسون بأن البوليس الدولى قد حضر لبقى . . أن قطاع غزة سوف يتم تدويله ليعود ألعبوبة فى يد إسرائيل . وأن مصر لن تعود . وقد ساعد على هذا الظن أن الإذاعة البريطانية فى ذلك الوقت هى والإذاعة الفرنسية كانت تذيع أن بريطانيا وفرنسا شركاء إسرائيل فى العدوان لم يتخلوا عنها . وأن غزة ستعود إلى الحكم الإسرائيلى . ومن تجربة شعب غزة السابقة أن هؤلاء الدوليون ينحازون دائماً إلى إسرائيل . . ويعتبرونها دولة أوربية مثلهم . وأن العرب لا يستحقون أى تقدير ولا حقوق لهم .

وابتداً الغليان يتجمع فى صمت وكتمان . . ما هذا ؟ تخلصنا من إسرائيل ودفعنا الثمن من دم شهدائنا . . ثم يأتى هؤلاء الدوليون . . لكى يحكمونا مرة أخرى ، لا والله !!

وتجمعت المظاهرات . . وابتدأت المسيرات . . ولكن القائد الدولى كان من الغباء فى الأمور السياسية بحيث أنه لم يتنبه إلى خطأ سياسته . . ولم يحاول أن يتفاهم مع المسيرات الأولى ويطمئنهم . . وعندما طالبوه بعودة المصريين والحكم المصرى . . رد عليهم بغباء أشد . . وقال أن هذا مستحيل الآن ، لأن الأمم المتحدة لم تقرر بعد مصير القطاع . وهنا تأكد لهم أن هناك مؤامرة تحاك لعزلهم عن مصر .

وتحول الأمر إلى عنف . . فابتدأت المظاهرات تخرج . . وعزلوا الحاكم الدولى داخل المبنى وحاصروه هو وقواته من البوليس الدولى . . وكان المتظاهرون عزلاً من السلاح . . بينما البوليس الدولى مسلح بكل أنواع السلاح . . وكانوا يحملون لافتات كتب عليها بالانجليزية : « نريد العودة إلى مصر . . اخرجوا من أرضنا أيها الدوليون » .

وقام جماعة من الشباب الفلسطينى بتسلىق المبنى من الخارج حتى وصلوا إلى الدور العلوى وتعلقوا بعلم الأمم المتحدة وأخذوا يمزقونه ويحرقونه بين صيحات الجماهير الهادرة . وكان بين الحرس الدولى جنود سويديون . . فأطلق أحدهم النار على أحد الشباب الذى أنزل العلم . وهو محمد على مشرف ، فسقط قتيلاً من فوق المبنى .

اشتد الغضب بالجماهير . . ورغم أنهم عزل من السلاح ، إلا أنهم شددوا حصار المبنى ، ووقف رجال البوليس الدولى يسددون سلاحهم فى وجوههم . . وكادت أن تحدث مذبحة لا يعلم إلا الله وحده مداها .

جنازة الشهيد البطل محمد علي مشرف .. الذي قتلته جنود الأمم المتحدة عندما دخلوا قطاع غزة



فى تلك الأثناء كان قائد قوات الحرس الدولى يستغيث باللاسلكى مع كل الجهات فى العالم . . مع هيئة الأمم المتحدة ، والمسترداج همرشولد شخصياً . . ومع القيادة المصرية . . والقيادة الإسرائيلية .

وأخيراً جاء الفرج الذى أنقذه من المذبحة . فقد وافقت الأمم المتحدة على انسحاب الدوليين إلى الحدود بعيداً عن الأهالى ، وعلى حضور حاكم عام جديد من مصر إلى قطاع غزة ومعه هيئة من ضباط القيادة المصرية . . وفريق من الأطباء والمدرسين والقضاة .

واستغاث القائد الدولى بقائد قوة البوليس الفلسطينى وطلب منه أن يعلن هذه الأخبار على المتظاهرين وأن يطلب منهم الهدوء والانصراف . وكان الضابط الفلسطينى لحسن الحظ لبقاً حسن التصرف . . فقد نبه المتظاهرين أن هؤلاء الدوليين ما جاؤوا ليحكمونا ويتحكموا فينا . بل ليحمونا من بطش العدو إسرائيل . . وأن قائدهم كان سيء التصرف ولكنه يعتذر بكل أسف عن أخطائه . . ووعد بتعويض أسرة الشهيد محمد على مشرف ، وقال لهم : أنه لا داعى لعداوة الدوليين .

وما أن سمعت الجماهير أن الإدارة المصرية ستعود إلى غزة ، حتى علا هديرهم : « مصر . . مصر . . عاشت مصر . . عاشت العروبة . . إلينا يا مصر » .

وحمل البوليس الفلسطينى جثمان الشهيد محمد على بعد أن لفوه فى بطانية . . وتسلمته الجماهير وهى تهتف من أعماقها : « الله أكبر . . الله أكبر . . إلى جنة الخلد يا شهيد غزة » .

وانطلقت المظاهرة نحو بيت الشهيد وهم يحملونه على أكتافهم . وفى اليوم التالى خرجت جنازة الشهيد من بيته . . جنازة لم أشهد لها مثيلاً فى حياتى ، فلم يبق فى بيوت غزة كلها أو مخيمات اللاجئين رجل أو امرأة ولا طفل ولا كهل إلا خرج فى الجنازة . وكانوا يحملون لوحات كبيرة كتب عليها بالانجليزية اسم الشهيد وقد سهروا طوال الليل يكتبونها بعناية فائقة . ويبدو أن أهل غزة أصبحوا يتقنون فن الجنازة من كثرة جنازاتهم وأحزانهم . فهى وسيلتهم للتعبير عن مشاعرهم . ولجمع صفوفهم . وللضغط على خصومهم ، وللمطالبة بحقوقهم . . بل هى أقوى أسلحتهم التى لم يستطع أى عدو أن يحرمهم منها . . وقد شاهدت بنفسى الرعب الذى أصاب الدوليين بمجرد سماعهم بخروج الجنازة رغم علمهم جيداً أن غزة كلها خالية من أى سلاح . .

وأعجب ما فى جنازات غزة أن هذه الآلاف يظهرون فى لحظة واحدة . . وكأنهم على موعد . . وبدون إذاعات أو ميكروفونات أو ورق مكتوب . . وخرجت للمشاركة

فى الجنازة . . فما أن لمحنى شباب مخيم جباليا الذى أعمل فيه ، حتى أقبلوا على يهثوثنى من قلوبهم : « مصر ستحضر يا دكتور . . انتصرنا يا دكتور » . ومن فرط حماسهم حملونى على الأكتاف . . وهم يهتفون : « تحيا مصر » . . وكلما طلبت منهم أن ينزلونى حتى لا أرهقهم . . كانوا يقولون لى : « صمدتم معنا . . وتعذبتم معنا . . وتعرضتم للموت من أجلنا . . إنت وزملاؤك الأطباء المصريون . . الذين رفضوا العودة إلى أهليهم فى مصر . . فكيف لانحملك على رؤوسنا وأكتافنا » . . ولأول مرة منذ بداية العدوان الوحشى الإسرائيلى . . حتى نهايته . . تتدفق الدموع من عيني . . ولكنها هذه المرة دموع الفرج .

وقد ذكرتني قصة الشهيد محمد على بالقصة المشهورة التى تحولت إلى فيلم سينمائى بعنوان : « كل شيء هادئ فى الميدان الغربى » . وهى قصة جندي ألماني ظل يحارب خلال أربع سنوات فى الحرب العالمية ونجا من كل شيء حتى أعلن وقف الحرب . . وجلس يكتب مذكراته وهو فى الخندق . . فأصابته رصاصة طائشة فقتلته والقلم فى يده بدلاً من المدفع . . فكان مثل محمد أول شهيد فى وقت السلم .

العودة إلى مصر

سألت نفسى أكثر من مرة . . وأنا أعيد صياغة هذا الكتاب بعد مضى قرابة الأربعين عاماً على مذابح سنة ١٩٥٦ : هل من واجبي أن أذكر شيئاً عن نفسى فى تلك الأيام وأتحدث عن ظروفى الخاصة كإنسان وطبيب ومواطن مصرى . . لقد كان حديثى منذ البداية قاصراً على مشاهداتى فى تلك الفترة . . وما كان يدور حولى وأمام عيني . . ولكننى أشعر الآن أن من حق القارئ على أن يعرف شيئاً عن ظروفى الخاصة ، لأنها جزء لا يتجزأ من هذه الأحداث .

لقد كنت فى ذلك الوقت فى الثلاثين من عمري . . وكنت حديث عهد بالزواج . . ومن باب الصدف أننى تزوجت أنا وصديقى الشهيد الدكتور / عبد المنعم حافظ فى نفس الوقت . . وقد نزلنا معاً فى القطار من غزة إلى مصر فى أجازة للزواج . . وقبل حدوث العدوان كانت الزوجتان قد نزلتا إلى مصر لولادة أول مولود لنا . . وكان يحدثنى أنه سوف يسمى ابنه (عمرو) أما أنا فأسمى ابني علاء . فكنت من باب المداعبة أنا وزملائى أنادي به (أبو عمرو) ويناديني بـ (أبو علاء) . لأن من عادة أهل غزة أن يكتنوا عن كل

شخص باسم ابنه . وعندما حدث الاحتلال الإسرائيلي كنا نتحدث معاً أن هذين الطفلين سيكون فيهما بركة . . فقد أنقذا والدتيهما من حوادث الاعتداء على النساء من جنود إسرائيل .

وفي بداية الاحتلال لم يستطع أحد منا الاتصال بأهله لكي يطمئنهم عن نفسه . . وكانت مكاتب هيئة الأمم التي أعمل معها لا تفيد أهلى وزوجتى بشيء عنى . . وتكتفى أن تسلمهم راتبى الشهرى دون أن تذكر إن كنت حياً أم ميتاً . . وشاء القدر الغادر أن يستشهد الدكتور عبد المنعم حافظ دون أن يرى ابنه عمرو . . وعندما نشرت فى جريدة الأهرام فى شهر سبتمبر سنة ١٩٩٥ قصة استشهاد الأطباء فى مذبحة مستشفى خان يونس التى رويتها سابقاً . . جاءت محطات التليفزيون فى أمريكا وأوروبا لكى يأخذوا منى شهادتى عن جرائم إسرائيل ونشرتها على العالم . وإذا بتليفون يأتينى من أمريكا ويقول : أنه عمرو عبد المنعم حافظ ابن الشهيد ويشكرنى على ذكر والده . . وقد علمت أن والدته قد هاجرت به إلى أمريكا وهو طفل صغير وأنه قد نبغ وأصبح أستاذاً فى علم الكمبيوتر فى أمريكا . . وبعث الدكتور عمرو بصورة والده كما طلبتها منه . . كما بعث إلى بصورة من هذه الرسالة التى نشرها فى جريدة (نيويورك تايمز) الأمريكية عن حوادث إعدام الأسرى المصريين وإعدام والده . .

Editor, New York Times
229 W. 43 Street
New York, NY 1003

Dear Editor:

I am the son of one of the POWs that were killed by the Israelis in 1956. My father was not an ordinary POW, he was a physician and chief of staff of the hospital in Khan Younis (the killing of medical personnel is in violation of the Geneva Convention)

As the facts come to the forefront, it is clear that military men make judgments that will affect the lives of innocent people for many years.

I have lived with this pain all my life, and now I would like all the facts to be known.

Due to my mother's courage, my life has been a positive one ; but what of the other victims' children ? They were deprived of their parents' affection.

I would appreciate your printing the attached letter in your editorial section, since the New York Times has brought the subject to the public's attention. In this way, may be, some of the other victims can find acknowledgment of the terrible blow that they have been dealt.

Sincerely,

Amr A. Hafez
167 Joseph Road
Boxborough, MA 01719

أعود بالقارئ إلى ما حدث معي . . فبعد انتهاء العدوان سافرت إلى مصر بطائرة الأمم المتحدة لأن القطار كان معطلاً . وفي المطار اتصلت بوالدائي وزوجتي . . ولم أشأ أن أخبرهم أنني وصلت إلى القاهرة حتى لا تكون المفاجأة فوق احتمالهم . . بعد أن ظنوا مدة طويلة أنني ميت . . بل قلت لهم : إنني أتكلم من غزة وأنتي سأحضر قريباً إلى مصر . وبعد ساعتين تقريباً كنت أطرق عليهم الباب . . وكانت مفاجأة ظللنا نضحك عليها زمناً طويلاً .

* * *

والآن قد يتساءل القارئ . . كما سألتني الكثيرون ممن قرأوا في الصحافة مذكراتي عن طواير الإعدام ومذابح الأطباء . . كيف كان تأثير هذه المشاهد البشعة عليك نفسياً . . وأقول لهم : إنني أثناء العدوان لم أكن أحس بشيء على الإطلاق ، ، لا خوف ولاطمأنينة . . كانت أحاسيسي قد تبدلت من شدة العنف وتلاحق الأحداث . . وكما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وجاءت سكرة الموت ﴾ ومعنى السكرة هنا أنها نوع من التخدير بحيث لا يشعر الإنسان بالألم عند حدوث الموت . فكان هذا شعوري . . ولكن بعد أن انقشع العدوان وزال الرعب . . أصبحت إنساناً آخر يختلف عن كل ما مضى من عمري . حقيقة إنني في عقلي الباطن كنت أصاب في أحلامي بكثير من الكوابيس ، وقد ظلت الأحلام المزعجة تطاردني مدى الحياة من هذه الذكرى المؤلمة رغم اهتمامي بعلاجها أو نسيانها . ولكن المهم هو عقلي الواعي . إن المحنة تجعل الإنسان أكثر عمقاً في تفكيره . وأكثر تأنيلاً في أحكامه . . وتجعله يحب الاطلاع والمعرفة . . إنها تصقل العقل .

فرغم أنني لم أترك ممارسة الطب كطبيب وقائي . . إلا أنني بدأت القراءة بشغف ونهم شديدين . وكانت ظروف في الكويت تساعد على ذلك لتوفر المكتبات العامة في كل حي صغير أو كبير وسهولة الاستعارة . . ووصل الأمر أن أقرأ كل يوم أو يومين كتاباً جديداً . . سواء عربياً أو أجنبياً . . وكنت ألخص النقاط الهامة في كل كتاب في مفكرة خاصة . . لقد بدأت بالقراءة عن إسرائيل . . ثم تطرقت إلى القراءة عن الديمقراطية باعتبار أن غيابها هو السبب في كل تخلفنا وهزائمتنا وخلافاتنا وضعفنا . . ثم عن الأديان المختلفة . . ثم الحروب المختلفة . . ثم زعماء العالم ونضال الشعوب . ثم درست الإسلام والتحقت بمعاهد العلوم الإسلامية بالانتساب لدراسة الفقه والشرعية . . ولم تكن

قراءتى فى مجال واحد أو اتجاه واحد . . بل كنت أقرأ أيضاً فى الموسيقى والمسرح والغناء والرحلات .

ومع هذه الحصيلة التى استمرت لعدة سنوات بدون توقف أو انقطاع . . أحسست بأننى يجب أن أكتب وأن أعبر عن أفكارى . . لإصلاح وطننا الحبيب مصر . . وإنقاذ العروبة . . وخدمة الإسلام .

وقد بلغت الكتب والمؤلفات والمراجع والمحاضرات التى ألفتها . . بالعشرات ذكرت منها بعضها فى نهاية هذا الكتاب .

كل هذا بفضل المحنة التى مررت بها أثناء العدوان الإسرائيلى وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ .

قضية فلسطين

هى شاغلى الأول

الأثر الثانى لهذه المرحلة أننى تعلقت بقضية فلسطين وبشعب غزة بالذات . . حقيقة أننى تركت غزة بعد سنة ١٩٥٧ ولم أعد إليها بعد ذلك . . ولكنى ارتبطت ارتباطاً ذهنياً وعاطفياً بأهلها . . سكان الخيام وسكان المدن . . المقيمون فيها والمهاجرون منها . . وعندما قامت ثورة الحجارة . . وكل يوم يقتل الإسرائيليون طفلين أو ثلاثة من أطفال الحجارة . . كنت أحس أنهم يقتلون أولادى وأولاد إخوتى وأحفادى . .

وعندما حدث الصلح مع إسرائيل فى طابا . . وابتدأت بشائر الدولة الفلسطينية تظهر . . انتابنى نوع جديد من القلق على مستقبل هذه الدولة . . بدأت أخاف أن يحدث لها ما حدث مع كثير من الدول العربية الإسلامية الحديثة عهد بالاستقلال مثل أفغانستان والجزائر . . الذين ظلوا متحدين طالما كان العدو أمامهم . . فلما زال الاحتلال الأجنبى وأصبح الحكم بأيديهم . . إذا بهم يتقاتلون فيما بينهم قتال الموت بسبب غياب الفكر الديموقراطى والصراع على كراسى الحكم .

وإذا كانت إسرائيل قد وصلت إلى جميع بلاد العالم ونبغت فى بعث الفتن والتطرف والإرهاب فى كل بلد عربى وإسلامى ، ومنها مصر والجزائر . فإن فلسطين ستصبح لقمة

سائغة لهم . . يتسلون عليها . . ويستمتعون بتمزيقها لا قدر الله . . لكى يتشدقوا أمام العالم إن هؤلاء العرب لا يستطيعون أن يحكموا أنفسهم . . وكان خيراً للعالم أن يترك إسرائيل لكى تحكمهم من أجل صالحهم وصالح الإنسانية .

ثم وصل أبو عمار قائد الثورة الفلسطينية إلى غزة . . وابتدأت محادثات السلام بين إسرائيل . . وبهذه المناسبة فإن الشبه بينى وبين أبو عمار كبير جداً ، إلى حد أننى فى التنبؤ من أسفارى وتنقلاتى فى أوروبا وأمريكا كانوا يظنوننى أبو عمار أو شقيقه . . ولاشك أن هذا الرجل يشغل فى نفسى ونفس كل عربى مكانة كبيرة لصموده فى الكفاح على مدى أربعين عاماً رغم المحن الكبيرة التى تعرض لها .

وفى مرحلة من المراحل . . وتحت تأثير الانفعال النفسى . . ابتدأ أبو عمار ياتخذ بالخطب الرنانة والتصريحات النارية . . وعندما قال فى وقت من الأوقات عن جيرانه : « فليشربوا من البحر » انتابنى فزع شديد عليه وعلى مستقبل الثورة الفلسطينية . . فقبل ذلك قالها جمال عبد الناصر عن أوروبا وأمريكا ، فكانت النتيجة أن شرب الشعب المصرى من البحر على مدى أعوام طويلة . . وقد كانت نتيجة تصريح أبو عمار أن رد عليه الملك حسين بأن ذكره بأيلول الأسود . . وردت عليه إسرائيل بما هو أسوأ .

فى ذلك الوقت كتبت فى الصحافة المصرية عتاباً أخوياً إلى أبو عمار . . أناشده فيه بأن يتعد عن الخطب الانفعالية التى قد تثير الحزازات والخلافات فى وقت أصبحت فيه فلسطين أشد حاجة إلى فتح صفحة جديدة من التعاون البناء مع جيرانها وأولهم الأردن وسوريا . . بل أيضاً مع إسرائيل .

وقد قلت فى هذا المقال إن هناك فارقاً كبيراً بين أبو عمار قائد الثورة الذى يستطيع أن يقول ما يشاء دون أن يحاسبه أحد . . وبين أبو عمار قائد الدولة الذى تحسب عليه كل كلمة ، وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات الدولية . . ومع الجيران .

وقد حمدت الله أن هذه الفترة الانفعالية قد زالت وانتهت عندما وجدت أبو عمار يصافح بحرارة الملك حسين ورايين من أجل صالح شعبه ومستقبل الدولة الوليدة .

ومن أهم ما يشغل بالى وقلقى على الدولة الوليدة قضية الديمقراطية . . وللأسف الشديد أنه لا يوجد فى العالم العربى كله . . ولا العالم الإسلامى كله . . نموذج واحد من

الديمقراطية الحققة حتى يقتدى به الفلسطينيون . . وللأسف أيضاً فإن النموذج الوحيد الصحيح هو المطبق فى إسرائيل .

لقد ألفت عدة كتب عن الديمقراطية . . منها كتاب « الحرية السياسية أولاً » و « الحرية السياسية فى الإسلام » وأخيراً « الإسلام والديمقراطية » .

وكان الهدف الأول من ذلك أن أشرح المفهوم الحقيقى والتطبيق الآمن للديمقراطية . لأن جميع القادة والزعماء فى دول العالم الثالث يطلقون على حكمهم اسم الديمقراطية لمجرد التعميه مهما كان حكمهم فردياً أو استبدادياً .

والهدف الثانى : أن أبين أهمية الديمقراطية فى إنقاذ أى دولة ناشئة من الخلافات والصراعات الداخلية حين يستبد فريق واحد بالحكم ويعزل الآخرين ، كما يحدث اليوم فى أفغانستان وغيرها مما يؤدى إلى الحرب الأهلية . . والديمقراطية تمنع الأخطاء والانحرافات بسبب وجود معارضة قوية تنبه الحاكم وتحاسبه عن كل خطأ أو تهاون فى شئون لرعية . . والديمقراطية هى صمام الأمان ضد التطرف والعنف والإرهاب ، لأن كل فرد إذا وجد متنفساً له من خلال القنوات الشرعية يعبر فيه عن رأيه فلن يحتاج إلى العنف فى إيصال رسالته . . والديمقراطية هى التى تصلح الاقتصاد وتقضى على الروتين والبيروقراطية .

ولتحقيق الديمقراطية يجب أن تتحول جميع فصائل المقاومة الفلسطينية ومنها حماس إلى أحزاب سياسية . . وأن تدخل الانتخابات بحرية دون قيود أو عقبات ولتقل ما تشاء فى البرلمان . . والرأى النهائى للأغلبية .

والاقتصاد من أهم المشاكل التى ستواجه الدولة الفلسطينية . . وهوىأتى فى المرتبة الثانية بعد الديمقراطية . . فتعداد فلسطين الحديثة سيكون ٥ ملايين . . وستكون الزيادة سريعة جداً . . والرقعة ضيقة والموارد تصل إلى الصفر تقريباً . . ولا يمكن لهذه الدولة الوليدة أن تعتمد على الطرق التقليدية القديمة مثل الزراعة . . ورعى الأغنام . . والتجارة . . فهذه الأعمال القديمة لا تصلح للدولة الناشئة . . ولا بد من خلق نوع جديد من الصناعة التصديرية . . فإسرائيل مثلاً تعتمد على الصناعات الالكترونية الحديثة وعلى تقطيع الماس والجواهر النفيسة . . وعلى الزراعة الحديثة بدون تربة وبالهندسة الوراثية . . فقد أصبحوا الدولة الأولى فى العالم فى هذه المجالات .

ومثل هذه الصناعات المتطورة تحتاج إلى تكنولوجيا متطورة جداً . . . وقبل كل هذا إلى عمال ذوى مهارات فنية عالية . . . وقد تدرب عمال فلسطين فى المصانع الإسرائيلية . وقد قرأت فى بعض المصادر أن عددهم لا يقل عن ربع مليون عامل . وطبعاً إن العدو لن يعطيهم إلا الأعمال البسيطة جداً ويتركون التكنولوجيا العالية لعمالهم وهذا أمر طبيعى . . . ولكن إذا فتحت فلسطين المدارس الفنية من أوسع أبوابها لأبنائها فسوف تنتج فى القريب العاجل جيلاً جديداً من المهارات الفنية ، يكون أساس النهضة الاقتصادية الجديدة .

إن الدولة الفلسطينية الجديدة سوف تواجه تحدياً حضارياً خطيراً قد يكون أكبر من طاقاتها . . . ولكنها أهل له . . . فسوف ينظر العالم إلى دولتين جارتين متشابهتين فى الأرض والظروف والمكان . وأيضاً فى تعداد السكان . . . فكل منهما قرابة الـ ٥ ملايين نسمة . . . ولا شك أن هذه المقارنة ستكون ظالمة . فإسرائيل قد وصلت اليوم إلى امتلاك القنابل الذرية وصواريخ الفضاء والأقمار الصناعية .

والعالم لا يقول إن إسرائيل قد بدأت من القمة . . . حيث جاءها العلماء والرأسماليون من شتى أنحاء العالم ليبنوا دولة من الصفر . . . بينما فلسطين تبنى اليوم على أكتاف سكان الخيام الذين كانوا محرومين من الغذاء الجيد والتعليم ، كل هذه الفروق لن تهم العالم . ولكنه سيقول إذا فشلنا لا قدر الله . . . إن الإسلام هو الذى فشل ، واليهودية هى التى نجحت . سيقول إن الدين اليهودى قد خلق دولة ناهضة من الصفر . . . بينما الإسلام لم يستطع أن يبنى دولة تسائر الحضارة . وسيكون الإسلام هنا هو المظلوم . كما ظلم من قبل فى الحرب الأهلية فى أفغانستان والجزائر وغيرها .

ومن هنا أقول . . . إن العالم الإسلامى والعربى كله مطالب بمواجهة هذا التحدى فى دولة فلسطين . . . مطالب بمديد العون الاقتصادى والعلمى . . . وبناء المدارس والجامعات . . . والمصانع فى فلسطين . . . حتى تكون واجهة جديدة . . . لنهضة العرب والإسلام .

ومن دراستى لتاريخ الحضارات . . . فإننى واثق أن هذه النهضة ممكنة فى فلسطين بالذات أكثر من غيرها ، لأن بناء دولة من الصفر . . . أسهل بكثير من الترقيع ومحاولة الإصلاح فى دولة قديمة يقتلها الروتين والبيروقراطية .

* * *



النصب التذكارى لشهداء غزة سنة ١٩٥٦

الباب الثانى

إسرائيل كما يجب أن نعرفها

الإعلام العربى ودوره فى مواجهة إسرائيل

لاشك أن هنالك فارقاً ضخماً بين « إسرائيل كما يجب أن نعرفها » وبين إسرائيل التى نعرفها فعلاً . . وأقل ما يقال عن هذا الفارق أنه هو نفسه الفارق بين الهزيمة والنصر . . فمن أسباب انتصار إسرائيل علينا أننا كنا لا نعرف شيئاً عنها ولا عن مخططاتها وأهدافها واستعدادها . بل كان القدر الضئيل الذى نعرفه نتجاهله ونغمض أعيننا عنه .

وتحضرنى بهذه المناسبة قصة طريفة عن مونتغمرى قائد قوات الحلفاء فى شمال أفريقيا أثناء الحرب العالمية الثانية . . فقد كتب فى مذكراته أنه كان يضع فى مكتبه مجموعة من الصور لشخص واحد . ولم يكن هذا الشخص هو زوجته أو أولاده . . أو رئيس وزراء بريطانيا تشرشل أو ملك بريطانيا . . ولكنها كانت صور عدوه روميل . . وعندما سأل بعض الناس فى ذلك قال : أنه يدرس وجه روميل ونفسيته ، وطباعه . . وأنه يعرف حتى عاداته ومواعيد نومه وطعامه ، فإذا عرف نقاط الضعف والقوة فيه أمكنه أن يقضى عليه . . وبهذه الطريقة انتصر عليه فى معركة العلمين . وهزم ثعلب الصحراء الرجل الأسطورى الذى كان يظن أنه لا يقهر .

وفى الوقت الذى كنا لا نعرف فيه شيئاً عن إسرائيل . . كانت إسرائيل تعرف كل شىء عنا . . حتى عن خفايا حياتنا . . ونقاط الضعف والقوة فيها . . وأثناء العدوان الثلاثى كان رئيس وزراء إسرائيل نفسه من المهتمين بالشؤون العربية ، كما كان وزير خارجيتها يعمل مدرساً للغة العربية والأدب العربى فى جامعة كامبردج بالإنجلترا . . وقد ترجم عدة كتب عن العربية إلى اللغات الأخرى ، ومنها مؤلفات نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ، بل أكثر من هذا ، ألف كتاباً عن القومية العربية وأثرها فى العالم المعاصر . ومن الأسرار المروعة التى أذيعت بعد حرب الأيام الستة ، أن إسرائيل كانت تعرف عنا حتى أدق أسرارنا ، ابتداء من الشفرة السرية فى الجيوش ، والمكالمات التليفونية بين الرؤساء ، إلى مواعيد نوم القادة والضباط ، ومواعيد طعامهم وراحاتهم . وكانوا يعرفون عن المشير عبد الحكيم عامر بالذات بطل الهزائم والنكسات عام ٥٦ وعام ٦٧ . . يعرفون عنه أسراراً لا يعرفها الشعب المصرى نفسه . لأن هذه الأسرار كانت محظورة على المصريين مباحة للعدو .

وهذه المعلومات كلها كانت العامل الحاسم فى انتصارهم علينا فى الحربين ، وفى نحاحهم فى كل مرة فى تدمير الطيران المصرى وهو رابض على الأرض .

أما معلوماتنا عن إسرائيل فمعظمها معلومات سطحية يغلب عليها طابع السخرية والاستهزاء . . فإسرائيل ليست شيئاً فى نظرنا أكثر من أنها إسرائيل المزعومة أو « دولة العصابات » ، أو « الدولة المسخ » ولم نحاول التعمق أكثر من هذا لكى نخرج عن مستوى الشائعات والتعصب إلى مستوى الدراسات العلمية .

ولهذا السبب ، فعندما دخلنا حرب ١٩٤٨ بجيوشنا العربية فرح العرب جميعهم وقالوا : « كلها ساعات ونصل تل أبيب » .

ومضت أيام وإذا رقة إسرائيل قد اتسعت وزادت حتى عن حدود التقسيم . بينما زاد لدينا عدد خيام اللاجئين .

وجاءت معركة ١٩٥٦ وتلتها النكبة الأخيرة عام ١٩٦٧ . . ولعلنا نتذكر أن مئة مليون عربى من الجزائر حتى الكويت كانوا يجلسون بأذان مرهفة يستمعون إلى الراديو وهم يقولون : « كلها ساعات ونصل تل أبيب » . فلما انقلب الأمر بالعكس أصيبت الأمة العربية بصدمة مذهلة فى آمالها وأمانها . . حتى أسمى الهزيمة العادية التى قد تصيب أى جيش فى التاريخ بالنكسة وليست الهزيمة . . وكل هذا يرجع إلى أننا ندخل كل معركة دون أن نعرف شيئاً عن حقيقة عدونا . . بل نكون أقرب إلى الحقيقة إذا قلت أننا ندخل بفكرة مضللة عن قوته . . ولو كنا نعرف شيئاً عنه لأعدنا له لا القوة العسكرية فحسب ، ولكن أهم من هذا القوة النفسية والمعنوية التى تتناسب مع طاقاته وإمكاناته أو تزيد .

ويجب أن لا ننسى حقيقة هامة جداً كان لها أثر كبير فى حروبنا مع إسرائيل :

وهى أن طريقتنا فى الدعاية المحلية تؤثر تأثيراً سيئاً على نفسية الجندى المحارب فى الميدان أكثر مما تؤثر على نفسية المدنى فى بيته . . فالجندى الذى يدخل الحرب وهو يتوقع أن يجد عدواً هزياً قليل العدد جباناً يفر من أمامه إذا صاح فى وجهه صيحة عالية ، كما تصوره دعايتنا ، إذا وجد عدوه عكس ما توقعه . . ورآه عنيداً متفانياً ومدرياً ، وإذا وجد أن هذه الحرب التى دخلها معتقداً أنها مسألة ساعات ويصل إلى تل أبيب تصل إسرائيل إلى مقربة من عواصمنا : مثل هذا الجندى لا بد أن يصاب بالانهيار النفسى .

لقد كانت هناك آراء عديدة في موضوع الاعلام العربى . . ومنهجه : كان هناك رأى يقول أن واجب الإعلام العربى من صحافة وإذاعة وكتب فى موضوع إسرائيل . . هو رفع الروح المعنوية للمواطن العربى بأى وسيلة ولو كانت هذه الوسيلة هى إخفاء بعض الحقائق عن أى نجاح تحققه إسرائيل فى أى مجال علمى أو اجتماعى أو اقتصادى . . وإظهار دولة إسرائيل دائماً بمظهر الدولة الضعيفة التى تحمل فى مولدها عوامل دمارها انهيارها . وأن أقل مجهود منا سوف يقضى عليها فى ساعات . وهناك رأى آخر يقول : إن شعبنا العربى مؤمن بالله . مؤمن بقضيته . وأنه لا يخشى عليه من الضعف أو الإنهيار إذا علم شيئاً عن قوة أعدائه وتقدمهم ، بل سيكون ذلك حافزاً على اليقظة والعمل والاجتهاد حتى يلحق بهم أو يتفوق عليهم . وأن حجب المعلومات الصحيحة عن الناس سيصبح أمراً أقرب إلى تضليلهم منه إلى رفع روحهم المعنوية . . لأن نتيجة هذا التضليل أن الناس سيتكاسلون عن العمل وعن الجهاد . . وسيقعد كل فرد فى بيته لا يعمل شيئاً أكثر من الاستماع إلى الراديو فى بيت مريح وهو يقول : « كلها بضعة ساعات ونقضى عليهم » . ويهمنى هنا أن أضرب مثلاً رائعاً عن وسائل الإعلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان . . هذا المثل هو من صنع الله تعالى وفى كتابه الكريم . . فلم يحاول الله أن يقلل من شأن قوة الكفار فى قتالهم للمسلمين . . بل يقول : ﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون أن يدلوا كلام الله . قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ . لم يقل القرآن أن الكفار ضعاف أو منهارون ، ولم يقل للمسلمين أنكم ستقضون عليهم فى ساعات . هكذا يجب أن يعرف شعبنا الحقيقة كما هى بدون زيادة ولا نقصان ، وحتى لو كانت الحقيقة مرة فمعرفتها خير ما يبعث اليقظة ويشحذ الهمم . . وإذا قال بعض الناس أن بعض الحقيقة لو ذكر لأثار القلق والبلبلية بين الناس ، فنقول لهم : مرحباً بالقلق ، لأن القلق هو بداية اليقظة ، واليقظة هى بداية التفكير ، والتفكير هو مقدمة العمل ، فبغير أن نشعر بالقلق لن نعمل شيئاً لإنقاذ بلادنا وسنظل نقف من قضيتنا قضية الحياة أو الموت موقفاً سلبياً وكل ما نمنحها من التأيد لا يتعدى سماع أخبارها من الراديو والإذاعات . . كأننا نستمع إلى أخبار قضية بعيدة عنا مثل قضية فيتنام تماماً .

لن أنسى أبداً ما حييت موقف الكثيرين من هذا الكتاب عندما أردت إعادة طبعه . . حيث قالوا إن الموضوع قد انتهى ومات وأن نشره بعد هذه السنين قد يثير المواجه والخوف والقلق . وأقول لهم تلك الحكمة التى قالها السيد المسيح : « طوبى للخائفين » لأن الذى يخاف هو الذى يعيش على الحذر . ويترك الغفلة والكسل ، ويعمل جاهداً للنصر . ولقد

كان أخشى ما تخشاه إسرائيل أن يشعر يهود العالم بالطمأنينة ، إلى أنها أصبحت فى سلام ولا خوف عليها من الجيوش العربية بعد النكسة الأخيرة سنة ٦٧ ، وبذلك يتقاعسون عن مساعدتها بالمال ومدّها بالتأييد . وقد وقف أستاذ العلوم الاجتماعية فى جامعة تل أبيب يقول : « إن اليهودى الحق ، هو الذى يشعر أن هناك قضية يهودية ومشكلة يهودية حتى لو كان فى جزيرة نائية » .

ووقف بن غوريون يقول : « إن اليهودى الحق هو الذى يشعر بالاضطهاد ولو لم يكن هناك من يضطهده » . لهذا نجحت وسائل الإعلام فى إسرائيل ، فى حين فشلت وسائل الإعلام العربية .

فعلينا اليوم أن نتحرى الصراحة والصدق والأمانة فى دراسة العدو ومعرفته دون تقصير . . وفى الوقت نفسه دون مبالغة أو تهويل . فذلك خير من أن نتبع أسلوب النعامة قندفن رؤوسنا فى الوحل . وحل الغفلة والجهل .

تعداد إسرائيل

يقدر تعداد يهود العالم اليوم بـ ١٥ مليوناً . منهم ٥ ملايين فى إسرائيل و ٥ ملايين فى أمريكا والباقي متفرقون فى أنحاء العالم . وهم يدعون أن عددهم كان أكثر من ذلك ، إلا أن هتلر قد أباد منهم ٥ ملايين .

كذلك يقدر عرب فلسطين بـ ٥ , ٥ مليوناً ، منهم ٥ , ٤ مليوناً داخل إسرائيل ومليون مهاجر .

وكان تعداد إسرائيل قبل حرب سنة ٥٦ ، ٥ , ٢ مليون ، وظلوا يزدون ويزيد عدد المستعمرات حتى يومنا هذا ، فهى دولة مبنية على التوسع الاستيطانى .

المهم أن هناك حقيقة يجب أن يعرفها كل عربى ولا يشك فيها ، وهى أن العدو الذى يحاربنا فى إسرائيل هو معظم هؤلاء الخمسة عشر مليوناً بجميع إمكاناتهم ومواردهم وليس المليونان ونصف أو الخمسة الذين يسكنون إسرائيل . وكل يهودى شاب فى أية بقعة من العالم له مكان فى جيش إسرائيل ويعرف رقم سلاحه وجواز سفره جاهز فى أية لحظة للسفر حين استدعائه . . وقد كان بين الأسرى الذين سقطوا فى مصر يهودى أمريكى يعمل حلاقاً فى نيويورك . . فما أن استدعوه حتى كان فى مركزه يقود طائرته فى إسرائيل بعد بضع ساعات من استدعائه . . وجيش إسرائيل هو الجيش الوحيد فى العالم بعد الجيش السورى الذى يمكن استدعاؤه فى بضع ساعات . لقد جاء فى تقرير دولى : « فى

خلال ٢٤ ساعة فقط يكون الجزء الرئيسى من الجيش قد اكتمل . . ولا تمر أكثر من ٧٢ ساعة حتى يكون آخر رجل قد أخذ مكانه . فكل يهودى سواء كان عاملاً فى مصنع أم مغنياً فى الإذاعة يحتفظ بسلاحه فى منزله ويقوم بتنظيفه وإعداده بنفسه فى وقت فراغه .

وقد كنت أتعهد المناقشة مع الكثيرين من العساكر والضباط اليهود أثناء حكم إسرائيل لغزة ، وأثناء فترة الأسر فى عتليت فى سنة ١٩٥٦ . . فقال لى أحدهم وهو يهودى من العراق اسمه إبراهيم ، وهو من المعجبين بفريد الأطرش ويعزف موسيقاه ويغنى أغانيه . قال إبراهيم أنه يعمل مغنياً فى الإذاعة وعازفاً على العود ، وأنه يضع سلاحه فى بيته بجوار العود ، فيوماً يطلبونه ليعزف على العود فى الإذاعة ، ويوماً آخر يطلبونه لكى يتمرن مع زملائه على سلاحه . وقد ذكر لى ضابط يهودى اسمه (فكتور) أنه صاحب فندق كبير فى روما ، وإنه يعيش بصفة دائمة هناك ، . . وأنه كان يتناول العشاء مع أولاده فى فندقه فى روما عندما سمع إذاعة إسرائيل تعلن التعبئة العامة بالشفيرة السرية فقام من فورهِ وترك مائدة الطعام دون أن يكمله وكان واقفاً فى مركز قيادته فى تل أبيب بعد ست ساعات فقط من لحظة إعلان التعبئة العامة .

هذه هى إسرائيل من ناحية تعدادها . وإن كان التعداد لا قيمة له فى الحروب المصيرية قل أم كثر . . لأن النصر لا يبنى على تعداد الشعب ولا على كثرة أفراد الجيش ، النصر يتوقف على النوع أكثر مما يتوقف على الكمية . . ونوعية المواطن تتوقف على شيء واحد . يأتى فى المرتبة الأولى قبل ثقافته وعلمه ، وقبل صحته وجسمه ، وقبل أخلاقه وطباعه ، إنها تتوقف على معتقداته ، أى على عقيدته .

العقيدة هى التى تكيف أخلاق الإنسان وطباعه ، هى التى ترفع معنوياته ، وهى أيضاً التى تدفعه إلى الاستزادة من الثقافة والعلم . . والمحافظة على الصحة والبدن . . إنها كل شيء فى الحياة . وبدون العقيدة يصبح الإنسان حيواناً ناطقاً يعيش ليأكل . . ويأكل لأنه يجوع . فالحياة مفروضة عليه وليس له فيها دور إيجابى .

وشعب إسرائيل من هذه الناحية له عقيدة . إنه يدين بالعقيدة الدينية أولاً . . ثم يدين بالعقيدة العنصرية ثانياً . . أما إسرائيل الدولة ، فإن نظامها الاقتصادى هو نظام شيوعى بحث ونظام الحكم فيها ديمقراطى حر . وهكذا نرى أن إسرائيل دولة دينية وعنصرية وشيوعية وديمقراطية فى وقت واحد ، وإليك الدليل على كل واحدة من هؤلاء .

الديموقراطية فى إسرائيل وأثرها فى استقرار الدولة ونجاحها اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً

وصف المستر نيكسون الرئيس الأمريكى السابق دولة إسرائيل فى إحدى خطبه بأنها : « واحة الديموقراطيين فى الشرق كله » ومعنى كلمة واحة أن كل ما حولها صحراء جدداء ، وأنها هى وحدها فى المنطقة التى تتمتع بالديموقراطية . ويقول المستر أنتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى فى كتابه المشهور : Isaw for myself^(١) رأيت لنفسى : « إن إسرائيل دولة أكثر ديمقراطية من الولايات المتحدة . . وأكثر اشتراكية من الاتحاد السوفيتى » .

والواقع أن الديموقراطية فى إسرائيل عملة ذات وجهين :

- وجه ديموقراطى مثالى للمواطن الإسرائيلى اليهودى وحده .
- ووجه دكتاتورى مثالى للمواطن الإسرائيلى من غير اليهود .

فالأقلية العربية المسلمة والمسيحية والدرزية فى هذه الدولة التى تمثل ١١٪ من سكانها لا تتمتع بأى حقوق سياسية وليست لها حرية شخصية ، بل أكثر من هذا تحرم من كافة حقوق الإنسان .

والآن ما هى مظاهر هذه الديموقراطية .

أولا - الأحزاب السياسية :

اتفق علماء التخطيط والسياسة فى الصهيونية العالمية على أن النظام المثالى لتحقيق حكم ديموقراطى مستقر فى دولة ناشئة هو النظام البرلمانى المتعدد الأحزاب .

- فعدم وجود الأحزاب يترك الأمة فى فراغ سياسى ويعرضها للدكتاتورية والانقلابات العسكرية .

- والاكتفاء بحزب واحد يحرم الأمة من المعارضة والنقد وكشف الأخطاء ، فهو لا يختلف كثيراً عن إلغاء الأحزاب .

(١) كتاب Isaw for myself لأنتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى الذى استقال من الوزارة احتجاجاً على العدوان الثلاثى على مصر .

- وإذا لا يبقى إلا الحل الثالث وهو الحرية الحزبية المطلقة ، كما هو معمول به فى إنجلترا وأمريكا وفرنسا وغيرها من دول العالم الحر . . وهذا هو ما أخذت به إسرائيل من أوسع معانيه .

ويبلغ عدد الأحزاب التى تشترك فى انتخابات الكنيست الإسرائيلى واحد وعشرون^(١) حزباً سياسياً . . ورغم هذا العدد الكبير بالنسبة إلى حجم الدولة ، فمازال القانون يسمح لأى فئة أو جماعة إقامة أى تنظيم تريده ، سواء كان سياسياً أو ثقافياً أو رياضياً أو تجارياً . . ولا يحتاج تكوين هذه الأحزاب السياسية إلى إذن خاص من الحكومة أو تصريح منها .

كل ما هو مطلوب لكى يصبح الحزب مسجلاً إرسال وثيقة عن أهدافه قد تقع فى بضع سطور أو فى مجلد كامل ، وقد يكفى نشر هذه الوثيقة فى الصحف اليومية ، ثم يمارس الحزب نشاطه الحزبى فى الحال .

والسؤال الذى يتبادر إلى الأذهان هو : هل من صالح أى أمة أن تكثر الأحزاب فيها وتتعدد بهذه الصورة . . ألا يؤدي ذلك إلى المزيد من الانقسام والخلافات .

والواقع أن الديمقراطية تحل دائماً مشاكلها بنفسها ودون حاجة إلى تدخل من السلطة . . فهذا التسامح الديمقراطى إزاء الأحزاب السياسية قد صفاها بطريقة طبيعية إلى حزبين كبيرين رئيسيين ، كما هو حادث فى إنجلترا وأمريكا وفرنسا . . والحزب الرئيسى فى إسرائيل هو حزب الماباى أو حزب العمل ، والحزب الرئيسى المنافس له هو اتحاد الأحزاب الدينية اليمينية والمسمى (ليكود) . . كما أن هنك كتلة ثالثة من تجمع أحزاب اليسار .

ولكن من الملاحظ دائماً أنه لم يحصل أى حزب فى أى وقت على أغلبية مطلقة تخول له الانفراد بالسلطة . . فأعضاء الماباى فى الكنيست فى حدود الخمسين عضواً من مجموع ١٢٠ (مائة وعشرون) نائباً ، وهذه النسبة الصغيرة قد حافظت على التوازن والتعايش السلمى وجعلت معظم الحكومات الإسرائيلية عبارة عن حكومات مؤتلفة ، وكثيراً ما كانت الأحزاب الصغيرة عند اشتراكها فى الحكم مع الماباى (حفاظاً على مصالحها الشخصية) تعارض فى أن تتخذ الحكومة أى إجراء غير ديمقراطى بالنسبة إلى معارضيه خوفاً من أن يمسخها هذا الإجراء فى نهاية الأمر عندما تصبح خارج الحكم .

(١) كتاب الحياة السياسية فى إسرائيل : رفيق حبيب مطلق .

ثانيا - الحريات الشخصية والسياسية :

رغم أن إسرائيل مليئة بالمعتقلات والسجون السياسية ، إلا أن هذه قاصرة على المواطنين العرب وحدهم . . وقد صرح مراقب الدولة الإسرائيلي في الكنيست وهو يتحدث عن الأمن بأنه :

« لم يصدر أمر واحد في إسرائيل بالإقامة الجبرية أو المنزلية ، أو أمر اعتقال سياسى أو نفى أو نقل أو مصادرة الأموال ، لأى مواطن يهودى منذ إنشاء دولة إسرائيل ، وأن استعمال^(١) السلطة لهذه الأوامر قاصر على المواطنين العرب وحدهم » .

ورغم أن إسرائيل قد خاضت حتى اليوم أربعة حروب متوالية منذ إنشائها ، فهي لم تطبق حتى اليوم الأحكام العسكرية على المواطنين اليهود ، ولم تجد مبرراً للتفكير فى ذلك .

وليس لأى شخص ، مهما علا مركزه فى الدولة ، أى امتيازات على غيره من المواطنين . . ففي سنة ١٩٦٨ رفض الحاخامون تسجيل^(٢) زواج . . حفيد بن جوريون مؤسس الدولة ورئيس الوزراء لأن والدتها غير يهودية ، مما اضطرها إلى إجراء هذه المراسيم خارج إسرائيل . . وبعد الانتصار السريع الذى حققه موشى ديان وزير الدفاع فى حرب الأيام الستة ، ابتدأت صحافة العالم تكيل له المدح وابتدأ هو بدوره يلقي بالتصريحات والأحاديث المغرورة ، فخرجت صحف إسرائيل كلها فى وقت واحد تهاجمه وتقول : « أسكتوا هذا المغرور » .

وكل مسئول بالدولة قبل تعيينه يؤخذ عليه قسم « بالمحافظة على دولة إسرائيل وعدم المحاباة بين الناس فى عمله » .

والوظائف السياسية فى إسرائيل ليست حكراً على فئة معينة . وضباط الجيش ليس لهم أى تمييز فى الوظائف المدنية ، فكل مواطن فى الدولة له الحق حسب كفاءته ومقدرته فى الوصول إلى أعلا المناصب ، وتحرص إسرائيل فى هذا المجال على إتاحة الفرصة أمام الشباب والدم الجديد على أخذ دوره فى قيادة الدولة . . وهذا هو السبب الرئيسى فى كثرة التغيير فى الحكومات الإسرائيلية حتى بلغت ١٦ (ستة عشرة) وزارة منذ سنة ٤٨ . .

(١) محاضر الكنيست سنة ١٩٥٧ .

(٢) تنص قوانين الدولة فى إسرائيل فى تعريف اليهودى على أنه من ولد من أم يهودية فقط بصرف النظر عن أبيه .

وعلى كل وزارة تأتي شخصيات جديدة إلى الحكم ودم جديد . . وقد ساعد هذا على خلق جيل جديد من القادة السياسيين يمكنه أن يقوم بالمسئولية ويواصل المسيرة بعد الجيل العتيق الذى قام على أكتافه بناء الدولة .

ومن الملاحظ أن هذا المبدأ قد طبق بصورة أوسع فى قيادات الجيش ، حيث يراعى دائماً تجديد دم القيادات لإدخال الطرق الحديثة والمتطورة على نظم القتال .

وسيادة القانون واستقلال القضاء فى إسرائيل يعتبر مضرب الأمثال فى العالم كله . . فمنذ لحظة تعيين القاضى فى منصبه تفقد الحكومة أى سلطان عليه فلا يقال أو ينقل أو يحرم من ترقيته^(١) ، مهما كانت ميوله السياسية ، والمحكمة الإسرائيلية تمثل مجلس الدولة أو ديوان المظالم وحكمها نافذ على الحكومة . . والعدالة وحدها لا تكفى إذا لم يتبعها سرعة وصول الحق ونفاذ الحكم . . وقد اتبعت إسرائيل نظاماً فريداً من نوعه للقضاء فى الأمور المستعجلة حتى لا يعرقل الروتين سير العدالة . . وبموجب هذا النظام يحق للقاضى أن يصدر أى حكم مستعجل وهو فى بيته والحكومة ملزمة بالتنفيذ فى الحال . . ومن الأمثلة الطريفة على ذلك عندما تولى وزارة الإعلام وزير يمينى متدين فأصدر أمراً بمنع البث التلفزيونى^(٢) يوم السبت . . ولم يرق أحد المواطنين هذا القرار ، فرفع دعوى إلى قاضى المحكمة العليا فى بيته ، ذكر فيها أنه فى يوم راحته الوحيد يكون أكثر حاجة إلى البث التلفزيونى من أى يوم آخر ، فعلاً أصدر القاضى قراراً عاجلاً يلغى أمر الوزير ، فعاد البث التلفزيونى فى نفس اليوم بعد أن توقف بضع ساعات فقط ، وعندما اجتمعت المحكمة العليا بعد ذلك بكامل هيئتها ، وهى خمسة قضاة ، أقرت حكم القاضى بإجماع الآراء ، وهكذا ذهبت صرخات وزير الإعلام المتزمت أدراج الرياح . . وكان أشد ما أثار سخطه أن القاضى قد حكم فى القضية يوم السبت وهو يوم يحرم فيه العمل فى الديانة اليهودية .

رابعاً - حرية الصحافة والفكر والإعلام:

إن الوجه الديمقراطي الحقيقى لأى دولة هو الإعلام الحر .
وأقوى وسائل الإعلام هى الصحافة والتلفزيون .

(١) قانون القضاء فى إسرائيل سنة ١٩٥٣ ص ١٨٠ .

(٢) (دافار) ١٩٦٥/١١/٩ .

وأول شروط حرية الصحافة أن تكون ملكاً خاصاً لأصحابها أو للأحزاب التي تتبعها
وليست ملكاً للدولة أو الحزب الحاكم . .

لقد ابتدعت الاشتراكية الدولية فكرة تأميم الصحف بحجة أن تكون ملكيتها للشعب
وهي فكرة مضللة ، لأن الصحيفة التي تملكها الدولة تتحول بطبيعة الحال إلى أن تصبح
بوقاً للحزب الحاكم تنطق باسمه وتدافع عنه . . والصحافة في إسرائيل حرة وملك
لأصحابها . ولا يوجد في الدولة^(١) أى رقابة عليها أو على الكتب والمجلات . . وليس
هناك أسهل من استصدار إذن لصحيفة أو مجلة جديدة . وجميع الصحف الأجنبية
(ماعدا العربية) تدخل إسرائيل دون رقابة ، وحتى الكتب التي تهاجم رئيس الدولة
والوزراء ، أو تهاجم سياسة إسرائيل والصهيونية العالمية تباع بحرية في الأسواق . بل أن
بعضها يصدر من داخل إسرائيل .

والتليفزيون الإسرائيلي رغم أنه حكومي ، إلا أنه يتمتع بحرية كبيرة ، ففي أثناء أى
انتخابات^(٢) نيابية تضع الدولة أجهزة الإذاعة والتليفزيون تحت تصرف الأحزاب المعارضة
لكى تبث منها دعايتها وتسمح بالمناظرات بين جميع المرشحين بما فيهم أعضاء الحزب
الحاكم . وكثيراً ما يوجهون اللوم والنقد إلى الوزراء . والمشكلة الوحيدة التي كانت
موضوع جدل بين السلطة والصحافة هي الموضوعات التي تتعلق بأمن الدولة . . وفي سنة
١٩٤٩ عقد اجتماع بين مندوبي الأحزاب السياسية والصحافة والحكومة وقد أبرم فيه اتفاق
(جتلمان) غير مكتوب تحدد فيه الموضوعات التي تمس أمن الدولة التي يحق للرقابة أن
تتدخل فيها . . وبديهي أن نقطة الخلاف هي عندما تحاول السلطة تحت اسم أمن الدولة
التدخل في الصحافة في مسألة سياسية مثل نقد الحكومة وسياساتها الداخلية أو الخارجية .

وبموجب هذا الاتفاق أصبح على الحكومة أن تلتقى بأصحاب الصحف في
اجتماعات دورية للتفاهم حول هذه الموضوعات . . وإذا قام خلاف بين الطرفين في تفسير
قضية شائكة يعرض الأمر على لجنة تحكيم من ثلاثة أعضاء محايدين . . وكثيراً ما يحضر
وزير الدفاع أو رئيس الأركان تلك الاجتماعات الدورية لاطلاع الصحفيين على الموقف
العسكري وعلى المسائل التي يحسن عدم نشرها .

(١) « الحريات الديمقراطية » مصدر سابق .

(٢) الرأي العام الكويتية ٣١ / ١٢ / ١٩٧٣ .

ومنذ هذا التاريخ والأمور بين الصحافة والسلطة تسير على طريق التفاهم والإقناع وخلق جو من الثقة المتبادلة حتى أصبحت الصحافة نفسها رقية على نفسها فى مسألة أمن الدولة ، وقد ساعد على ذلك أن معظم الصحفيين هم فعلاً جنود أو ضباط سابقون فى الجيش . وسوف نتطرق فيما بعد إلى أمثلة من قضايا الأمن العام الممنوعة من النشر دون غيرها .

الحرية السياسية فى وقت الحرب :

منذ نشأة إسرائيل وهى فى حالة حرب شبه دائمة مع جيرانها الذين اغتصبت أراضيهم . . ورغم دخولها فى أربعة حروب متوالية ، فقد ظلت تحتفظ بالأحزاب السياسية والمجالس النيابية وحرية الصحافة والنقد العام وترفض إعلان الأحكام العسكرية والعرفية ومن أمثلة هذه الديمقراطية :

تشكيل لجنة قضائية عسكرية عليا لدراسة أخطاء القيادة السياسية^(١) والقيادة العسكرية فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ . فهذا القرار فضلاً عما فيه من شجاعة أدبية وسياسية فهو يساعد هذه الدولة على تلافي أخطائها ومجازاة المحسن وعقاب المسمى والمقصر مهما علا مركزه فى الدولة . ومن أخطر هذه التحقيقات فتح ملف طواير الإعدام الجماعى لأسرى الحرب المصريين وللمدنيين العرب فى قطاع غزة أثناء حرب سنة ٥٦ وسنة ١٩٦٧ . فقد كانت الأحزاب السياسية فى إسرائيل البائدة بفتحه ، بينما كان إعلامنا يمنع الخوض فيه .

خامساً - الكنيسة الإسرائيلية :

أو مجلس النواب يمثل جميع الأحزاب وجميع الاتجاهات ، فلا يوجد حزب فى إسرائيل إلا وله ممثل أو أكثر فى المجلس . . ولا يمكن فى ظل الديمقراطية أن يسيطر حزب واحد على المجلس أو تمرير القوانين والأوامر والمشروعات المصيرية بدون دراسة وحوار بين مؤيد ومعارض ، مما يجنب الدولة الارتجال والأخطاء . كذلك لا يمكن فى ظل الديمقراطية ووعى الشعب أن يحدث تزوير فى الانتخابات . وليس هناك أى قيد على انتخابات المجلس ، فلا توجد نسب للعسكريين والعمال والفلاحين . . بل الجميع مواطنون ولا ميزة لطائفة على أخرى .

(١) الأهرام عدد ديسمبر سنة ١٩٧٣ .

والخلاصة أن هذه الديمقراطية الحققة هي التي منحت إسرائيل الاستقرار الداخلي وجنبتها من الانقلابات العسكرية والصراعات الحزبية . وأطلقت الفرصة للأصلح والأقوى كى يصل إلى المسئولية والحكم . وكشفت المفسدين والمنحرفين وأبعدتهم عن السلطة والتحكم فى مصائر الأمة .

تشجيع الاستبداد والحكم المفرد فى الشعوب الأخرى :

لا يكتمل الحديث عن الديمقراطية فى إسرائيل إلا بكلمة عن تصورهم لنظام الحكم المثالى فى الشعوب الأخرى بالنسبة لهم .

إذ تؤمن الصهيونية بأن خير وسيلة لقهر شعوب العالم الأخرى والسيطرة على مصائرهم ، هى نشر الاستبداد السياسى وتشجيع الحكم المفرد .

ويرى حكماء صهيون أن الدولة التى يحكمها شخص واحد حكماً مفرداً أسهل انهياراً وأسهل انقياداً لهم من دولة حكمها جماعى وتوزع فيها السلطة والمسئولية .

وحكمتهم فى ذلك أن التأثير على الفرد الواحد أو استمالاته أو إخضاعه أمر أسهل بكثير من التأثير على جماعة كبيرة . . وعن طريق هذا الحاكم المفرد تصبح الدولة بملايينها تحت سيطرتهم .

وللصهيونية حيل واسعة وفنون متنوعة ذكرت كلها فى (البرتوكولات) فى التأثير على الحاكم المفرد أو صاحب النفوذ مهما كان معادياً لهم . . فمنها استعمال سلاح الجنس أو سلاح التشهير والابتزاز أو سلاح الرشوة . . وعندما تفشل هذه الأسلحة فهناك سلاح الاغتيال أو إثارة القلاقل الداخلية .

ولهذا فليس بمستغرب بعدما وجدناه من حرية مطلقة وديمقراطية فى الكيان الداخلى لدولة إسرائيل ، أن ترى (البرتوكولات)^(١) الصهيونية تحت على نشر الاستبداد السياسى والحكم المفرد فى أنحاء العالم .

فقد جاء فى البرتوكول الأول :

إن مما يحقق السعادة أن تكون الحكومة فى قبضة شخص واحد مسؤول وبغير الاستبداد لا يمكن أن تقوم الحضارة .

(١) برتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة وتعليق محمد خليفة التونسى .

وجاء فى البرتوكول الثانى :

« حينما نستحوذ على السلطة فى العالم ، يجب أن نمنح كلمة الحرية من معجم الإنسانية » .

وجاء فى البرتوكول العاشر عن الحاكم المستبد الذى يفضلونه : « وأمثال هؤلاء يختارون ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة أو صفقة أخرى سرية . وإن رئيساً من هذا النوع سيكون منفذاً لأغراضنا لأنه سيخشى التشهير » .

العقيدة الدينية وأثرها فى خلق وتطوير

دولة إسرائيل

« نحن لا نعتبر أنفسنا أمة بعد اليوم بل جماعة دينية ، فالصهيونية هى العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد »
(هرتزل مؤسس الصهيونية)^(١)

مرة أخرى ، وفى عصر التكنولوجيا وعلوم القرن العشرين ، تثبت العقيدة الدينية أهميتها ومقدرتها على خلق الدول ونهضة الشعوب .

وخير مثل على ذلك هو دولة إسرائيل نفسها .

فقد أجمعت الدراسات المستفيضة التى أجراها الباحثون والمفكرون من شتى أنحاء العالم حول إسرائيل أنه : لولا العقيدة الدينية لما قامت هذه الدولة من العدم كدولة . ولولاها لما حقق اليهود أى نصر عسكري مهما توفر لهم من فنون الحرب وآلاتها الحديثة ، ولما ظهرت لديهم تلك النهضة السريعة فى السياسة والاقتصاد والعلوم والفنون والآداب . . وهذا عرض موجز لأثر العقيدة الدينية فى كل هذه المجالات :

فكرة إنشاء إسرائيل أساسها دينى عقائدى :

فعندما اشتد اضطهاد اليهود فى أوروبا فى أوائل القرن العشرين . عرضت عليهم كندا إقامة وطن قومى فى أرض مستقلة ، ثم عرضت استراليا نفس العرض ، وكذلك

Herzl Speaks. Herzl Institute N. 1960 (١)

البرازيل . ولكن الصهيونية العالمية رفضت كل هذه العروض وظلوا على عنادهم لا يرضون بأرض فلسطين بديلاً . . وكانت حجتهم في ذلك أن إقامة دولة في أى مكان غير فلسطين سيجعل هذه الدولة خالية من الرح والعقائدية التى تتمتع بها أرض الميعاد التى يحلمون بها منذ أكثر من ألفى سنة ، وأن هذه الدولة الجديدة لن تستطيع اجتذاب يهود العالم روحياً كما تجتذبهم الأرض المقدسة . وبالرغم إن فلسطين فقيرة بالخيرات والموارد الطبيعية بالمقارنة مع كندا أو استراليا أو البرازيل ، إلا أنها سوف تعوضهم بالدفع العقائدى والروحانى الذى هو بدوره أثمن وأعلى من كل خيرات الأرض .

وكانت فلسطين إذ ذاك تحت الخلافة الإسلامية فى تركيا . وقد أصدر الخليفة السلطان عبد الحميد قراراً بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين وحرم عليهم شراء الأراضى فيها ، كما منع إقامة أى يهودى بعد أداء مناسك الحج أكثر من ثلاثة أشهر .

ولكن الصهيونية لم تياس وأخذت تعمل فى السر على تقويض نفوذ الخليفة من الداخل . . فأمرت جميع اليهود الأتراك إلى جانب يهود الدوغة الذين يتظاهرون بالإسلام بأن ينضموا إلى حزب الاتحاد والترقى المناهض للسلطان ، وقد بلغ نفوذهم فى هذا الحزب الحد الذى جعل أتاتورك يختار زعيم يهود سالونيك عمانوئيل قره صوه أفندى وحاخام الجالية اليهودية فى تركيا ناحوم أفندى على رأس اللجنة التى ذهبت إلى السلطان عبد الحميد لتبلغه قرار عزله وإلغاء الخلافة الإسلامية نهائياً وإعلان تركيا دولة علمانية لا دينية^(١) .

وبعد انهيار الخلافة وعزلة تركيا عن العالم العربى الإسلامى ، انتقلت فلسطين إلى الانتداب البريطانى فنقلت الصهيونية العالمية نشاطها إلى بريطانيا وأصبح منهم الوزراء وأعضاء المجالس النيابية . وأخيراً حصلوا على وعد بلفور المشهور الذى أعطاهم من جانب واحد أرض فلسطين بمن عليها من البشر .

الدين والحياة المدنية فى إسرائيل :

رغم أن دولة إسرائيل ليس لها دستور مكتوب حتى اليوم ، إلا أن الدين هو العامل المسيطر على التشريع والقوانين والمهيمن على الحياة المدنية^(٢) . . وفى إسرائيل وزارة

(١) من كتاب « خطر الصهيونية على الإسلام والمسيحية » .

(٢) من كتاب « الدولة والدين فى إسرائيل » للدكتور أسعد رزوق ص ٤٩ .

للشئون الدينية ودار الحاخامية وهما يعملان على عدم إصدار أى قانون مخالف للشريعة اليهودية .

وفى إسرائيل حوالى واحد وعشرون حزباً سياسياً . ورغم اختلافهم البين فى المسائل السياسية والاقتصادية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، إلا أن أساس هذه الأحزاب جميعاً دينى ويطالب أكثرها بجعل التوراة دستور الدولة .

وحين عُرضت على الكنيست الإسرائيلية صيغة قسم الولاء للدولة والذي جاء فيه : « أتعهد بالولاء لدولة إسرائيل وقوانينها وألا أسىء استعمال القانون أو أمنح أى محابة لأحد » . رفضت الأغلبية هذه الصيغة وأصرت على شطب كلمة (وقوانينها) بعد دولة إسرائيل . . وكانت حجتهم فى ذلك أن أى مسئول فى الدولة إذا رأى فى القوانين الوضعية ما يتعارض مع تعاليم الدين ، فمن حقه بل من واجبه أن لا ينفذها أو يتيقدها .

ورغم أن العقائد اليهودية قد دخلت عليها الكثير من الخرافات والبدع على مر العصور ، إلا أنهم فى تعصبهم الشديد للدين يطبقون كل تلك التعاليم ويتقيدون بها حتى المتعلمون منهم وحملة الدكتوراه .

وحسب قانون السبت^(١) يعتقد اليهود أن العمل أو إشعال النار يوم السبت حرام . . وينطبق هذا على تدخين السيجارة أو إضاءة الكهرباء أو إشعال النار للطعام أو ركوب السيارات . والقانون يمنع جميع السيارات من السير يوم السبت حتى سيارات النقل العام وسيارات السياح .

والمتدينون فى إسرائيل لا ينتظرون تدخل الحكومة لتطبيق هذه القوانين الدينية ، فكثيراً ما يتعرضون لأى سيارة تسير يوم السبت ويرجمونها بالحجارة ، وعندما أعلن بعض الشباب المتحرر تطوعهم لحلب الأبقار فى المزارع يوم السبت تجمع المتعصبون حولهم ومنعواهم من العمل .

ومن القصص الطريفة فى هذا المجال ، أن بن جوريون عندما كان رئيساً للوزراء ذهب إلى لندن لحضور جنازة تشرشل وكانت يوم السبت . . فرفض ركوب السيارة التى أرسلتها إليه الحكومة البريطانية لتقله من الفندق إلى مقر الجنازة وأعلن السير على قدميه مسافة عشرة كيلومترات فسار معه جميع أبناء الطائفة اليهودية الإنجليز . . وتحولت المدينة

Religion and State in Israel by Kurts Sonthoimer. (١)

بذلك إلى مظاهرة إعلامية يهودية ناجحة . وعندما سئل بن جوريون عن السر في هذا التمسك الحرفي وهو حامل الدكتوراه قال : « إن التمسك بهذه الشعارات البسيطة يعطيها معنى كبير . . ويجعل العقيدة ذات فعالية ضخمة في رفع المعنويات » .

وفي إسرائيل تمنع تربية الخنازير أو ذبحها أو استيراد لحومها . وبموجب قانون طعام الكوشير^(١) يمنع تقديم أى طعام غير يهودى أو غير مباح في الديانة اليهودية . ويطبق هذا على الفنادق السياحية والمطاعم العامة وشركات طيران العال وشركات الملاحة البحرية .

وكان من المعتقد لدى الكثير من الكتاب والمفكرين الأوروبيين والعرب أنه من المستحيل تجميع اليهود من شتى أنحاء العالم بنزعاتهم وعاداتهم وميولهم المختلفة في بلد واحد . . وأن اليهودى الأمريكى أو الألماني لا يمكنه أن يتعايش في مكان واحد مع اليهودى الهندى أو الزنجى . وقد يؤدى ذلك التناقض الفكرى والجنسى إلى انهيار سريع لهذه الدولة . . ولكن الدراسات الواقعية أثبتت أن العقيدة الدينية قد استطاعت إلى حد مذهب تقريب الفوارق والفواصل بينهم ، وخلقت روحاً من التقارب والتفاهم في وجهات نظرهم إلى الحياة . فذاب الجميع إلى حد كبير في مجتمع واحد غير متنافر . حقيقة ما تزال هناك ثغرات وفروق . . وما زالت الأقليات الآسيوية والإفريقية غير راضية عن أوضاعها ، ولكن ذلك لم يمنع الجميع من الترابط والانصهار في ظل العقيدة الواحدة .

وبفضل هذه العقيدة انطلقت الملكات الخلاقة والمواهب الكامنة وانتعش الفن والفكر والعلوم في هذه الدولة الناشئة وأحيوا اللغة العبرية التي كانت لغة ميتة لا يتكلم بها إلا قلة من الكهنة فأصبحوا يكتبون بها الطب والعلوم والآداب وحصل بعضهم بها على جائزة نوبل للآداب .

العقيدة الدينية والنهضة العسكرية :

لا شك أن التكنولوجيا والعلوم الحديثة هي أساس أى نهضة عسكرية . . ولكن العقيدة الدينية هي التي تعطي التكنولوجيا الحديثة الفعالية والقدرة على التأثير والأبداع .

العقيدة تعطي الإنسان هدفاً يتقن العمل من أجله . . بل يتمنى الموت من أجله حتى ينال حياة ثانية في الجنة واليوم الآخر . . أما الإنسان الذى يحارب بغير عقيدة فمهما كان

(١) The Unique and the universal by Talmon J.L.

نصيبه من التكنولوجيا يصبح أقرب إلى الجندي المرتزق إذا انقطع عنه الراتب أو زالت عنه الرقابة تكاسل أو تمرد .

وقد لعب الدين الدور الرئيسى فى كل الانتصارات العسكرية التى حصلت عليها إسرائيل فى ثلاثة حروب متوالية . . فالجندي الإسرائيلي مقاتل عقائدى . وهم يضعون فى كل دبابه تورا . ومع كل كتيبة رجل دين يقاتل معهم ويذكرهم بالجنة ويحرضهم على الموت . . وقد أخذوا هذا الأسلوب عن حروب الإسلام عندما كان حفظه القرآن وعلماء الدين لا يكتفون بالخطابة على المنابر ، بل يتقدمون فى الصفوف الأولى لتشجيع الجنود .

واليهود يقدسون الدفن فى أرض إسرائيل . ولذلك ترى أن معظم الجنود يربط حزاماً حول وسطه لكى يجره زملاؤه إذا قتل كى يدفن فى أرض الميعاد .

وعندما دخل الجيش الإسرائيلى أرض سيناء سنة ٥٦ و سنة ٦٧ نزل الجنود من سياراتهم ودباباتهم وخلعوا نعالهم وأخذوا يقبلون الأرض التى تاه فيها أجدادهم وصلوا عليها قبل بدء المعركة .

والقيادة الإسرائيلية تراعى بمتهى الدقة تعاليم الدين والمناسبات الدينية فى مواعيد القتال وسير القتال وإنهاء القتال . . وهم لا يبدأون الحرب مطلقاً يوم السبت ، لأن الحرب فى هذا اليوم حرام ويتشاءمون منها . ولكن هذا لم يمنع بن جوريين من استصدار قانون من الكنيست يقول :

« حين تكون القضية قضية خطر يهدد حياة المجتمع ، فلا بد من خرق قانون السبت » .

ويتفاءل اليهود ببدء القتال يوم الاثنين كما كان يفعل أنبياءهم . كذلك فقد كان هجومهم على مصر سنة ٥٦ يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ٥٦ .

وكان هجومهم فى حرب سنة ٦٧ يوم الاثنين ٥ يونيو سنة ٦٧ . وهم يضيفون على معاركهم وحروبهم أسماء ترتبط بالدين أو المناسبات الدينية . فحرب سنة ٤٨ سموها « حرب التحرير » للإيهام بأنهم كانوا يستعيدون ويحررون أرضاً كانت ملكاً لهم : هى أرض الميعاد .

وحرب سنة ٦٧ سموها حرب الأيام الستة : رغم أنها لم تكن ستة أيام . . وقصة هذه التسمية الدينية تعود إلى حرب الأيام الستة التى شنّها النّبي يوشع على أعدائه يوم الاثنين وظل يحاربهم إلى أن حل مساء يوم الجمعة ، فخشى أن ينتهى هذا اليوم وهو لم ينته من

أعدائه ، فطلب من الله أن يؤخر غروب الشمس حتى يتمكن من إحلال السلام فى يوم السبت المقدس فاستجاب له ربه . وفى هذا يقول الشاعر أحمد شوقى مخاطباً الشمس :

« قفى يا أخت يوشع خبرينا أحاديث القرون الغابرينا »

أما حرب سنة ٧٣ فقد سموها حرب « يوم كيبور » لأنها وقعت فى يوم عيد الغفران أو الكيبور الذى يصوم فيه اليهود خمسة وعشرين ساعة عن الطعام وهى المدة التى صامها النبى موسى عليه السلام . . ويزعمون أن من يصوم هذا اليوم من اليهود تغفر له ذنوبه إلا الزنا وظلم اليهودى أخاه اليهودى أو كفره بالله . ومن شريعتهم أن من لم يصم هذا اليوم يستحق القتل .

وقد كان اختيار هذا اليوم بالذات للهجوم العربى الكبير فى كل من سيناء والجولان ، دليلاً على أهمية معرفة القائد العسكرى لطبائع عدوه ومواسم أعياده وعقائده الدينية حتى ينجح فى مفاجأته وإمساك زمام المبادرة فى يده . . فقد حقق هذا التوقيت الذكى ما يأتى :

- فقد صادف يوم كيبور فى هذه السنة بالذات يوم سبت وهو اليوم الذى يتشاءم اليهود من الحرب فيه .

- كان عدد كبير من جنود الجبهة يقضون أجازة العيد فى بيت المقدس لإقامة صلاة الاستغفار .

- أما باقى جنود الجبهة فقد كانوا مرهقين من أثر الصيام منذ غروب شمس اليوم السابق ، أى منذ أكثر من عشرين ساعة قبل موعد الهجوم العربى فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت .

- وقد ذُكر فى التحقيقات الأخيرة التى أُجريت فى إسرائيل أن قيادتهم العامة كانت تجد صعوبة كبيرة فى الاتصال بالوزراء والمسؤولين مما عطل استدعاء المجندين والاحتياطى بشكل جعل الحرب كارثة عليهم .

- وفى نفس الوقت فقد كان هذا التوقيت مناسباً للمسلمين والعرب . فهو فى شهر رمضان الذى يتفاءل المسلمون فيه بانتصاراتهم العسكرية السابقة ويتمتعون بروح معنوية عالية .

نخرج من هذه الدراسة بعدد من الحقائق العامة :

أولاً - أنه لا بد من دراسة كل ما يتعلق بالعدو قبل المعركة . . ولا يكفى فى ذلك معرفة قوته العسكرية ونوعية سلاحه . . بل لا بد من معرفة تقاليده الدينية وعاداته وأخلاقه وطبائعه ومعنوياته .

ثانياً - أن العقيدة الدينية لم تزل في عصر التكنولوجيا والعلوم الحديثة العامل الأعظم لنهضة لشعوب وباعث قوتها ووحدتها ، وأن الدعوات العلمانية المستحدثة لم تستطع أن تحل مكان الدين .

ثالثاً - الاهتمام بالعقيدة والدين لا ينفي أهمية التكنولوجيا والتدريب على السلاح ، بل العكس هو الصحيح . . فقد ثبت أن العقيدة هي التي تدفع الإنسان إلى اتقان العمل والإخلاص في التدريب والتفاني في القتال : أي أن العقيدة هي التي تعطي التكنولوجيا الفعالية والتأثير .

رابعاً - أن عدونا يقاتلنا بعقيدته الدينية . والمقاتل العقائدي لا يهزمه إلا مقاتل عقائدي مثله . . وأنه لا بد لنا من العودة إلى عقيدتنا الإسلامية إذا أردنا أن نتصر على أعدائنا ونقضي على التخلف وننطلق إلى عصر الذرة والفضاء الكوني .

خامساً - ولكن تكوين وخلق المقاتل العقائدي والمواطن العقائدي مسألة لا تأتي بين يوم وليلة . . ولا بمجرد رفع الشعارات الدينية أثناء المعركة . . بل هي تربية وتنشئة . . وسلوك شامل في كل شئون الحياة . وإذا أردنا أن نصبح أمة عقائدية فلا بد من تطبيق الإسلام عقيدة وتشريعاً وسلوكاً في كل نواحي حياتنا .

سادساً - ومن نعم الله علينا أن عقيدتنا الإسلامية مازالت نقية خالية من الخرافات والشوائب أو الثغرات التي تعيق تقدم الأمم . . وهي قادرة على مسايرة الزمن وتطورات المجتمع والحياة بفضل مبدأ الاجتهاد الذي تحث عليه الشريعة .

العقيدة العنصرية في إسرائيل

تعتبر إسرائيل دولة عنصرية مثل روديسيا وجنوب أفريقيا ومثل النازية في ألمانيا .

فاليهود يدعون بأنهم وحدهم شعب الله المختار ، وأنهم خير عباد الله وأحقهم بخيرات الأرض ، وأن الشعوب الأخرى وأصحاب الديانات جميعاً يسمون الأمميون أو جوييم لا حق لهم في الحياة إلا أن يكونوا خدماً وعبيداً لهم .

وتعود قصة (شعب الله المختار) إلى عبارة وردت في الأديان بمعنى أن الله اختارهم لتنزل عليهم أول رسالة إلى كافة البشر . ولكن هذا الشعب بحكم أنانيته وخبثه قد حوّر كلام الله وجعل لهذه الكلمة معنى آخر يحمل طابع العنصرية والفرقة بين الناس إلى يهود

يحق لهم كل شيء وأمين سخرهم الله لخدمتهم . . وليس لهم أى حق . . وكان الله (سبحانه وتعالى عن ذلك) ينظر إلى عباده نظرة عنصرية . . فيميز جنساً على جنس ، أو سلالة دون سلالة من خلقه أجمعين .

وقد يقول البعض : أن هذه العنصرية من تراث التاريخ القديم البغيض وأيام الجهل . وأن يهود اليوم لا ذنب لهم فيها . وأننا فى القرن العشرين . . عصر النور والديمقراطية وحق الإنسان فى أن يعيش ويترك غيره يعيش . . ولكن حقيقة هذه العنصرية قد تكشف فى مؤتمر حكماء صهيون الذى عقد فى بال بسويسرا سنة ١٩٠١ تحت قيادة تيودور هيرتزل^(١) مؤسس الصهيونية المعاصرة . فقد جاء فى البروتوكولات التى حاولوا إخفاءها عن العالم بكل حيلهم الشيطانية ما يأتى :

« إننا نقرأ فى شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض . وقد منحنا الله العبقريّة كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل . وإن كان فى معسكر أعدائنا عبرى فقد يحاربنا . لكن القادم الجديد لن يكون كفؤاً لأيد عريقة كأيدنا » .

وجاء فى البروتوكول الحادى عشر :

« إن الأميين كقطيع من الغنم . وإننا الذئاب . فهل تعلمون ما يفعل الغنم حين تنفذ الذئاب إلى الحظيرة . إنها لتغمض عيونها عن كل شيء . وإلى هذا المصير سيدفعون » . ويقول أيضاً : « يجب أن ننشر فى سائر أقطار العالم الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة » . وفى القرار التاسع : « لقد خدعنا الجيل الناشئ من غير اليهود وجعلناه فاسداً متعنفاً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها ولكننا أنفسنا الملققون لها » .

وهم لا يستحون عن استعمال أى سلاح لتدمير حياة الشعوب الأخرى ، ولو كان سلاح الجنس والمال فيقولون :

« سنستعمل سلاح الجنس والمال لصرف الناس عن السياسة ولتدمير الحياة العائلية والقومية والتربوية . . ولكي ننزع عن معارضينا السياسيين تاج شجاعتهم سنضعهم فى مراتب المجرمين واللصوص والمثولين » .

مصدر العقيدة العنصرية :

ولاشك أن هذا التفكير العنصرى لحكماء صهيون لم يأت من فراغ . . ففى التوراة التى حرقها اليهود على هواهم الكثير من هذه التعاليم . حيث تأمرهم أن يتعاونوا معاً .

(١) بروتوكولات حكماء صهيون . ترجمة محمد خليفة التونسي وتقديم عباس محمود العقاد . نشرة « مؤسسة دار العلوم » بالكويت سنة ١٩٧٧ .

ويتعاطفوا معاً فى سبيل القضاء على غيرهم من الشعوب والسيادة عليهم . وأن لا يحب اليهودى إلا يهودياً مثله ولا يثق إلا يهودى ولا يفى العهد إلا ليهودى . أما غيرهم من الشعوب (الجوييم أو الأعميين) فعلى شعب إسرائيل أن لا يثق بهم أو يحسن معاملتهم . . بل يببدهم ويقتلهم . « وتهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون شواربهم ولا تقطع لهم عهداً . . ولا تشفق عليهم . . وتأمرهم (أى شعب إسرائيل) أن يدمروا فى أريحا كل شىء ويقتلون جميع من فيها وما فيها » . وجاء فى سفر الزامور : « إن سرقة اليهودى أخاه حرام . ولكنها جائزة بل واجبة مع الأُمى لأن كل خيرات العالم خلقت لليهود ، فهى لهم حق وعليهم تملكها بأى طريقة » .

وجاء فى التلمود : « إن من يحاكم اليهودى بجريمة السرقة أو القتل أو الخداع أو الغش فهو يحذف على الله . وإذا وجد اليهودى لقطة لأُمى حُرِّم عليه ردها . وحب اليهودى للأُمى وثنائه عليه وإعجابه به إلا للضرورة خطيئة عظمى » .
والسرقة من غير اليهودى وغشه وخداعه مسموح بها ديناً وشرعاً فى التلمود . فقد ورد فيه :

« إن الرابى صموئيل كان رأى أن سرقة الأجانب مباحة وقد اشترى هو نفسه آنية من الذهب كان يظنها الأجنبية نحاساً ، ، ودفع ثمنها أربعة دراهم وهو ثمن بخس . ثم سرق درهماً آخر من البائع » .

ومن مظاهر العنصرية فى الديانة اليهودية أنهم جعلوها قاصرة على أنفسهم دون غيرهم من شعوب الأرض . فلا يحق لأى إنسان على ظهر الأرض أن يعتنق الديانة اليهودية . واليهودى هو المولود من أم يهودية وأب يهودى . . وقد ذكرنا ما حدث مع ابنه مؤسس إسرائيل بن جوريون ، إذ رفض حاخامات إسرائيل تزويجها من يهودى ، أو اعتبارها يهودية لأن أمها (أى زوجة رئيس الدولة) غير يهودية فاضطرت إلى إجراء الزواج فى محكمة مدنية فى قبرص . فاليهود يعتبرون دمهم أنقى من شعوب العالم . وأن دخول دم جديد أو عنصر جديد فى سلالتهم يلوثها ويكون عنصر ضعف وفساد .

وحسب أقوال (التوراة والتلمود) فإن نفوس^(١) اليهود وأرواحهم مخلوقة من نفس الله وأن عنصرهم من عنصره . فهم وحدهم أبناؤه الأطهار جوهرأ . كما يعتقدون أن الله منحهم الصورة البشرية أصلاً تكريماً لهم . على حين أنه خلق غيرهم من شعوب الأرض

(١) المصدر السابق ص ٦٨ .

(الجوييم) من طينة شيطانية أو حيوانية نجسة . فالبشر نوعان : سادة مختارون وهم اليهود وعبيد محتقرون وهم غير اليهود .

والجنس له مفهوم غريب عند اليهود . . فاليهودية إذا زنت مع اليهودى فهذا حرام وإثم . . أما إذا زنت مع غير يهودى من الأعميين فهذا ليس حراماً ولا إثم فيه . وفى التاريخ اليهودى العديد من المؤسسات اللائى اعتبرن فى مرتبة القديسات لأنهن كن يعاشرن ضباط الرومان ويخدمن بذلك الشعب اليهودى عن طريق هذه الصداقات . . من أشهر هؤلاء راغوث وهداسا وسالومى . . وتمجيداً لهن ولخدماتهن لشعبهن فهم يطلقون أسماءهن على الكثير من الشوارع والمستشفيات والمؤسسات الخيرية . وتعليل هذا المفهوم الغريب للزنا . . أن غير اليهودى لا يُعتبر أصلاً إنسان ، بل هو شئ . فمعاشرة اليهودية له لا تعتبر إثمًا أو خطيئة . وقد كانت عصابات المافيا الإسرائيلية تتاجر بالبناات اليهود وتساعدهن على الدعارة باعتبار أن ذلك مصدر دخل لشعب إسرائيل ولا إثم فيه .

كيف يطبقون العقيدة العنصرية ؟

لقد كتب الكثير عن التمييز العنصرى فى إسرائيل . حتى بين اليهود أنفسهم هناك طبقات ومراتب : فاليهود الإفريقيون من الحبشة أو اليمن يشكون دائماً من سوء معاملة اليهود الأوروبيين لهم . رغم أن القانون يساوى بين جميع اليهود فى الحقوق والواجبات . وهناك عرب يعيشون فى إسرائيل ويحملون جنسيتها ومنهم الدرور ومسيحيون ومسلمون . وهؤلاء يعاملون أسوأ معاملة .

لقد حضرت مقابلة بين عائلة عربية مسيحية طلبوا من السلطات الإسرائيلية أن تجمعهم وأولادهم وبناتهم فى غزة كى يروهم .

وأحضرت القوات الإسرائيلية العائلة العربية التى تعيش فى إسرائيل ووضعتهما فى سيارة أتوبيس . وكان فى السيارة حاجز خشبى يفصلها نصفين وجاؤا ببقية أفراد العائلة من غزة ووضعتهم فى النصف الآخر بحيث لا يرى أحدهم الآخر إلا من نافذة صغيرة كنافذة السجن ، بينما كان الجنود يسترقون السمع إليهم وكأن أفراد العائلة من المجرمين العاديين .

هذا هو نوع الحكم الذى تعده إسرائيل للعرب الإسرائيليين ، حرمانهم من التعليم ومن الوظائف بأنواعها إلا رعاية الغنم وفلاحة الأرض . . وحرمانهم من حق التجول والرزق . . وأخيراً حرمانهم من الكرامة الإنسانية . ويكفى أن تعلم أن تعداد السكان

العرب الأصليين الذين ظلوا في إسرائيل حتى سنة ٥٦ كان ٢٠٠,٠٠٠ وأن هذا العدد كان يمتلك من لأراضى ما مقداره مليون ونصف مليون دونم من الأراضى الزراعية استولت إسرائيل على مليون ومائتى دونم وطردتهم منها وأعطتهم مقابل ذلك نصف ثمن محصولهم فى سنة واحدة . وأصبحوا يعيشون الآن على ٣٠٠,٠٠٠ دونم من الأراضى أى ما يعادل دونم ونصف لكل شخص .

والعنصرية اليهودية تدفع اليهود فى جميع أنحاء العالم إلى العزلة عن غيرهم من الشعوب . فتراهم يتجمعون فى أحياء خاصة بهم ولا يتعايشون مع أهل البلد . . ويتعاونون معاً على وسائل الاضرار والتخريب بالاقتصاد والسيطرة على أسواق المال ، وذلك لأنهم مهما عاشوا فى هذه البلاد ، فإن فكرهم وطموحهم وانتماءهم يؤول إلى شعب إسرائيل أولاً وأخيراً ولا يخلصون للوطن الذين يحملون جنسيته .

تخريب الأديان :

وقد لعب اليهود دوراً خطيراً فى تخريب المسيحية من الداخل . . فحرفوا وأضافوا وشوهوا على مر العصور . . أما فى الإسلام فإن قصة الإسرائيليات معروفة . . إذ كانوا يعتنقون الإسلام من الظاهر ويضيفون الكثير من الأحاديث الملفقة ويذيعونها . . وفى هذه الأيام بدأوا يحرفون المصاحف . . فقد طبعوا الكثير من الطباعات الأنيفة المغرية . . ووزعوها فى آسيا وإفريقيا . . ولدى وزارة الأقاف فى مصر أيضاً لدى مشيخة الأزهر الكثير من هذه النماذج المحرفة .

وقد أشرنا فيما سبق إلى دور الصهيونية العالمية فى إلغاء الخلافة الإسلامية فى تركيا . انتقاماً من الخليفة لمنعه إقامة دولة إسرائيل .

السيطرة على قادة العالم :

وقد جاء فى البرتوكولات أنهم يتبعون أربعة وسائل للسيطرة على زعماء العالم وقادة الشعوب الأخرى : هى ، أولاً : سلاح الرشوة . وثانياً : سلاح الجنس . . إذ يرسلون إليهم أجمل فتياتهم للإيقاع بهم وأخذ صور فاضحة لهم . . والسلاح الثالث : هو التشهير . . فهم يتبعون ماضى كل زعيم حتى يجدوا فيه ثغرة أو سقطة يستطيعون النفاذ منها ، مع إذلاله عن طريقها . . فإذا فشلت كل هذه الوسائل مجتمعة فإنهم يلجئون إلى سلاح القتل والاغتيال .

ففى أمريكا أرادوا التخلص من رئيس جمهوريتها المستر كندى فأرسلوا له قناصاً يهودياً ماهراً مدرباً هو السفاح هارفى . . وبعد ذلك وحتى لا يعترف هارفى بالمؤامرة ومن وراءها أرسلوا له سفاحاً يهودياً آخر هو لى أزوالد فقتل هارفى وهو بين الشرطة وأمام باب المحكمة ، وبذلك مات السر معه حتى الآن .

وفى ألمانيا فى عهد هتلر تأمروا على اقتصادها حتى كادوا أن يدمروه مما استفز هتلر ضدهم ووضع سياسة لبلده هى إبادة الجنس اليهودى . وفى الأمم المتحدة قتلوا برنادوت رسول السلام لأنه أراد أن يكون منصفاً ومحايداً بين العرب وإسرائيل .

الموساد :

وقد برع اليهود بواسطة جهاز مخابراتهم المسمى (الموساد) فى جميع أنواع الاغتيالات السياسية . . ومن براعتهم فى هذا الميدان أنه لم يثبت عليهم أكثر هذه الحوادث إلا الذى يعترفون به بعد فوات الأوان أو الذى يعترف به أحد عملاء الموساد عندما ينشق عليهم ويشعر أنهم يريدون قتله . من هؤلاء عميل الموساد الشهير (فيكتور استروفسكى) الذى هرب من إسرائيل إلى أمريكا وكندا وأخذ ينشر مذكراته واعترافاته الخطيرة على العالم من مكانه السرى الذى عجزت مخابراتهم عن الوصول إليه وقد نشر حتى الآن ثلاثة كتب عن الموساد وجرائمه التى كلفوه بها .

ولا يقتصر عمل الموساد على اغتيال أعداء إسرائيل وخصومها . . فقد بلغت شهرة هذا الجهاز وإتقانه فنون الاغتيال إلى حد أنه أصبح يبيع خبرته لأى دولة فى العالم . . ويستطيع أى دكتاتور فى أى دولة أن يستأجر عملاء الموساد لاغتيال خصومه السياسيين . من ذلك قصة اغتيال الزعيم المغربى المهدي بن بركة الذى كان لاجئاً سياسياً فى باريس . فهذا الحادث لم يعرف به أحد ولم يتصور أحد أن مخابرات إسرائيل هى التى نفذته . . إلى أن نشر القصة كاملة الصحفى الإسرائيلى (مكسيم غيلان) وقد أنتجت فرنساً фильماً بعنوان (الاختطاف) عن هذه الحادثة . . وظلت حكومة إسرائيل تحارب الفيلم إلى حد نسف دور السينما التى تعرضه .

ولا يقتصر دور عملاء الموساد على حوادث الاعتداء على الأفراد . فالكثير من الدول تستأجر ضباط إسرائيل لتدريب الفرق الخاصة على حوادث القتل والاغتيال بين المدنيين . . وقد تطوع عدد كبير من هؤلاء الضباط لتدريب قوات الصرب على اغتيال المسلمين فى البوسنة ودربوا القبوات الصربية على وسائل التطهير العرقى والمذابح

الجماعية . . وطرق إحداث أكبر الخسائر بين المدنيين في سراييفو وموستار . وأيضاً تدريبهم على أعمال القنص من مسافات بعيدة . . وقد شاهدت حلقة في التلفزيون الأوروبي Euro Neus عن دور هؤلاء الضباط اليهود في حرب البوسنة

الكتاب والمفكرون في العالم وشعب إسرائيل :

على مر العصور والأجيال ظهر كتاب ومفكرون أذكىاء وكشفوا للعالم ما يفعله اليهود بالأمميين (أى غير اليهود) .

وبداية فإن أنبياءهم قد وصفوهم في كتبهم المقدسة بأنهم (شعب غليظ القلب صلب الرقبة وبأنهم أبناء الأفاعى وقتلة الأنبياء) . واليهود قد تأمروا على قتل السيد المسيح وتسليمه للرومان . وعلى دس السم لسيدنا محمد ﷺ . ومن أهم ما كتب عن اليهود ما قاله كارل ماركس اليهودى الثائر على اليهودية ومؤسس الشيوعية ، وذلك في كتابه (المسألة اليهودية) فقد جاء فيه :

« المال هو إله إسرائيل المطاع . ويعتقد اليهود أنه لا ينبغي لأى إله آخر أن يعيش معه . . إن المال يخفض جميع آلهة البشر ويجعلهم سلعة . هذا هو الإله الحقيقى لليهود » . ويقول أيضاً : « إن تحرير اليهود فعلاً فى معناه يكون فى تحرير الإنسانية من اليهودية . فاليهودى مثلاً الذى لا يحسب له حساب فى قبينا هو الذى يقرر بقوته المالية مصير المملكة كلها » .

كذلك كتب عن اليهود كل من شكسبير الانجليزى فى مسرحيته (شيلوك) التى يفضح بها جشعهم ، وجوته الألمانى .

ولكن أهم وثيقة تدينهم ما كتبه الرئيس بنجامين فرانكلين فى وثيقة إلى الشعب الأمريكى فى سنة ١٧٨٩ حيث يقول :

« هناك خطر جسيم على الولايات المتحدة الأمريكية . هذا الخطر هو اليهود . ففى كل أرض يستقرون فيها فإنهم يحطون أخلاقيات الشعب ويهبطون بالأمانة التجارية . ويظلون منطوين على أنفسهم لا يتعايشون مع غيرهم ويعملون على خنق الشعب اقتصادياً كما فعلوا فى البرتغال وأسبانيا . ومنذ ١٧٠٠ عام وهم يكون على مصيرهم بأنهم قد طردوا بالقوة من وطنهم الأم فلسطين . ولكن إذا أعطاهم العالم اليوم فلسطين فإنهم سيختلقون الأعذار لعدم الذهاب إليها . لماذا ؟ لأنهم مصاصو دماء ولا يمكنهم العيش مع بعض . ولا بد أن يعيشوا مع المسيحيين وغيرهم الذين لا ينتمون إلى جنسهم لكى يمتصوا دماءهم .

نص الوثيقة باللغة الإنكليزية

PROPHECY OF BENJAMIN FRANKLIN IN REGARD OF THE JEWISH RACE

(Excerpt from the Journal of Charles Pirkney of South Carolina of the proceedings of the Constitutional Convention of 1789 regarding the statement of Benjamin Franklin at the Convention concerning JEWISH IMMIGRATION)

«There is a great danger for the United States of America. This great danger is the JEW. Gentlemen, in which every land the Jews have settled they have depressed the moral level and lowered the degree of commercial honesty. They have remained apart and unassimilated; oppressed, they attempt to strangle the nations financially, as in the case of Portugal and Spain.

«For more than 1700 years they have lamented their sorrowful fate, namely, that they have been driven out

of their mother land; but, Gentlemen, if the world should give them back today Palestine and their property, they would immediately find pressing reasons for not returning there. Why? Because they are Vampires — they cannot live among themselves. They must live among Christians and others, who do not belong to their race.

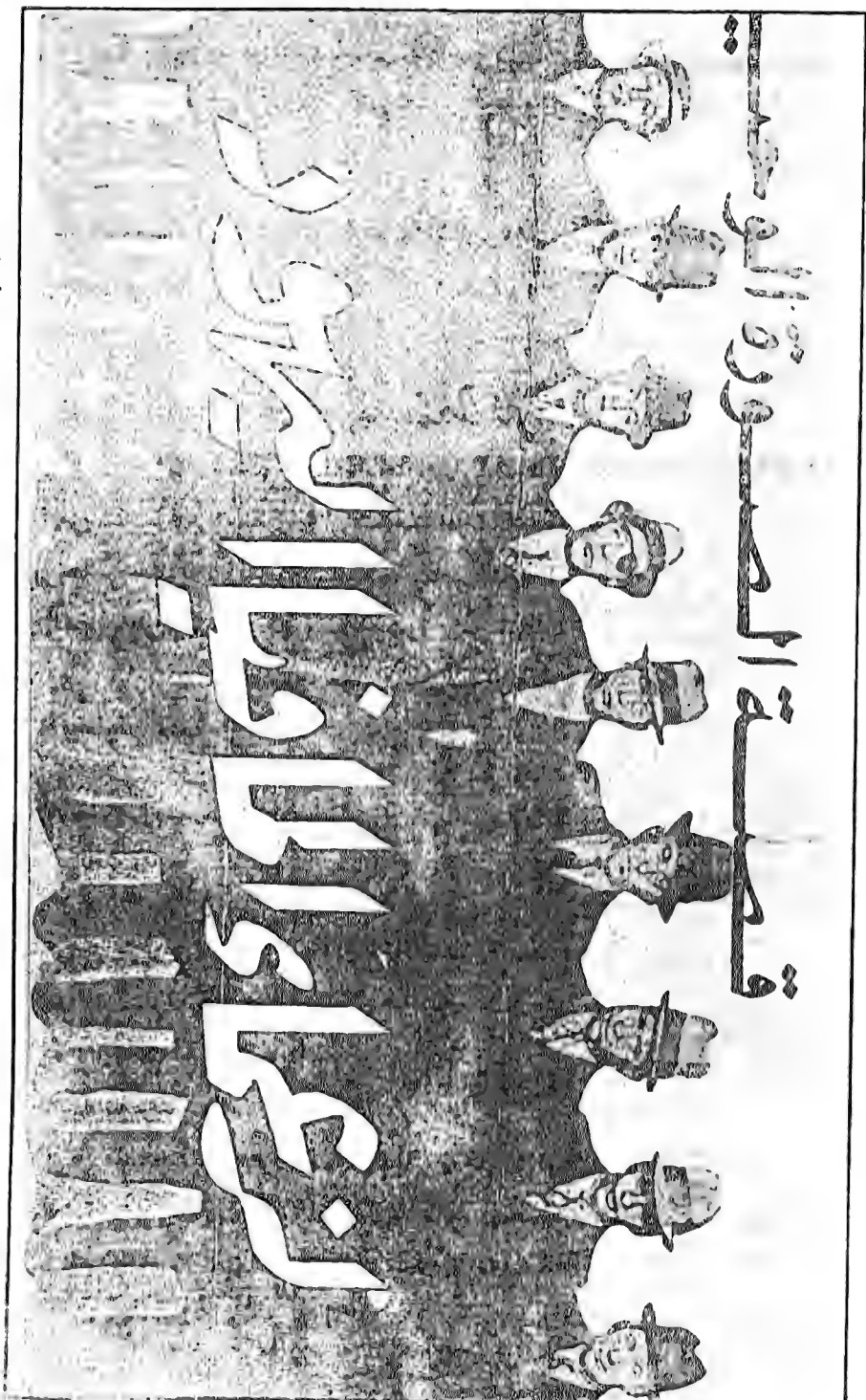
«If they are not excluded from the United States by the Constitution, within at least 100 years they will stream into this Country in such numbers that they will rule and destroy us and change our form of Government for which we Americans shed our blood and sacrificed our lives, property and personal freedom. If the Jews are not excluded, within 200 years our children will be working in the fields to feed the Jews while they remain in the counting house, gleefully rubbing their hands.

«I warn you, Gentlemen, if you do not exclude the Jews forever, your children and children's children will curse you in your graves. Their ideals are not those of Americans, even when they have lived among us for ten generations. The leopard cannot change his spots. The Jews are a danger to this land if they are allowed to enter. They will imperil our institutions. They should be excluded by the Constitution.»

(Original of this copy is in the Franklin Institute, Philadelphia, Pa.)

نص الوثيقة التي وجهها بنجامين فرانكلين إلى الشعب الأمريكي سنة ١٧٨٩

يحذرو فيها من فتح أبواب الهجرة لليهود حتى لا يملأوا الحياة في أمريكا ويسيطروا على الاقتصاد وينشروا الفساد



في سنة ١٩٣٣ اكتشفت التقارير الأمريكية أن الصهيونية العالمية قد سيطرت على عصمات الدنيا في أمريكا
وهذه صورة ٩ من زعماء الدنيا وكلهم من اليهود بعد الحكم عليهم بالسجن مدى الحياة

وإذا لم يطردوا من أمريكا بالدستور فإنهم خلال ١٠٠ عام فقط سوف يتدفقون على هذا البلد بأعداد كبيرة بحيث يسيطرون على الحكم . وإذا لم تمنع اليهود من الآن . . فإن أولادنا سوف يعيشون فى الحقول التى تغذى اليهود ، بينما هم يقعدون فى عد حساباتهم .

إنى أحذركم أيها السادة إذا لم تمنعوا اليهود إلى الأبد ، فإن أولادكم وأولاد أولادكم سوف يلغونكم فى قبوركم . إن أخلاقهم غير أخلاقنا . وإن الفهد لا يمكن أن يغير جلده » .

كان هذا هو نص الوثيقة التى نشرها معهد فرانكلن فى فيلادلفيا . وقد صدق فرانكلن فى كل ما تنبأ به . . فلم تمض سنوات حتى كان اليهود يسيطرون على كل شىء فى الحياة الأمريكية . . وفى سنة ١٩٣٣ اكتشفت المخابرات الأمريكية أن تسعة من زعماء المافيا فى أمريكا من اليهود . وقدموا للمحاكمة بالتهمة التالية : القتل - التهديد - المقامرة - الدعارة - السطو على البنوك - تهريب الخمور والمخدرات . وقد حكم على التسعة بالسجن المؤبد ، وأخرج عن قصتهم فيلم (العراب الثالث) الذى حاربه الصهيونية العالمية بشدة وحاولت منعه .

الصهيونية العالمية فى مصر :

لقد كان فى مصر عدد كبير من اليهود يعيشون فى كامل حريتهم . فالشعب المصرى لم يعرف فى أى يوم من تاريخه الطويل أى تعصب عنصرى أو دينى . . ورغم هذا التسامح نحوهم كانوا يتكتلون فى مناطق خاصة بهم ، مثل حارة اليهود فى القاهرة والاسكندرية ، وكانت لغات التخاطب بينهم الفرنسية والإيطالية أساساً ، رغم أنهم يحملون الجنسية المصرية ، وذلك حتى لا يفهمهم أحد من العامة . . وعندما ابتدأت بشائر دولة إسرائيل فى فلسطين ، أخذوا جميعاً يتهافتون على دراسة اللغة العبرية ويأتيهم من فلسطين حاخامات يدرسونهم هذه اللغة . وقد عاشت هذه الفترة وكانت لى بين اليهود المصريين صداقات كثيرة ، وخاصة أن منهم زملاء فى كلية الطب كانوا دائماً يحكون لى وبدون حرج آمالهم وتطلعاتهم فى دولة إسرائيل . . ومن هنا جاء تنبهى المبكر لقضية فلسطين . وللخطر الذى ينتظر الأمة العربية منذ سنة ١٩٤٥ .

وكننت دائماً أقرأ فى الجرائد المصرية عن اكتشاف محاولات اليهود فى مصر لتخريب الاقتصاد المصرى . . فكانوا يصهرون العملات الذهبية والفضية ويفرقون الأسواق بالعمات الأجنبية المزيفة . وخاصة الدولار ، ويسيطرون على البورصة والأسهم والسندات .

فى أثناء الحكم البريطانى لمصر كانوا يتعمدون الوقعة بين الشعب المصرى والحكام الانجليز . . وقد أرسلت إسرائيل اثنين من جهاز المخابرات (الموساد) إلى مصر حيث قتلوا اللورد موين الحاكم البريطانى بقصد أن يتقمم الانجليز من مصر . ولكن لسوء حظهم أن صولاً مصرياً فى الشرطة قد طاردهما بدراجته البخارية وقبض عليهما واكتشفت المؤامرة وأذيعت على العالم .

ثم نشرت بعد ذلك فضيحة لافون المشهورة عندما أرسلت المخابرات الإسرائيلية رجالها لضرب المؤسسات الأمريكية وقتل بعض الأمريكين فى مصر بهدف الإيقاع بين مصر وأمريكا ولحسن حظ مصر أنهم اعتقلوا وساءت العلاقات مؤقتاً بين أمريكا وإسرائيل ، ثم عادت أقوى ما تكون . ولا أحد يدري سر قبول ساسة أمريكا لكل مؤامرات إسرائيل نحوهم . . وأى ذلة يسكونها لهم . . وأى سلاح يبتزونهم به .

وحتى اليوم لم تسلم مصر من مؤامراتهم حتى بعد الصلح فى كامب ديفيد . . فقد قتلت الموساد الكثيرين من أبناء مصر فى الخارج الذين يظهرون نبوغاً فى أى فرع من فروع العلم . وفى أغلب الأحيان كانت الجريمة تضيع ولا يكتشف سرها بفضل خبرتهم فى مجال الإجرام . ومن أشهر هذه الحوادث قتل الدكتور عباس المشد عالم الذرة المصرى وكثيرين غيره مما يحتاج إلى كتاب كبير يؤلفه أحد اخصائى الدراسات الاستراتيجية أو المخابرات المصرية .

الموساد الإسرائيلى يمول الجماعات الإرهابية فى مصر والجزائر :

لقد انتشر التطرف والإرهاب فى مصر والجزائر فى وقت واحد . وكان الناس فى حيرة من أمر هذه الجماعات التى تلبس رداء الدين وتتهم كل من سواهم بالكفر . . فالدولة كافرة والشعب كافر والجيش كافر والشرطة كافرة . كل هؤلاء لابد من قتلهم وإراقة دمائهم . ولا يجوز للمسلم الحق أن يعمل فى الجيش الكافر . أو فى وظيفة فى دولة الكفر . لذلك لابد من تدمير كل مؤسسات الدولة وأولها البنوك ومراكز الشرطة والسياحة والمسارح ودور السينما . وباختصار تدمير الدولة والبنية الأساسية وتدمير الاقتصاد القومى

فمن أين جاءت هذه الأفكار الهدامة ، وما هو مصدرها ، ولماذا لجدها عند الجهلة وأنصاف المتعلمين بالذات وعند الطبقة الفقيرة المحرومة والساخطة على الحياة .

وأخيراً تكشففت المأساة ، حيث تبين أن الموساد الإسرائيلي وراء ظهور هذه الأفكار الهدامة والجماعات الإرهابية التي دمرت الجزائر كلها وكادت أن تدمر مصر لولا لطف الله بها .

والقصة يرويها ضابط المخابرات الإسرائيلي (فيكتور استروفسكى) الذى انشق عن الموساد . ولما علم أنهم يدبرون لاغتياله هرب إلى كندا واختفى هناك وبدأ يصدر مجموعة من الكتب التى تفضح جرائم الموساد . وكان أخطرها كتاب « الجانب الآخر من الخداع » فيه يذكر أن ضباطاً من الموساد كانوا يحضرون إلى مصر والجزائر ويتصلون بزعماء وأمرأ الجماعات الإسلامية المتطرفة . . يمولونهم بالمال والسلاح ويطلبون منهم زيادة نشاطهم ضد الدولة والشعب .

ولم يكن الأمر صعباً على الإطلاق . بل كان يتم بخدعة بسيطة جداً : فكان ضباط الموساد يلبسون ملابس المجاهدين الإسلاميين ويطلقون لحاهم على أنهم دعاة إسلاميون . . ثم يستغلون فكرة تكفير المجتمع وتكفير الحكومة والشعب . ويطلبون من هؤلاء الجهلة السذج أن ينصروا الإسلام بقتل الكفار من المسؤولين والشرطة والكتاب والمفكرين .

وكلما ظن الناس فى مصر^(١) والجزائر أن هذه الحركات الهدامة قد أوشكت على الانتهاء والزوال . . بعد الضربات الموجهة التى توجهها الشرطة إليهم . . وبعد أحكام الإعدام والسجن والاعتقال . . إذا بهذه الحركات تبعث من جديد وكأن هناك من يوقد النار من تحت الرماد . . وهذا هو ما تثبته هذه الحادثة . . التى نشرتها جريدة الأحرار المصرية عدد ٤ أكتوبر سنة ١٩٩٥ نقلاً عن وكالات الأنباء العالمية .

كان البوليس المصرى قد قبض على أفراد إحدى الشبكات الإرهابية الخطيرة التى كانت تقوم فى مصر بعمليات تخريب وقتل واسعة . . وعلى رأس هذه الشبكة الإرهابى طلعت

(١) ازيد من الإطلاع راجع كتابنا « التطرف والإرهاب » الديثة العامة للكتاب . سلسلة « المواجهة » .

فؤاد قاسم . . وقدمت الشبكة إلى القضاء الذى أصدر أحكامه بالإعدام غيباً على هذا الإرهابى وبعض أعوانه . ولكنهم ظلوا هارين فى مصر والشرطة تبحث عنهم . . وهنا تحرك الموساد الإسرائيلى لكى يحمى أعوانه فى الداخل . . فقد توصلوا إلى الإرهابى طلعت قاسم ومجموعته فى مخابثهم . . وسلموهم جوازات سفر مزورة وساعدوهم على الهرب من مصر . . وفعلاً تمكنوا من الوصول بفضل الموساد إلى بلجيكا كلاجئين سياسيين . . وقد اشترطت عليهم إسرائيل أن يواصلوا نشاطهم التخريبى من الخارج .

وهكذا أصبح الإرهابى طلعت قاسم الناطق الرسمى لما يسمى بـ « الجماعة الإسلامية » . . والمنظم لنشاطها من الخارج .

وابتدأت مصر من خلال القنوات الدبلوماسية اتصالها بهذه الدول التى تأوى الإرهاب . . وعندما علمت إسرائيل أن بلجيكا على وشك تسليمهم قرر الموساد أن يلعب بهذه الورقة المحروقة لعبة أخيرة لصالحه . .

فأقنعوا طلعت قاسم وجماعته بأنهم يستطيعون ترحيلهم إلى البوسنة لبدأوا صفحة جديدة من الجهاد . وصلت المجموعة فعلاً إلى مطار كرواتيا . وفى نفس الوقت اتفقت إسرائيل مع الحكومة الكرواتية أن يسمحوا للموساد الإسرائيلى باختطاف طلعت قاسم وجماعته بمجرد وصولهم فى مطار زغرب . . وفى مقابل ذلك تهدى إسرائيل الجيش الكرواتى أجهزة إنذار متطورة من صنع إسرائيل وتمت الصفقة ونقل المختطفون إلى مكان مجهول . . وابتدأت إسرائيل تستخدم هؤلاء الإرهابيين كورقة ضغط ومساومة مع الحكومة المصرية للإفراج عن بعض جواسيس إسرائيل فى السجون المصرية مقابل تسليمها هؤلاء الإرهابيين .

كل هذا كان يحدث فى الوقت الذى كان فيه قادة إسرائيل : رئيس الوزراء اسحق رابين ووزير الخارجية شيمون بيريز . . يلتقون فى واشنطن بالزعماء العرب . . الرئيس حسنى مبارك والملك حسين والرئيس ياسر عرفات . . لتوقيع معاهدات الصلح . . ويتصافحون بالأيدي من أجل قضية السلام .

فهل بعد هذا كله يتصور أى إنسان ساذج . . أن مؤامرات إسرائيل ضدنا سوف تنتهى بمجرد عقد معاهدات السلام ؟ .

ومن هنا نطالب بأن هذه المعاهدات يجب أن يلحق بها بند هام صريح وواضح بعدم التدخل فى الشؤون الداخلية والتوقف عن المؤامرات والفتن . . وإلا فما معنى السلام وما فائدته ؟ .

إسرائيل وتهريب المخدرات إلى مصر :

منذ الصلح مع إسرائيل ، ابتدأت تظهر فى الأسواق المصرية أنواع جديدة وفتاكة من المخدرات . . وفى سنة ١٩٨٦ وقع فى قبضة الشرطة أحد عملاء الموساد اسمه (يوسف طحان) وهو يهودى من أصل مصرى وكان يعيش فى مصر قبل حرب سنة ٤٨ . . وقد جندته المخابرات الإسرائيلية لجلب المخدرات إلى مصر وتوزيعها على النوادى والمدارس فى الأرياف والمدن وتسميم الأطفال والكبار . وقد اعترف يوسف طحان بأنه يرأس شبكة كبيرة من المهربين فى سيناء فى داخل المدن . . وقد حكم عليه بالإعدام سنة ١٩٨٦ ومع ذلك لم ينفذ الحكم حتى الآن بسبب تدخلات من حكومة إسرائيل . فقد وصل بهم الفجور أن يدافعوا عنه بدلا من أن يتبرؤا منه .

إسرائيل وشبكات الدعارة ونشر الإيدز :

ظهر فى بعض الصحف العربية إعلانات غريبة تحمل طابع البراءة وتخفى تحتها أخطر شبكة لتصدير الدعارة والإيدز إلى الشباب العربى . ومكتوب فى الإعلان : « تعرف على أناس جدد وأصدقاء جدد عن طريق خدمة تليفونية على مدى ٢٤ ساعة » . وحتى تبعد إسرائيل عن نفسها الشبهة ، فقد جعلت مركز هذه الخدمة فى شركة هولندية ورقم تليفون دولى . . وتتراوح هذه الخدمات من الدردشة على التليفون مع فتيات يحترفن فنون الجنس والإثارة الجنسية . . إلى أن تصل الفتاة مباشرة من تل أبيب أو حيفا إلى غرفة نوم العميل . . وفى عدد ١٩٩٥ / ٨ / ٢١ نشرت مجلة روزاليوسف أسرار مهنة الدعارة التى يقدمها الموساد الإسرائيلى للشباب العربى . ويينت أن هناك سترال خاص فى تل أبيب لبيع الجنس فى التليفون لزيادة الدخل القومى . وأن هناك عاهرات فى هيئة التليفونات الإسرائيلية مقابل ٧٥٪ من ثمن المكالمات . وأن هناك كمبيوتر يعرض على الزبون أصوات تسع فتيات ليختار منهن ما يشاء . وإسرائيل تعتبر الدعارة من أهم موارد الدخل القومى ، ومن أهم وسائلها فى تحطيم الشعوب الأخرى وخاصة مع انتشار الإيدز بين المومسات الإسرائيليات .

ومعروف أن الدعارة ليست عيباً ولا حراماً في نظر الصهيونية العالمية ، بل هي مهنة لزيادة الدخل القومي . . وقد نشرت الصحافة المصرية قصة شاب مصري يعمل في فندق سياحي في سيناء وقد أصيب بمرض الإيدز . واضطر أهله إلى إبلاغ الشرطة ووزارة الصحة عنه خوفاً من العدوى ، حيث اعترف بأنه أخذ المرض من إحدى السائحات الإسرائيليات .

الموساد والنصب والاحتيال وتزوير العملات :

تركز إسرائيل على الدول البترولية الغنية في عمليات النصب والاحتيال . . وعندما كنت أعمل في الكويت كانت تصلني على صندوق البريد مراسلات فيها إغراء شديد . وكان يزورنا الكثير من الأجانب ، وخاصة من هولندا والسويد ، وهم في الحقيقة عملاء إسرائيليون . وقد أقامت إسرائيل مكتباً كبيراً في قبرص وأخذوا يرسلون إلى كل فرد في دول الخليج فكرة جهنمية رغم بساطتها . . وتتلخص الفكرة في أن كل من يريد الاشتراك معهم يدفع لهم بالبريد ورقة بعشرة دولارات ومعها عنوان أحد أصدقائه الذي يكون راغباً في المشاركة مثله . فإذا وصلتهم مشاركة هذا العضو الجديد فإنهم يرسلون إلى الأول مبلغ عشرين دولاراً . عبارة عن مساهمته الأصلية مع ربحه عن اشتراك عضو جديد .

وقد أقبل ألوف الناس على هذه العملية التي تشبه المقامرة لأنه مال يأتي من غير تعب وهو عبارة عن مال أخيه الذي أشركه معه وأقنعه بالمخاطرة . . وكانوا أول الأمر يدفعون بمنتهى الدقة والنظام وفي وقت قياسي ثابت لا يتغير . مما جعل العملية تكبر وتتطور . فكان بعضهم يضاعف مبلغ الرهان إلى ألف دولار مع تقديم عشرة مشتركين جدد . فما أن يدفعوا حتى يصله مبلغ ألفين خلال مدة خيالية . . وقد بلغ السباق على المشاركة إلى حد أن خادمتي الفلبينية جاءت ترجوني أن أبعث لها بالمشاركة . . فأخذت أشرح لها أن هذه العملية مشبوهة وغير منطقية وسوف يأتي يوم يتوقفون فجأة عن الدفع بعد أن يجمعوا أكبر قسط من المال . . ولكنها لم تصدق كلامي وذهبت إلى أحد الجيران وطلبت منه إرسال خطابها . ولم يمض وقت طويل . . حتى كانت هذه الشركة الوهمية قد جمعت ملايين الدولارات ثم اختفت فجأة وتوقفت . وذهب الناس إلى الشرطة . . وإلى الحكومة . . وتحرت الجهات الرسمية عن هذه الشركة في قبرص . . فتبين لها أنها شركة وهمية وأنها قد أغلقت مكاتبها في قبرص ولم يعد لها أي وجود أو أثر . . وقيل لهم أن هذه العملية يقوم بها عملاء إسرائيليون من الموساد لجمع الأموال من أثرياء الخليج بالاحتيال والنصب .

اسرى الحرب المصريين . يعاملهم الامم المتحدة معاملة غير انسانية .. في حرب ١٩٥٦
نقله جردوهم من ملائمتهم واحديتهم وقيدوهم بالسلاسل وشحنوهم في السيارات إلى طواير الإعدام





الرى الحرب الإسرائيلىون فى حرب سنة ١٩٧٣
وقف عاملتهم مصر معاملة حسنة ٧ : سجنائنا .. وعلى الباقي تدور الدوائر

وقد أذاعت حكومة الكويت فى ذلك الوقت تحذيراً إلى المواطنين من التعامل مع هذه المكاتب المشبوهة . . ولكن كان الأوان قد فات

كلمة ختام :

هل يمكن السلام مع إسرائيل

كان هذا الكتاب بمثابة مذكرات شخصية سجلتها أثناء العدوان الثلاثى سنة ٥٦ . . ونشرتها فى كتاب سنة ١٩٦٠ وأضفت إليها دراساتى وأفكارى من واقع التجربة التى عايشتها .

ومنذ صدور هذا الكتاب تتابعت الأحداث وتوالت بين العرب وإسرائيل . . فحدثت نكسة سنة ١٩٦٧ . . ثم قامت حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ . . وأخيراً بدأت محادثات السلام بين العرب وإسرائيل . . وبدأ عهد جديد من العلاقات بين مصر وإسرائيل فى ظل معاهدة السلام فى كامب ديفيد . ثم بين الفلسطينيين وإسرائيل بعد اتفاقية طابا وفى الطريق اتفاق حول الجولان مع سوريا .

ومنذ ذلك الوقت كان يوجه إلىّ دائماً سؤال هام هو :

هل يمكن للعرب أن يتعايشوا مع إسرائيل . . وهل يمكن أن يقوم بيننا وبين اليهود سلام حقيقى ودائم ؟

وكنت دائماً أرد على هذا السؤال بالآية الكريمة : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ فمن ناحيتنا كعرب ومسلمين فإننا أمة مسالمة لم تلجأ فى تاريخها كله إلى العدوان أو محاولة إبادة غيرها من الشعوب والأديان .

الأمر يتوقف على ثلاثة محاور رئيسية :

أولاً - إسرائيل وموقفها منا : ولست أقصد بهذا الموقف الرسمى المعلن وحده فهذا قد سمعنا منه الكثير ولم يصدق منه إلا القليل . . لكننا نريد صدق النوايا . . والرغبة الحقيقية فى السلام . . فهل يستطيع يهود العالم أن يتعايشوا فى سلام معنا ؟ هل يستطيعون أن يتخلوا عن أسلوب التعالى على غيرهم من شعوب الأرض . . ومحاولة إبادتهم أو تدمير اقتصادهم ودس الفتن والقلق لإضعافهم ؟

إننى أوافق على السلام مع إسرائيل . . ولكن بشرط هام أن تغير إسرائيل من نهجها الذى اتبعته طوال سنين الحرب التى استمرت من سنة ١٩٤٨ وحتى توقيع معاهدة السلام . وأن تفتح صفحة جديدة من أسلوب التعايش وعدم التآمر . وأن تترك غيرها يعيش فى سلام كما تحب هى أن تعيش فى سلام .

ثانيا - أن تكون نحن العرب وخاصة مصر على حذر دائم . . وإذا كان القانون لا يحمى المغفلين . . فإن التاريخ أيضاً لا يعفى الغافلين . ولا يعذرهم بل لا يحترمهم . . لقد كنت دائماً أقول : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ . . وفى نظرى أن الله تعالى قد بعث إسرائيل فى هذه المنطقة لكى تقوم بين المسلمين والعرب يقظة جديدة . . وصحوة جديدة . . ولكى تتحقق اليقظة والصحوة فلا بد من قيام الديمقراطية الحقيقية فى العالم العربى . . وأن نقضى على حكم الفرد الذى تسبب فى هزيمة ٥٦ ونكسة ٦٧ . . فبالديمقراطية وحدها تتكشف الحقائق وتفتح الأبصار . . ويتوقف المفسدون والمتاجرون بمصائر الأمم . . ويصل إلى المناصب المسئولة أهل الكفاءة ، لا أهل الثقة والمحسوبية .

ثالثاً - تصفية الماضى : إن السلام الدائم لا يمكن أن يقوم على الغش أو التعمية أو المداورة . بل على المصارحة والمحاسبة والمكاشفة . . وهناك جوانب كثيرة من العلاقات العربية الإسرائيلية يجب تصفيتها . . وأولها موضوع إعدام الأسرى المصريين والفلسطينيين .

١ - يجب أن تعرض مصر وفلسطين قضية إعدام الأسرى على محكمة العدل الدولية وعلى لجنة حقوق الإنسان فى الأمم المتحدة وذلك لتثبيت حقهم التاريخى ومنع تكرار ما حدث فى المستقبل .

٢ - ويجب أن تعترف إسرائيل رسمياً بما حدث ، كما اعتذرت اليابان وألمانيا من قبل . فهذا عرف متفق عليه بين الشعوب والدول التى تريد نسيان الماضى وبداية سلام عادل بينها .

٣ - يجب أن يتفق الطرفان على تعويض مناسب لأسر ضحايا طواير الإعدام .

أما إدعاء السلطات الإسرائيلية هذه الأيام بأن هذه الجرائم قد سقطت بانقضاء مدة أكثر من عشرين عاماً . فهذا ادعاء باطل لأن القانون الدولى ينص على أن جرائم الحرب

التي تحدث فيها مذابح جماعية لا تسقط بالتقادم . . وهذه هي إسرائيل نفسها قد اختطفت القائد النازي (إِيخمان) الذي كان مختبئاً بعد الحرب في البرازيل وحاكمته عن جرائمه بعد أكثر من ٣٠ عاماً . . ونفذت فيه حكم الإعدام . . ومازالت ألمانيا حتى اليوم تدفع التعويضات لليهود . . أم أنهم يريدون أن يعاملوا أعداءهم بمكيال غير الذي يتعاملون به معنا .

إن السلام الحقيقي لن يقوم إلا على الصراحة والوضوح والرضى من الطرفين .

★ ★ ★

كتب المؤلف

- ١ - « إسرائيل كما عرفتھا » يشرح خبرة المؤلف حول إسرائيل من خلال عمله كطبيب في قطاع غزة ثم احتلال القطاع في حرب سنة ١٩٥٦ حيث أخذ أسير حرب إلى معتقل عتليت شمالي عكا ، الناشر : دار الأمين للنشر والتوزيع .
- ٢ - « كيف نحكم بالإسلام في دولة عصرية » يكشف المفاهيم الخاطئة والممارسات المنحرفة التي تطبق بها بعض الدول الحكم بالإسلام ويقدم الفهم الصحيح للحكم الإسلامي - الهيئة العامة للكتاب .
- ٣ - « الطب الوقائي في الإسلام » يبين تعاليم الإسلام للوقاية من الأمراض وإقامة مجتمع صحي منيع ضد الأوبئة ويشرح تعاليم الإسلام الطبية في ضوء التكنولوجيا المعاصرة والطب الحديث - « الهيئة العامة للكتاب » .
- ٤ - « الاختلاط » « في الدين وفي التاريخ وفي علم الاجتماع » يبين مكانة المرأة المسلمة في المجتمع ودورها في العمل إلى جانب الرجل لبناء أمة قوية سليمة - « الهيئة العامة للكتاب » .
- ٥ - « الإسلام والحياة الجنسية » دار عالم الكتب ٢٨ ش عبد الخالق ثروت ت : ٢٩٢٦٤٠١ .
- ٦ - « النقاب » « في التاريخ وفي الدين وفي علم الاجتماع » يبين النصوص من القرآن والسنة وآراء كبار علماء الفقه والشرعية على أن النقاب لم يفرضه الإسلام بل هو مكروه شرعاً - « الهيئة العامة للكتاب » ، « سلسلة قضايا إسلامية » .
- ٧ - « العلوم الإسلامية » ٣ أجزاء بالصور الملونة - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي . الكويت .
- ٨ - « التطرف والإرهاب » يشرح الفكر الإرهابي وانحرافات وخطره على الإسلام ومصادره الفكرية والمادية وعلاقة إسرائيل به . « الهيئة العامة للكتاب » ، سلسلة المواجهة .

- ٩ - « الإسلام والديموقراطية » - « الهيئة العامة للكتاب » .
- ١٠ - « الختان » « فى الطب وفى الدين وفى القانون » - دار الأمين للنشر والتوزيع .
- ١١ - « الإعجاز الطبى فى القرآن والسنة مقارنا بالتوراة والانجيل » - تحت الطبع .



سلسلة التمثيليات الإسلامية :

- مجموعة من التمثيليات التى تصلح للمسرح أو التلفزيون أو السينما . تجمع بين الدقة والأمانة التاريخية إلى جانب الأسلوب الدرامى .
- ١ - « خولة بنت الأزور » « فarse الإسلام » .
- ٢ - « سراقه بن مالك » « الصحابى المتوج » .
- ٣ - « رفيدة » « المرضة الأولى فى الإسلام » . الحائزة على جائزة وزارة الصحة والهلal الأحمر الكويتى .
- ٤ - « شروق الإسلام فى مصر » عن فترة الحياة فى مصر وقت دخول الإسلام بقيادة عمرو ابن العاص والسر فى إقبال المصريين على الإسلام .
- ٥ - « عمر بن عبد العزيز » « خامس الراشدين » . كيف أعاد إلى الحكم بالإسلام وجهه الصحيح .
- ٦ « السابقون إلى الإسلام » .
- تطلب هذه السلسلة من دار القلم للنشر والتوزيع ، القاهرة ش القصر العينى رقم ٢٦ ت : ٣٥٠١١٠٥ .
- ٧ - « سلمان الفارسى » « الباحث عن الحقيقة » - دار عالم الكتب ٢٨ ش عبد الخالق ثروت - ت : ٢٩٢٦٤٠١ .



أعمال تليفزيونية وإذاعية :

- ١ - مسلسل « صور من الحضارة الإسلامية » ٣٠ حلقة تليفزيونية ، أذيع من تليفزيون القاهرة فى شهر رمضان .
- ٢ - مسلسل « خولة بنت الأزور » تليفزيون الكويت .
- ٣ - مسلسل « سراقه بن مالك » تليفزيون الكويت .
- ٤ - المسلسل الإذاعى « عمر بن عبد العزيز » ٣٠ حلقة إذاعة الكويت .
- ٥ - المسلسل الإذاعى « الأسرة المسلمة » ٣٠ حلقة إذاعة الكويت .



أعمال فنية :

- ١ - النتيجة العلمية المصورة : الناشر مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ٣ أعداد : الطب الإسلامى - العمارة الإسلامية - علم الفلك .
- ٢ - مجموعة المعارض الفنية : الكويت - لندن .



من أقوال وسائل الإعلام العالمية

عن موضوع الكتاب

* شاهد عيان يروي وقائع مبهرة عن قتل الأسرى المصريين . رجل خشبية تحتوى على ذهب ومصاغ كشفت عن مجزرة غزة .

مجلة الصياد اللبنانية سبتمبر سنة ١٩٩٥
« الفت قطامش »

* شهادة طبيب مصرى عمل مع الأمم المتحدة تكشف أسرار المذابح وطواير الإعدام فى غزة .
مجلة أكتوبر سبتمبر سنة ١٩٩٥
« محمد خلف الله »

* طبيب مصرى شاعد عيان على مذبحه الأطباء والجرحى فى المستشفيات وطواير الإعدام الجماعى فى الساحات فى حرب سنة ١٩٥٦ .

الأهرام سبتمبر سنة ١٩٩٥

* فظائع جديدة لسفاحى إسرائيل يرويها طبيب مصرى أسير . طواير إعدام جماعى وهجوم مسلح على المستشفيات وأمصال قاتلة للأهالى فى غزة .

جريدة الأحرار
« ياسر مشالى »

* لقد سمعنا اليوم فى هذه الجلسة أسراراً مهولة عن معاملة إسرائيل للأسرى كانت خافية على الشعب المصرى . ويزيد من أهميتها أن الدكتور/ أحمد شوقى الفنجرى شاعد عيان . وأن هذه الجرائم لا تسقط بالتقادم . ويجب عرضها على جمعية حقوق الإنسان بالأمم المتحدة .

المنظمة المصرية لحقوق الإنسان
« عصام الدين محمد حسن »

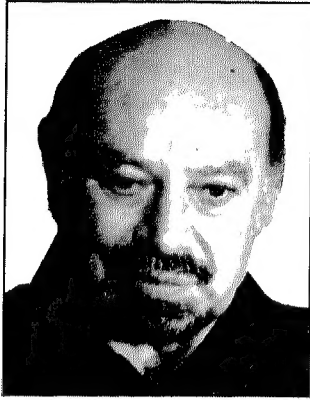
* Inside Israels can of worms Dr. Ahmed Shawkey El Fangary who worked in UNR WA in gaza 1956 reconnts a horrible story

Al - Ahram Weekly - Jihan Shahine

* كانت هذه أقوال شاهد عيان لطواير الإعدام للأسرى المصريين والفلسطينيين فى حرب سنة ١٩٥٦ . الدكتور الفنجرى يبلغ من العمر الآن ٧٠ عاماً ، وقد دون كل مشاهداته مع الصور والوثائق فى كتاب « إسرائيل كما عرفتها » .

إذاعة B.B.C. London
« غزة محيى الدين »





د. أحمد شوقي الفنجري

★ طبيب مصري من مواليد سنة ١٩٢٥ .

★ عمل طبيباً في هيئة إغاثة اللاجئين في قطاع غزة من سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٥٧ .

★ عندما احتلت إسرائيل قطاع غزة سنة ١٩٥٦ أخذ أسير حرب إلى معتقل عتليت شمالي عكا .

★ اكتشف محاولة إسرائيل لإبادة اللاجئين بنشر وباء الجندري بينهم وأحبطها وأذاعها على العالم مؤيدة بالوثائق .

★ له عشرات المؤلفات والكتب، والأبحاث والأحاديث في الدين والطب والسياسة والمسرح والموسيقى والتصوير والرحلات .

عن موضوع الكتاب ...

★ شاهد عيان يروي وقائع مبهرة عن قتل الأسرى المصريين .
رجل خشبية تحتوى على ذهب ومصاغ كشفت عن مجزرة غزة .
مجلة الصياد اللبنانية سبتمبر سنة ١٩٩٥
« الفت قطامش »

★ شهادة طبيب مصري عمل مع الأمم المتحدة تكشف أسرار المذابح وطواير الإعدام في غزة .
مجلة أكتوبر سبتمبر سنة ١٩٩٥
« محمد خلف الله »

★ طبيب مصري شاعد عيان على مذبحه الأطباء والجرحى في المستشفيات وطواير الإعدام الجماعى في الساحات في حرب سنة ١٩٥٦ .

الأهرام سبتمبر سنة ١٩٩٥
★ فظائع جديدة لسفاحى إسرائيل يرويها طبيب مصري أسير .
طواير إعدام جماعى وهجوم مسلح على المستشفيات وأمصال قاتلة للأهالى في غزة .

جريدة الأحرار
« ياسر مشالى »

★ لقد سمعنا اليوم في هذه الجلسة أسراراً مهولة عن معاملة إسرائيل للأسرى كانت خافية على الشعب المصرى . ويزيد من أهميتها أن الدكتور/ أحمد شوقي الفنجري شاعد عيان . وأن هذه الجرائم لا تسقط بالتقادم . ويجب عرضها على جمعية حقوق الإنسان بالأمم المتحدة .

المنظمة المصرية لحقوق الإنسان
« عصام الدين محمد حسن »